من الرؤية إلى التعبير
قراءة في شعر محمد الفايز

د. نورية صالح الرومي
جامعة الكويت - قسم اللغة العربية وآدابها

ملخص

خلق تأمل محمد الفايز علاقات متنوعة بالكون والحياة . فقد ألهمه المرأة ، والبحر ، والأرض ، والوطن ، والتاريخ ، والطبيعة ، والمجتمع – إلى جانب انسياحه في تأملات وجدانية ، تمتد بعلاقاته إلى الأبعد والأعمق – منطلقاً إلى عوالم لم تستبطن أسرار الحياة المغلفة بالفن الجميل .

كان لديه نزوع فطري نحو حب الأرض والبشر . وكان البحرملهماً له . وهو الذي ربط بين الشاعر والبيئة والمجتمع ، فكان هذا العشق المتنامي ، الذي حمل هموم الآخرين ، من خلال الشعور بالمسؤولية الاجتماعية ، نحو الناس الذين يعيش معهم .

كان الشاعر «محمد الفايز» وتراً جميلاً ، حمل آلام وطنه الكويت ، وأمته العربية . صور بشعره كل ما كان يراه ، وسجل الأحداث بحس صادق ، وشفافية واضحة ، تترجم أعماقاً لا تهدأ ، حباً للأرض والإنسان .

أدرك الشاعر العدوان العراقي الغاشم على دولة الكويت في الثاني من أغسطس (آب) عام ١٩٩٠ ، وظل مرابطاً بالكويت إلى أن فاضت روحه الطاهرة في مساء يوم الجمعة ، الأول من مارس (آذار) عام ١٩٩١ ، أحد أيام التحرير المجيدة ، فاحتضنته الكويت ، وضمته إلى رحابها ، وأحداً ممن صاغتهم جنباتها شاعراً وطنياً صادقاً .

From a State of Meditation
to a New Voice of Expression
a Reading in Mohammad Al-Fayez' Poetry

Dr. Nourieya Al-Roomy

Faculty of Arts

Kuwait University

Abstract

The poet Mohammad Al-Fayez' meditations led him to a variety of relationships with life and universe. Women were his inspiration, as were the sea, the earth, history, nature and society. These sources of inspiration sharpened his senses to the mysteries of a life veiled by the beauty of art. Moreover, his solitary meditations expanded his relation further and deeper.

He had a natural love for the land and its people, and the sea was a continual source of inspiration for him. He was a poet who developed ties with his society and environment culminating in a source of love for those he lived with and led him - because of his feeling of social responsibility - to bear the concerns of others.

His was a new voice expressing the pains of his homeland Kuwait, and those of the Arab nation. He was both compassionate and accessible, two qualities which reveal the poet's restless soul and his love for land and people.

Courageously staying in Kuwait throughout the unjust Iraqi occupation of the country on Aug. 1. 1990, Mohammad Al Fayez passed away on Friday evening on March 1, 1991, one of the glorious days of liberation. Mohammad Al-Fayez was buried in Kuwait as one of the country's most patriotic poets.

محمد الفايز[١] مبدع متعدد الجوانب : الشعر ، والمسرح ، والقصة . ويشعر المرء أن كل جانب عنده غني بالمواقف والأدوات ، جدير بالبحث والدراسة . وانطلاقاً من هذا ، وجدتني أقف عند واحد من هذه الجوانب حسب ، هو الشعر ، لما تمتع به من ثراء في الإبداع ، وخصوبة في الأدوات الفنية ، جعلا منه طائراً محلقاً في مجال الفن والتميز .

لقد خلق تأمله علاقات متنوعةً بالكون والحياة ، فقد ألهمته المرأة ، والبحر ، والأرض ، والوطن ، والتاريخ ، والطبيعة ، والمجتمع ، إلى جانب انسياحه في تأملات وجدانية ، تمتد بعلاقاته إلى الأبعد والأعمق ، منطلقا إلى عوالم تستبطن أسرار الحياة المغلقة بالفن الجميل .

كان لديه نزوع فطرى نحو حب الأرض والبشر ، لأنه - بوصفه فناناً - لا يستطيع أن يحب الأرض وحدها ، ولا البشر وحدهم ، فهما نسيج متكامل ، لا انفصال بينهما وبين إنسانهما . حبذا لو كان مثل شاعرنا ، الذي تقمص شخصية بحار ، لوّنت إهابه أمواج الخليج ، فكانت عالمه الذي تجلى في باكورة أعماله الشعرية «حديث البحر» ، والتى كانت مفتتحاً لمجموعاته الشعرية المتتالية ، التي كانت تقفز به إلى ساحة الشعر العربي ، في طفرات نوعية ناجحة ، تترجم شاعرا أصيلا ، ذا موهبة فياضة .

لقد مثّل البحر في الخليج العربى مصدر الرزق الممتد المستمر ، ولذا كان ملهما لأساليب العيش فى مرافئه المتعددة : الكويت ، الإمارات ، البحرين ، قطر ، عُمان ، والسواحل الأخرى المطلة على المحيط والبحر الأحمر .

إذن ، لماذا كان البحر ملهما للشاعر «محمد الفايز» ؟ هل ارتبط به في بداية حياته بحارا ، أو صيادا ، فكان هذا الامتياح من عالمه؟ أم أنه كان على صلة وثيقة بعالم البحر - كمعظم الكويتيين والخليجيين - فكان هذا الزخم المتزاحم من الشعور والوجدان ؟

أعتقد أنه لا هذا ولا ذاك ، فإن الصلة بالبحر لا تخلق فنانا أو شاعرا بالضرورة ، ولكن شيئا غريبا هو الذي ربط بين الشاعر والبيئة والمجتمع ، فكان

هذا العشق المتنامي ، الذي حمل هموم الآخرين ، من خلال الشعور بالمسؤولية الاجتماعية ، نحو الناس الذين يعيش معهم ، والذين تربطه بهم علاقات حميمة ، كما نلمح ذلك في أغلب أشعاره ، التي كرسها - على الأغلب - للحديث عن البحر ، الذي هو الناس والحياة . وعن المرأة التي هي جزء من الناس ، وكل الحياة كما يراها شاعرنا(٢)

أشعر يا سيدتي . .
وأنا تحت هديل عقودك
تحت شعاعاتك
تحت هطول ضفائرك الشقراء
وملامحك البيضاء
تحت تدفق أنفاسك
ذات الرائحة المشتقة
من رائحة العنب الأسود
أشعر يا سيدتي . .
أني أملك كل كنوز العالم

لقد كان الشاعر محمد الفايز وتراً جديداً ، حمل آلام وطنه الكويت ، وأمته العربية . صور بشعره كل ما كان يراه ، وسجل الأحداث بحس صادق ، في شفافية واضحة ، تترجم أعماقاً لا تهدأ ، حبا للأرض والإنسان .

لقد أدرك الشاعر محمد الفايز ، العدوان العراقي الغاشم على دولة الكويت في الثاني من أغسطس (آب) عام ١٩٩٠ ، وظل مرابطاً بالكويت وهو يقول :(٣)

كويت يا حبنا السعيد
يا ظلٌ ، يا ماء ، يا ورود
يحرسك الله يا بلاداً
ترابها اللؤلؤ الفريد

وبـــارك الــلــه فــي رمـــال
تجــود بـالخـيــــر مــا تجــود

إلى أن فاضت روحه الطاهرة في مساء يوم الجمعة ، الأول من مارس(آذار) عام ١٩٩١ ، أحد أيام التحرير المجيدة ، فاحتضنته الكويت ، وضمته إلى رحابها ، واحدا ممن صاغتهم جنباتها شاعراً وطنياً صادقاً .

الفايز بين الرؤيا والرؤية

إن الوطن حكاية ، وشخوص هذا الوطن أو ذاك حكايات جزئية داخل هذا الكل ، الذي يتمثل في تاريخ الوطن من خلال المعطيات الطبيعية ، الأرض وجغرافيتها ، وموقعها ، وتضاريسها الطبيعية ، وظروفها المناخية التي تشكل جزءاً كبيراً من تشكيل الإنسان ، ملامح وسلوكاً . ومن هنا يبدأ الإنسان الحكاية التي تختلف من شخص لآخر ، حسب المكونات الشخصية الطبيعية ، والمكونات المكتسبة ، من ثقافة تلقائية ، وخبرة حياتية ، ومبادلات فكرية بين الأنا والآخر ، اللذين لا يتمثلان في الأشخاص فقط ، بل يمتدان لتكون هذه المبادلة بين الإنسان والوطن .

وحكاية الأدب في الكويت الوطن ، ترتبط بعديد من شخوص أبنائها الذين دأبوا -من خلال ارتباطهم بالوطن الأم الكويت ، والوطن العربي الكبير- على محاولة الخروج من طوق العزلة التي فرضتها الطبيعة والظروف .

كان مجتمع الكويت القبلي يعتمد في اقتصاده على الغوص بحثاً عن اللؤلؤ ، وعلى الممارسات التجارية عن طريق البر والبحر . وكانت هذه الحياة تمثل حكاية المعاناة التي واجهها الكويتيون ، فالغوص من أكثر المهن صعوبة وخطورة ، تتطلب من الإنسان كدحا مضنيا ، وصبرا طويلا ، وهو ما أثر في سلوك الناس ، حيث كان لابد أن يتعاونوا ويترابطوا ، وهو ما يشي بأنهم كانوا مرتبطين بأخلاق

الإسلام التي تدعو إلى التعاون ، والأمانة والثقة ، والمحافظة على الجار ، ورعايته وأهله في حالات الفقر أو المرض أو الرحلة الطويلة من أجل الحياة .

هذا المجتمع البدوي البسيط ، الذي تحلى بالتقليدية والمحافظة ، عكس ملامحه على شخوص حكايته ، فمن خلال هذا المكان المتواضع ، مساحة وسكاناً ، جاء رائد تيار التطور في الكويت الشاعر فهد العسكر ، الذي كان إفراز هذه المرحلة . وعندما بدأ إنتاج النفط عام ١٩٤٦ ، ظهرت معه بداية فترة اقتصادية واجتماعية عنيفة ، غزت المجتمع الكويتي في عاداته وتقاليده وقيمه الاجتماعية ، مما أضعف الصلة بين مجتمع ما قبل النفط ، ومجتمع ما بعد النفط . فهذا حديث عبد الرحمن العوضي في أواخر الأربعينيات ، من خاطرة له بعنوان «الغريب» يقول(٤) :

«أنا غريب في عالم أرى فيه القصور تشاد على جماجم بشرية ، ونفوسا تعذب على مذابح المطامع المادية والشهوات . غريب في عالم أرى فيه الحب شهوة وأنانية ، وينظر الآخر إليه نظرته إلى الفحشاء والمنكر . غريب في عالم اتخذ من العادات والتقاليد حجبا وستائر حديدية ، يفرقون بها بين من تآلفت قلوبهم ، وتعارفت أرواحهم» .

وتظل الحكاية تتحرك مع شخوصها ، ومع هذا المد الحضاري الجديد ، ويختلف المتأملون فيما بينهم بين رؤية تتهم ، وأخرى تنصف ، يقول خالد سعود الزيد :(٥)

« إن الأدباء الذين عاشوا ما قبل ١٩٥٤ ، أتت عليهم المادة فأخرستهم ، والتفتوا إليها بعد أن كانوا يعانون شظف العيش ، التفات المغرور بها ، حتى أنستهم واجباتهم الفكرية ، وألهتهم عن متابعة التطور الذي حدث على الفكر الإنساني» .

ويمتد الاتهام من أديب لآخر ، في الخط نفسه فيقول خليفة الوقيان(٦) :

«إن الكويت تعيش في حالة من اختلال التوازن ، نتيجة الطغيان المادي الجارف الذي يكاد يكتسح كل شيء ، ويعبث بكل المواصفات والمقاييس .

ويبدو أنه من العسير على نبْتة الأدب أن تنمو نمواً طبيعياً في تراب تلوثه بُقع الزيت ، وفي أجواء تنعدم فيها الرؤية ، ويغمرها الدخان ، والأبخرة» .

وأكاد لا أميل إلى هذا التفسير ، فالصدمة المادية رفعت من القدرة ، التي واكبها -بالقطع- مواءمة فكرية عند البعض -على الأقل- بعيداً عن هذا التعميم . ويدعم فكرتي تلك ، أن بعض الآراء اتجهت إلى أن الواقع الاقتصادي الجديد يسَّر كثيراً من السبل أمام المثقفين والأدباء ، فقد شجعت الدولة العلم والمتفوقين والمبدعين بازدياد عدد المدارس ، وإرسال البعثات إلى مختلف البلدان العربية والأجنبية ، كما دعمت الصحف والمجلات وحرية الرأي فيها ، وقد استتبع ذلك إصدارات ثقافية من مؤسسات علمية ثقافية كجامعة الكويت ، والمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ومؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، ومطبوعات وزارة الإعلام وغيرها إلى جانب العديد من دور النشر ، والمكتبات العامة التي انتشرت في أرجاء الكويت ، ما جعل البلاد تحظى بحركة نشطة في التأليف والنشر لمؤلفات علمية وأدبية على المستوى الأكاديمي ، مما أنعش الفكر والعلم والثقافة في الكويت والوطن العربي ، وهو ما لم يكن من الميسور أن تقوم به الدولة قبل مرحلة النفط .(٧)

ولئن كانت هذه الصدمة قد أحدثت ركوداً أدبياً ، إلا أن الشاعر أحمد العدواني(٨) يرى :

«أن إصبع الاتهام يجب أن يوجه إلى الأدباء أنفسهم ، لأن الحركة الأدبية لا تنشط بقرار من الحكومة ، ولا بتشريع من مجلس الأمة ، فهي ليست تجارة ولا صناعة . تنشط الحركة عندنا عندما يكون هنالك أدباء يدركون مسؤولياتهم الأدبية والاجتماعية ، وتكون لديهم قضية يدافعون عنها ، ورسالة يؤدونها ، وأشواق وأسرار يهمسون فيها للناس . النشاط الذاتي للأديب هو أساس النشاط العام للأدب» .

إن الموضوع لم يكن يعني آنذاك إلا محاولات لتحريك الجو الأدبي ، من أجل اللحاق بركب النشاط الأدبي العام في الوطن العربي ، وتثبيت المحاولات

الأدبية الواعدة ، والوقوف بجانبها ، والنهوض بها .

وقد بدأت أولى خطوات التطور علي يد الشاعر فهد العسكر في أواخر الثلاثينيات ، متغافلين بداياته التي كانت تقليدية عندما تأثر بقراءته الشعرية بمرحلة أحياء الشعر العربي الحديث ، متمثلة برائدها الشاعر المصري محمود سامى البارودي ، واتصاله عن طريق الجيل الثاني من شعراء هذا التيار ، أمثال أحمد شوقي ، وحافظ إبراهيم ، وغيرهما . إلى جانب اطلاعه على التراث الشعري القديم بدءا من شعراء الجاهلية .

وهذه المرحلة الحديثة التى اتصل بها ، قد اتخذت من النغم الرومانسي أساساً لإحياء الشعر العربي الحديث ، والتي جعلت الشاعر فهد العسكر ينتقل بالحركة الشعرية في الكويت إلى مرحلة جديدة ، كانت علامة على طريق جديد من التطور الفني تميزت بغلبة الاتجاه الرومانسي على لغة فهد العسكر ، ومعانيه وصوره الشعرية ، ومواقفه من الحياة والناس من حوله .[٩]

وقد رافق الشاعر فهد العسكر مجموعة من الشعراء من بينهم عبد المحسن الرشيد ، وعبدالله زكريا الأنصاري ، ومحمد أحمد المشاري وغيرهم ، وإن كانت بعض النصوص لبعض شعراء تلك الفترة توحي بالشكوى والتمرد .

ويأتي العمل الشعري المتميز للشاعر محمد الفايز بعنوان «مذكرات بحار»[١٠] ليكون جزءا من أطياف الحكاية التى يمثل الفايز طرفا فيها ، بالرغم من وجود هذه الشخصية (البحَّار) في تجارب شعرية خليجية[١١] . إلا أن مذكرات الفايز جاءت عملا فنيا يستحق التنويه والتناول ، لأنها كانت تؤكد الانتماء للماضي ، وتشير من طرف رامز إلى آرائه في الحياة . إذ مثل الفايز فيها امتدادا للتيار الواقعي الذي أخذ يغلب على الشعر ، لا في منطقة الخليج العربي وحدها ولكن في غيرها من مناطق العالم العربي الأخرى . وقد عمد إلى الرمز إلى هذه المشكلات الاجتماعية بحياة البحار الكويتي الذي عمد إلى تفصيل الحديث عنها في جوانبها المختلفة ، ملحاً على ما كان يلاقيه من مشقة ، ويعانى من فقر وظلم وتشرد .

وكان الشاعر يقيم تقابلاً بين واقع الحياة الحديثة في هذه المنطقة ، وبين واقع الحياة القديمة التى يحياها هذا البحار . ولا نشك في أن الشاعر كان يشكو منه ويتألم له . ولذلك فأننا نستطع أن نرى فيه وجهين الأول إنساني عام ، والثاني ذاتي خاص . وهذه المذكرات كانت تدور جميعا حول ثلاثة محاور أساسية يتكامل بعضها مع بعض ليؤلف هذه المذكرة أو تلك من خلالها . المحور الأول هو تصوير معاناة البحار من الفقر والمرض ومشقة العمل في صيد اللؤلؤ ، والظلم الواقع عليه من ربان السفينة . والمحور الثاني هو الحب . أما المحور الثالث فهو المدينة التي يحن إليها والعودة إليها ، ويحس بالغربة والضياع في بعده عنها .»(١٢)

لقد كانت مذكرات الفايز لقطات من الحياة ، لم يلجأ فيها إلى التسلسل التاريخي ، بل عمد فيها إلى الاستدعاءات الطبيعية ، بدءا من المذكرة الأولى التي استوت فيها سفينته على الجودي ، حتى عودته إلى اليابسة في المذكرة العشرين . وبينهما كان الحديث عن بيئتي الغوص والسفر ، وذكريات البيئة القديمة التي عاشها البحَّار ، كغيره من المواطنين ، حيث كانت شريطا زاخرا مليئا بالإشارات التي تثير ذكريات ، وترسم ملامح لهذه البيئة القديمة ، التي لم تمحها آثار المدينة الحضرية الجديدة .

إنه بهذا يصنع أو يقيم متحفا لوطنه ، تضمه ذاكرته ، قبل أن يكون للكويت متحفها الوطني ، الذي يجسد ملامح هذه البيئة القديمة ، التي كان البحر فيها يحمل رزقه ورزق أسرته يقول :(١٣)

أحنى من الأرض التى محلت . فلا عطر يضوعْ
فيها ولا نبتت كروم
مهما تلبدت الغيوم ، وأمطرت كلُّ السماء
تبقى ككفٍّ بخيلة تأبى العطاء
أواه يا أرض الحرائق والسموم
البحر أحنى من ضفافك ، والشراع

أذرى إليّ من الصنوبر ، يا بحـار
الملح فيك ألذ من عنب الدوالي في المدينة
فخذي شراعي يا رياح خذي السفينة
سأعيد للدنيا حديث السندبـاد

ويظل دور الفايز في الحكاية متـحـدثا عن روحـه المفـعـمـة بالإصـرار على الكفاح ، والمغامرة رغم شعوره الحزين للواقع التعيس الذي يعيشه ، إلا أنه يتطلع إلى التغيير ، من خلال الحلم الأمل ، الذي يساعد الإنسان على مواصلة الحياة ، متطلعا إلى حياة ستجلب معها السعادة رغم الظروف الاجتماعية القاسية . إنه يرتبط «بطيبة» الأرض والوطن فيقول :(١٤)

ما زلت أذكر كل شيء عنك يا «طيبه» الجميلة

. . . .

مـن يشـتـري كـل المحـار؟
مـن يشـتـري كـل البـحـار؟
بعـيـون «طيـبـة» يـا نـهـار

. . . .

عيناك تحت الأرض تبرق لي كفانوس بعيد

. . . .

يا قرطهـا الذهـبي ، يا كحل العيـون
عطر البنفسج تحت نهديها ، وفي فمها الورود (١٥)

لقد استطاع محمد الفايز أن يبرز نفسه كواحد من شخوص أطياف الحكاية الخليجية ، أو الكويتية على وجه الخصوص ، لأن مذكراته عن البحار لفتت إليه الأنظار ، ومنحته الشهرة ، وجعلت النقاد ينتظرون منه الكثير ، الذي كان زادا جديدا واكب به ثورة الشعر الحديث ، وجعل للشعر الكويتي مكانا في هذه الثورة ، لأنه كان واحدا من أفراد حكاية التجديد التي تتابعت منذ الستينيات .

لقد توالت إبداعات محمد الفايز، على مدى خمسة وثلاثين عاماً من الشعر وهي: النور من الداخل، الطين والشمس، رسوم النغم المفكر، بقايا الألواح، ذاكرة الآفاق، لبنان والنواحي الأخرى، حداء الهودج، خلاخيل الفيروز، وأخيرا وبعد رحيله ديوانه خرائط البرق (الجزء الأول)، وشعره المخطوط في الجزء الثاني من ديوانه خرائط البرق، الذي سوف يصدر لاحقا.

ومن الطرافة أن نذكر أنه بدأ «مذكرات بحار» كمطولة شعرية، وختم نشاطه الشعري بمطولة أخرى هي «خلاخيل الفيروز». وبين هذه وتلك كانت مطولة ثالثة هي التي استوعبت صفحات ديوانه «رسوم النغم المفكر».

إن رحلة البحر عند الشاعر كانت تمثل الخلاص المتجدد، فهو في رحلة الغوص يرى الخلاص في المدينة التي يحن إليها، وفى المدينة يرى الخلاص في العودة إلى رحلة البحر، فهو في رحلة دائمة ترتبط بوجدانه ارتباطا وثيقا(١٦).

وإذا كان الفايز شاعر الرحلة الدائمة وسندبادها، فقد ظل مدار حكاية تلازمه، ولأنه كان صوتا متميزا، وصيادا ماهرا في اقتناص الصور اللافتة، فقد «أعجب النقاد وأحنق شعراء الكويت». وقد حمل الجنسية الكويتية، ولكن عوامل القلق في نفسه، وربما شاركت فيها النظرة الاجتماعية التقليدية إلى من ينحدرون من أصول ليست كويتية، ساهمت في أشعاره بالغربة التي انعكست على بعض قصائده في ومضات متقطعة، تدل على اضطراب روحه وغياب الطمأنينة عن حياته الخاصة.(١٧)

إن بؤرة شعور الفايز كانت بالكويت، ولهذا سرعان ما تتم المصالحة بينه وبين مجتمعه، فيصدر من أشعاره ما لا يحمل ملامح الجفوة مع الحياة والناس، ليبرر أن شعوره بالاغتراب كان مرحلة فكرية في مسيرته، لأنه كان اغترابا عابرا، سرعان ما يغطيه شعوره بحب الكويت، الأرض والإنسان والحياة. يقول في «النغم الحادي والستون» من «رسوم النغم المفكر»(١٨)

تأنق الرمل حتى صار أضواء

وفجّر الصخر ألوانا كما شاء

واســـتــوقف البـــدوي الحـــر ناقـــتــه
على الســـــواحل مــــلاًّحــا وحــدّاء
قــد كــانت البــيــد أشــواطاً لموكــبــه
مــســتلهــمــا أفــقــهــا وحــيــاً وآراء
واليـــوم يهـــبط في الشـــاطي تعــانقــه
أمـــواجـــه الزرق أنـــســامـــاً وأنداء

لقد تحول الرمل في الخليج إلى ضياء، صوَّره شعر الفايز، «ومع هذا في ثنايا دواوين الفايز تلك الومضات القلقة التي تضاء، هذا الشعور الراسخ بالوطن، والفخر به. قد تكون البداية مشاحنة أو صداما مع شخص أو مع شاعر آخر، وهذا أمر واقع، ولكن تخطي الهجاء الشخصي إلى نوع من الهجاء العام هو الذي يدل على وجود هذا القلق الداخلي في قرارة نفس الفايز»(١٩).

لقد كان قلقه سببا في انقطاعه عن العمل في السنوات الأخيرة من حياته، ولم يؤثر ذلك على راتبه تقديرا لظروفه، فانصرف إلى حياته الخاصة، حتى كانت حكاية الغزو المقيتة، فتدهورت حالته، وكانت نهايته. إنها نهاية شاعر تغنى بالخليج وأهله، وهجاهم، ولكن المودة ظلت قائمة في الحالين.

بين الرؤية والصياغة

هنّاك مصطلحات أسلوبية مثل كلاسيكي وورمانتيكي، اتخذت تعبيرات وتعريفات متباينة بين النقاد، ومع هذا التباين فإنها تعتمد على إحساس المتلقي للعمل الفني، وكذلك التكنيك الخاص بالمبدع. وعلى ذلك فإننا ينبغي أن نبحث عن اللغة المرتبطة بالرؤية، والتي تكون متوارية أو ضمنية أو داخلية في العمل الإبداعي. وهنا نقول: إن الأسلوب يرتبط بالرؤية التي تشكل الصياغة، التي تساعدنا في اكتشاف المعاني الموجودة وراء الموضوع وتذوقها، والبحث عن الهدف الظاهري للعمل الفني.

«إن طريقة الجمع أو التركيب بين الموضوع والتعبير ، أو الاعتماد على أحدهما على حساب الآخر ، هو ما يشكل الأسلوب المميز لفنان ، أو لعمل فني ، أو لعصر معين . إن الأسلوب في واقع الأمر هو نوع من التفضيل الجمالي ، والتفضيل الجمالي نوع من الأسلوب ؛ الأول : (الأسلوب) تفضيل يرتبط بالإبداع ، والثاني (التفضيل الجمالي) أسلوب يرتبط بالتذوق . وهناك علاقات تفاعلية مشتركة بينهما»(٢٠) .

وهل نستطيع أن ننكر ، ونحن نطرح هذه المعطيات ، تأثرنا برافدين هما : أدب التراث ، والأدب العالمي ، بمعطيات كل منهما من نقد بلاغي تراثي ، ومفاهيم نقدية معاصرة؟ والذي يكوّن الرؤية الشعرية (خصوصا) في هذا المجال ، هو رؤية القرن الماضي والرؤية الحديثة ، لأن الاختلاف بينهما ليس اختلافا حضاريا يتمثل في النوع الأدبي ، وإنما هو اختلاف في وجهات النظر ، المرتبطة بالتطور الاجتماعي . فإذا كنا نعايش الحضارة الغربية في مجال التكنولوجيا ، فإننا غير قادرين على إحداث توازٍ مع هذا المستوى التكنولوجي والمستوى الفني .

إن العالم العربي في محاولاتٍ مستميتة للحاق بركب التكنولوجيا العالمية ، ولكن الهوّةَ تتسع - بالقدر نفسه - بين هذا الجانب المادي والجانب الفكري ، وهذا ما يجعل الشاعر العربي يقف في حيرة من أمره ، ويتساءل : كيف يقطع هذه المسافة ليصل إلى المستوى الفني المطلوب ، الذي يسهم به في النشاط الإنساني الفكري العام ، بل في اللغة الإنسانية العامة؟

ويمكن أن يدخلنا ذلك في دوامة لا طائل من ورائها ، إلا أنه لا بأس من أن نشير إلى ثورةالعقاد ، وشكري ، وطه حسين في أوائل القرن الماضي كبادرة أولى في حياتنا الشعرية ، واجهت - فيما بعد - انتقادات من جيل(٢١) النقاد الذين أتوا بعدهم ، باسم الهمس في الشعر عند الدكتور محمد مندور تارة ، وباسم الاشتراكية في الأدب تارة أخرى عند الدكتور لويس عوض(٢٢) ، ثم كان التطبيق العملي في أرجاء الوطن العربي ، فجاءت من العراق - تحديدا - بشائر التجديد في الشعر على يدي نازك الملائكة ، وبدر شاكر السياب ، مما استدعى

محاولات الاتصال بالنقد الغربي ، بل واستيراده ، حتى دخل في منجزات التكنيك الشعري ، واستغرق البعض حتى كانت منهم دعوة خفية لقطيعة معرفية مع التراث النقدي العربي ، بدعوى التحديث ، أي تحديث العقل العربي . ويبدو أن ذلك كان رد فعل الهزيمة العسكرية ١٩٦٧ ، التي كسرت الحلم العربي في تحقيق صحوة عربية كبرى من المحيط إلى الخليج .

نعم ، إن الدعوة للتحديث تبدو مشروعة ، ولكنْ أن تنأى بنا عن منجزات العقل العربي ، وترمينا في كل ما هو غربي ، فهذا أمر يحتاج إلى كثير من التفكير والتدبر ، لكي لا نقع في مكامن الخطر .

لقد قبل البعض الحداثة الغربية ، التي تحولت - فيما بعد - إلى ما بعد الحداثة ، «والتي تقوم على الشك المطلق في كل شيء»[٢٣] . وللأسف جرّت هذه الأفكار البعض إلى متاهاتها ، وفي زعمي أن من فعل ذلك دون أن يدرى ليس أقل ذنبا ممن انساق وراء هذه الأفكار عن دراية ووعي .

لقد كان نتيجة الانسياق وراء هذه الأفكار ، وخصوصا في السنوات الأخيرة من القرن العشرين ، أن ازدحمت المفاهيم والمصطلحات النقدية .

لقد حاولت الثقافة العربية أن تتصدى لحداثات متعددة وافدة ، من الشرق والغرب ، فكان الصمود من البعض ، وكان من البعض الآخر تجاهل المفاهيم العربية واستخدام مفاهيم ومصطلحات حداثية جعلتهم في متاهة بين البداية والنهاية .

كان لابد من هذا الاستطراد حتى نقف على المناخ الذي نشأ به الشاعر محمد الفايز ، والبيئة الثقافية التي كونت روافدها إبداع هذا الشاعر . فقد عاش مراوحا بين الموروث التقليدي بقضاياه ، وبين الوافد الجديد التي حمل بين دفتيه مضامين جديدة ، وعبارات أكثر استجابة لمقتضيات العصر ، ومستلزمات التغير في بيئة جديدة ، أصبحت تجتذب بملامحها ومفرداتها قطاعاً كبيراً من الشعراء ، مع عدم نسيان الماضي برمته . لقد كان الفايز يرى أنه في الوقت الذي تفرض فيه الحضارة نفسها ، لتحقق السعادة والرخاء للإنسان ، فإن الزحف المادي الجارف قلب

المفاهيم ، وسحب بساط الحرية ، والبساطة ، والفطرة ، يقول الفايز :[٢٤]

يا ضيعة العربي !! لا صحراؤه
تجدي ، ولا أعشاب ربع آهل
لم يبق من أشعاره وخيامه
ومن المواقد غيرُ ظل زائل
قلبت مفاهيم الحياة جميعها
وتبدلت مثل الخيال الآفل

ولكن ، هل نسى الفايز الماضي؟ لقد أصبح الحنين إليه نوعاً من الهروب من المعطيات السلبية للحاضر ، بل إنه نوع من الرفض لها . إن الماضي بشقائه وسعادته كان الملجأ الذي يتفيأ الشاعر ظلاله ، مع روح مغتربه في مدينة الحضارة الجديدة . إن كل شيء في الماضي جميل يقول الفايز[٢٥] :

كثبان رملك واحة معطار
وأجاج بحرك سكر وبهار
ياموطن(الهولو)[٢٦] الذي غنت لَهُ
من أمس أمس سواحل وبحار
يا ساحل الفيروز . .حيث سفينة
ملء البحار . . كأنها الأقمار
يا قصة البحّار في جولاته
لما رمته إلى البحار قفار
تتهيب الحيتان من مجدافه
فله دويّ فوقها هدّار
لولا الحنين إلى الحمى ورماله
لبَنَتْ عليه حراشفا أسفار

إلى أن يقول :

السندباد مضى وكان خرافة
قد حققتها تلكمُ الأخبار
الراويات عن البحار ، ومادٌ
خضعت إليه الريح والتيار
في كل شطآن(نهام)[٢٧] صاعد
وبكلٍّ بحر رحلة ومسار
للآن ما برحت عظام رفاقه
في القاع مشرقة ، كما الأنوار
المبحرين مع الرياح كأنهم
فوق العباب ملائك أبرار

وهكذا يصير الماضي جميلا كله ، بأشيائه ومفرداته ، فالرمال واحة عطرة ، والماء المالح سكر ، والساحل الرملي يتحول إلى فيروز .

ولكن ماذا حدث بعد تفجر النفط ، وانقلاب شكل الحياة؟ يقول الفايز[٢٨] :

إيه رمال الشمس !! أي غمامة
قد فجرتها تحتك الأقدار
سال السنا من راحتيك وأبرقت
فيك الرمال ، وأمطرت أحجار
فكأنما بك جنة مخبوءة
وكأن فجرك في الثرى فوّار
فتلطفت حمم الظهيرة ، وانزوى
ذاك الجفاف ، وبدّلت أطوار

هذه الرؤى للشاعر استطاع أن يصوغها في عبارات محكمة ، على القدر

نفسه ، فلم يكن بها التفكك ، ولا اتساع الصياغة أكثر من المعنى . وتلك قدرة فنية كان يتحلى بها محمد الفايز . وانظر معي كيف عبر عن حزنه على غروب الماضي ، والذي وضع له رمزا «السفينة» ، والتي كانت صديق الرحلة والحياة . لقد هجرها أصحابها بعد أن اجتذبتهم ملامح مدينة عصرية ، بعيدة كل البعد عن ملامح الماضي يقول :

وعلى الضفاف سفينة مهجورة
يبكي على ألواحها مسمار
فكأنها بيت تقادم عهده
أو أنها ما يترك الإعصار
وتفيأ البحَّار ظل مدينة
عصرية ، وتغيرت أدوار
وتبدلت حاراته ودروبه
والبئر ، والسقاء ، والحمار

ولست مع الذين يقولون إن الحنين إلى الماضي يحمل الحزن والأسى ، كسمة من سمات الاتجاه الرومانسي ، ولكنني أرى أنه لابد من النظر إلى الماضي والتخلي عن سلبياته والامتداد بإيجابياته . إن مثل فكرة الحزن التي يخلعها بعض النقاد على أصحاب هذا الاتجاه فكرة تضرب التاريخ ، الذي هو ذاكرة الأمة ، وهل تستطيع أمة أن تعيش دون ذاكرة؟ والذاكرة تقوم بعمل حافظة الوعي ، الذي نستدعى منه ما نشاء وقتما نشاء .

والجميل الذي ينبغي أن ننظر إليه عند شاعرنا الفايز في هذا الصدد ، هو ذلك القياس الجيد بين المعنى والصياغة ، في فنية فطرية لا تخيب ظن صاحبها . وهذا هو سر الإعجاب الذي كان يربط بين الشاعر وجمهوره ، الذي أدرك بحسه الفطري مدى توفيق الشاعر في الأداء الفني .

لقد كانت رؤية الفايز إلى الماضي رؤية ذاتية ، فهو الذي صنع هذا الماضي بما

فيه من قساوة وضغط ، دفعا إلى الترابط والمودة في مجتمع لم تكن أركانه لتتسع ؛ نظرا لضيق مفرداته . أما وقد وسَّعت الحضارة هذه المفردات ، فأصبحت شيئاً باعد بين الناس ، ومزق علاقاتهم ، هذا ما يأخذه الفايز على المدينة الحضرية الجديدة ، وإن كان يستمتع بما فيها من أشياء تيسر الحياة .

لقد أخذ الفايز طريقا وسطا في نظرته ، ففي الماضي سلبيات مرفوضة ، وإيجابيات حبيبة ، وفى الحاضر - أيضا - سلبيات مفروضة ، وإيجابيات مطلوبة ، وما أحسب هذا إلا توازنا أو رؤية صاغها الفايز بتوازن طيب يقول(٢٩) :

وما ارتفعت جدرانكم من مهابة
ولكنها الأيام هاج عبابها
مدينتكم هذي التي ترضعونها
ستمتصكم حاراتها وقبابها
هبطتم بها ، لم تعجن الخبز كفُّكم
ولا دوركم منها يسوى ترابها

إن الشاعر هنا يفضل الماضي لأنه كان صناعة محلية ، أبدعتها يد إنسان الأرض ، أما المدينة الجديدة فخبزها مستورد ، ودُورُها مستوردة ، ولكأني به يقول : إن ظلها أيضا مستورد ، بالرغم من أنه يتعامل مع الخبز ، ويفيء إلى الظل . وفي البيت الأخير تتضح رؤية الشاعر للحياة ، إنه يقبل ويرفض بقدر المعاني الجميلة التي تحرك الحياة . ولعلى لا أوافق الشاعر في نظرته إلى الوافدين ، إنهم جاءوا ليصنعوا الحياة الجديدة ، وبدونهم لم تكن هذه الحياة لتقوم . إن نظرة إنسانية واسعة تؤكد أن هؤلاء مشاركون في صنع الحياة ، التي يستمتع بها المقيم والوافد . وهنا أقول إن التوازن بين الرؤية والتعبير قد اختلت ، فجاء شعرا قاسيا حادا يقول(٣٠) :

غجرْ
غجرْ

قوافل الغجرْ
قد دخلت مدينتي لتخطف القمر
وتسرق الرحيق من براعم الزهر
غجرْ .. غجرْ
والحارس المجدور في مخدعها :
حبيبتي سحر
لتحترق روما .. ففي عينيك لي
أجمل من قمر

إنه يضيق بالوافدين ، لأنهم غيروا صورة مدينة البحّار ، التي كانت تتسم بالبساطة والوداعة . لقد كان الفايز ثوريا في عباراته وسياقاته جميعا ، فكيف يركن هنا إلى البساطة والوداعة؟ إنها مفارقة بين الرؤية التي تمثل الفكر ، والتعبير الذي يمثل ترجمة صادقة لهذا الفكر .

ويعود الفايز إلى المواءمة أو التوازن بين الرؤية والتعبير ، فيلجأ إلى الماضي باحثا عن المعاني النبيلة الإيجابية فيه ، مع شعوره بقساوة هذا الماضي . كما جاء غضبه على الحاضر من طمسه هذه المعاني الجميلة . والحقيقة أن الحاضر لم يطمسها ولكن مفرداته غيّبتها ، لطغيان هذه المفردات على التشكيل الجديد للمدينة . وقد أوقعه ذلك الانتقال الجبري بين الماضي والحاضر ، بإيجابياته وسلبياته ، في دائرة من القلق والحيرة ، التي ينفّس عنها في شعره عندما يقول(٣١) :

لطخوا الأقمار بالطين ، وأنوال العناكبْ
خنقت شمسي . وعبّاد النجوم
أوقفوا الليل على درب المدينه
وعلى الشاطئ من أمسٍ سفينه
أبحرت تبحث عن مرسًى وعادت

مثل أفكاري حزينه
وعلى جدراننا الفجر يموت

إنه يشعر بأن الحاضر ذو مخالب وأنياب ، بل ذو قدرات خاصة تخدعه وتخدره ، وتدفع به إلى الضياع ، حيث كانت «شهرزاد» تلعب هذا الدور في حياة الملك ، فتلهيه عن أمور الملك . جاء ذلك في قصيدته «أربع أغنيات لجارية القصر» ، والتي يقول منها(٣٢) :

قمري ما زال سهران ونامت شهرزاد
خدعةً كانت ، سأفشي السر في ضوءِ النهار
عندما يستيقظ الناس ...
ومن خلف الستار ...
كنت أصغى لحكاياها الطويلة
ألف ليله
لم تذقْ عيني الرقادْ
أحرس القصر بلا أجر ، وفي سوق المزاد
عرش مولاي يباع
خدعة كانت ، وثلج الليل ماع

ويشير الشاعر الفايز إلى القيم القديمة بأنها كانت قبيحة ، عانى منها مع غيره من أمثال الشاعر فهد العسكر . يقول الفايز(٣٣) :

أكلةُ الأكباد لا تزالْ
وارتَفعَ النباحْ
فوق الأغاني ، يا صديقنا الحزينْ
يا أيها الأعمى ، الذي تنبثق الشموس من عينيه
وتنبُت الأقمارُ في كفيه

إنه التوازن بين الرؤية والتعبير ، الذي كثيرا ما كان يتميز به الشاعر الفايز ،

حتى لو خالف بهذا التوازن رأي معاصريه . إنه لا يوافق لمجرد الموافقة ، ولا يخالف لمجرد المخالفة . إنه ثائر متمرد ، ولكنه يقيس عواقب هذا التمرد ، فيرفض الفكرة لأنها قد تؤدي إلى الموت ، حيث أدى تمرد سقراط إلى مصرعه . يقول الفايز(٣٤) :

خداع لعمري كل شيء وضلة
ودرب سراب ،مهلكات شدائده
تغلغلت في قاع الحياة ، وجبتها
بدربين من سهل ووعر أكابده
وعاقرت منها كل كأس فلم أجد
شقيا كذي فكر . .تمرّد شاردُه
تخبّط «سقراط» ، ومات لفكرةٍ
هي اليوم وهمٌ ، يبلغ الكفرَ ناشدُهُ
وها نحن في أيامنا ننشد الذي
سَيَدْحضُه جيل لنا وعقائده

ولماذا لا يكون التمرد السقراطي ثورة من أجل الفضيلة ، التي هي قيمة أصيلة نبيلة ، تنفع الأجيال المقبلة ، ونقيض ذلك ينقل الحياة إلى ما يشبه الموت ، وهو ما يتفق مع عنوان قصيدة الفايز «موت الشاعر» والتي أعلن منها(٣٥) :

وبدّلت أطواري القديمة بالتي
تسرُّ الذي منْ كنت دوما أضادده
خنقت بصدري كل ما تغتلي به
دمائي وفكر ضللته شوارده
وهأنذا صفوا زلالا لشارب
وقد كنت زقوما تحاشاه وارده

تـركـت لمن يبـــغي الخلـود خلوده
وباركت يومـا لم تفـتني فـوائـده

إن الحاضر الظامئ هو الذي قتل رغبة التمرد عند الشاعر كما سبق أن أعلن ، وقد أوضح ذلك في قصيدته «الليل والكلمات» والتي يقول منها(٣٦) :

ظمـآنُ أيـن منابعي ومناهلي
لا شيء غيرُ سباسبٍ ومجاهلِ
لا شيء غـير الليلِ في أبعادِه
وبصيصُ أنجمه رمادُ قنادل
وكأنني وأنا بعالم واقعي
أبدا أعيش على هوامش راحلِ

ويعلن بعد ذلك أنه لا يرفض الحاضر ، ولا ينقم عليه ، إلا أنه يرى أنه يفقد الأصالة فيه ، وهو الجانب الذي يفتقده في الحاضر ، ولذا نراه يقول :

أنا ما نقمتُ عليه ، لكني أرى
معنى حياتي في فراغٍ هائلٍ
جدران بيتي لم تسوِّي صخره
كفى ، ولا مرَّت عليه أناملي

إنه يجامل الحاضر مضطرا ، لأنه يعايشه ، ويتحرك مع مفرداته وإيجابياته الكثيرة ، الواضحة للعيان ، ولكنه يرجع إلى الماضي مضطرا أيضا ، ليركن فيه إلى الأصالة والقيم يقول(٣٧) :

ورجعت للماضي لعل بقيةً
من جذوةٍ تُذكى حرارة خاملِ
قلقاً ، كحافظة الجبَّان بداخلي
قلبانِ قلبُ مُعاندٍ ومُجاملِ

هيـهـات ضـعـتُ مع الدروبِ ولم أجـدْ
دربا يقـود غـمـامـتي وقـوافلـي

والشاعر الفايز في كل ذلك الذي عرضنا يمسك بتلابيب البيت ، أو العبارة داخل البيت ، حتى تكون المواءمة القوية الواعية بين الفكرة أو الرؤية وأدائها تعبيريا بما لا يخل بحدود الفكرة ومفهومها ، وهو بهذا كان متميزا بين أقرانه ، ولم تقصر قامته الفنية عن قاماتهم .

إن المبدع لابد أن يراعى فكرة التواؤم بين الخاطرة الفنية والتعبير عنها ، وهذه المواءمة تختلف من مبدع لآخر . فالشاعر الجيد هو الذي ترصع عباراته الفكرة التي أراد الحديث عنها ، ومن ثم كان كل اهتمام بالتعبير مرتبطا بالاهتمام بالفكرة . والتعبير لغة تحكمها قوانين تضبطها ، لأن المبدع من خلالها يبحث عن التآلف بين تحقيق الجمال وتحقيق الفائدة معاً ، وقد يكون ذلك من خلال التقابل أو التوازي أو التقاطع ، يحدث ذلك في الأغراض العامة للشعر ، ويحدث كثيرا في الحديث عن العواطف ، أو الغزل يقول الفايز(٣٨) :

آمنت بالنور من عـيـنيـك ينبـشـقُ
وبالنجـوم على نهـديكِ تنزلـقُ
وبالعناقـيـد مـا أحلَى تهـدهدهـا
إذا تنفس هذا العـاطرُ العـبـقُ
أكـادُ أشـهـقُ من شـوق يمزقنـي
إذا خطـرت أمـامـيَ مـثلمـا الألقُ
يا نار عينيك ، كم ضـاءت لتحـرقني
ومـا ألـذ احـتـراقي حين أحـترقُ
يا دفءَ صـدركِ مـا أشـهى حـرارته
إذا اسـتـراح عليـه ثغـري النَزقُ

صبي الجحيم بأعماقي ، فبي عطش
إلى الجحيم ، كأني منه مُختلقُ

قد تلمح أن التجربة بسيطة ، فهي لقاء محبوبين ، ولكنه استطاع أن يولد أفكارا أسلوبية وتصويرية طرزت فكرته حتى كانت هذه العبارات الجاذبة . «النجوم على نهديك تنزلق» ، «إذا استراح عليه ثغري النزق» ، «بي عطش إلى الجحيم» ، وهكذا أغرق الشاعر عباراته في الحسية ، التي سبقها فكر ينسق العبارات فتخرج رائقة عذبة .

ويعيش الفايز حاضره كما يعيش ماضيه ، من خلال شخوص كانت لها بصمات في الحياة بعامة ، وفى حياة شاعرنا بخاصة ، إنه يتناول السياب ، والعسكر ، والمتنبي ، والمعري ، ويربط بين معاناته ومعاناتهم ، فهل كان حديثه عن هؤلاء رثاء؟ وهل كان هذا الرثاء مختلفاً عن الشكل التقليدي الذي توارثناه عبر العصور الأدبية المختلفة؟ يقول من قصيدته « المسافر مع الأغنيات إلى فهد العسكر» التي وجهها إلى صديقه فهد العسكر(٣٩) :

يا راحلاً بلا وداعْ
يا زورقاً تخاف من قلوعهِ الرياحُ . . يا شراعْ
حبالـه الأعصابْ
وبحره العذابْ

ويتناول المتنبي في قصيدته « المتنبي»(٤٠) :

أعن قمم تفتش في وهاد
وبعثاً أنت تطلب من جمادِ
وهل يدنيك من نجم حنين
تغلغل في سماوات بعاد
وأمنية تحاولها فكانت
مطافا عدت منه بلا مفاد

وكـم درب شــقــقت لـه فــجــاجـا
بـلـيـلٍ مــن ســوادٍ فـي حــداد

إنه يتوازى مع المتنبي ، ويجعل لقاء بين فكرته وتعبيره ، الذي لم يندّ عن التعبير عن الفكرة ، ولكنه في بعض قصائده يتناص مع غيره ، وهذه قصيدته «ما لم يقله المعري»(٤١) تكشف ذلك يقول :

كــل شــيء مــصــيرهُ للفنـاء
فكــأن الفـنــاء سـرٌّ لبــقـــاء
تضــحك الأرض للربيع إذا جــا
ء وخلـف الربيع ليـلُ الشـتـاء
وتطـل النجــوم زرقـاء نشـوى
كـالمصـابيـح في عنـان السـمـاء
بَيْـدَ أن الرعـود والغـيـم في الأفـق
وعـــصـف الريـاح والأنـواء
كل كـأس بقـاعـهـا حـسوة الصـاب
فكأس الهـنـاء كـأس الشـقـاء
صـانع المهـد مـثله صـانع النعش
وطين القــبـور طـين البـنـاء
رب قــصـرٍ سكنته فــيــه ذرٌ
مـن عظـام وحــفـنة مـن دمـاء

لقـد كـانت المعـاني عند الفـايز قـريبـة من مـعـاني المتنبي ، حيث إنهـمـا يتشابهان في أنهما لم يبلغا ما كانا يصبوان إليه ، وربما قصد الفايز أن المتنبي لم يقل هذه الحكم نصا ، وإن كانت مولّدة منها ، مع اختلاف في شكل الصياغة وهو ما يربطنا بفكرة «بين الرؤية والصياغة» ، التي جعلنا منها عنوانا لهذا الجزء من البحث ، وهو نفسه ما كان مع أبى العلاء المعري .

وعلى أية حال فقد كان الفايز صاحب مضامين جديدة ، وإن صيغت

بالشكل التقليدي حينا، وحينا آخر بالتفعيلة الواحدة، أو ما سمى «الشعر الحر»، إلا أنه كان حريصا على معمار القصيدة الجيد، الذي يوائم بين الرؤية الفكرية والصياغة التعبيرية.

بين الخفاء والتجلّي في شعر الفايز

لا أريد هنا إعادة الحديث عن الجانب التقليدي في القصيدة الخليجية، والكويتية بشكل خاص، حتى لا يكون ضربا من الحديث المعاد، ولكنني أود الدخول مباشرة إلى المرحلة المتطورة في الشعر الكويتي، والتي ابتعد فيها الشعر عن النهج المباشر، واتجه نحو الانسجام والإحكام. فقد هرب الشعراء من الخطابية، والإيقاع الحاد، وبدأ تأثرهم بالتيار الرومانسي، مما سهّل السبيل أمام النمو والتطور، حيث استدعت المضامين الجديدة أساليب جديدة، قادرة على التخفي حينا، والتجلي حينا آخر، لأن أساليب الفنون تقتضي أن تحاط المعاني بغلالة من الشفافية وظلال من الإيحاء.

ولقد تميز شعراء تيار التطور في الكويت - والفايز واحد من علاماتهم المضيئة -بالطموح إلى إيجاد تيار شعري جديد، يمتزج بجذور المورث، ويعانق موجة التجديد. ولعل من المفيد هنا الإشارة إلى محاولات الشعراء ولوج الآفاق الحقيقية للفن، التي تمنح الشعر حرارة ودفئا، إضافة إلى تشكيل جديد للمعجم الشعري، الذي يترجم الأحاسيس الذاتية على نحو لم يكن ميسورا له أن يكون مع الشكل التقليدي.

وأرى أن «مذكرات بحار» للشاعر محمد الفايز جديرة بالتناول من خلال فكرة الخفاء والظهور، وإن كان النقاد قد اختلفوا في استخدام كلمة ملحمة، فعارض بعضهم التسمية(٤٢)، بينما سمح بها آخرون(٤٣).

إن «مذكرات بحار» لمحمد الفايز تعتمد في خطوطها على سرد مغامرة لبطل واحد، هو البحار الكويتي، الذي يتخفى وراءه تاريخ مرحلة قاسية، وجميلة في

آن ، من حياة الشعب الكويتي . وملامح البطولة في هذه المذكرات تتجلى فيما أورده الشاعر من مغامرات ، إلى جانب الجو الحزين ، وتلك الذكريات التي تدخل في باب الأحلام .

«لقد تحررت الملحمة من العناصر التقليدية المكونة لها ، لا سيما في اعتمادها الخوارق الوثنية ، ولجأت – في معظم الأحيان – إلى سرد مغامرة بطل واحد ، يرمز إلى فكرة عامة»(٤٤) ، وهذا ما حبذ لديّ فكرة وصف هذه المذكرات بالملحمة ؛ لأنها بطولة واقعية ، تعتمد على المغامرة المستمرة ، النابعة من العمل الدؤوب المستمر .

انظر كيف يسخر الشاعر من السندباد ، ويفتخر ببطل مذكراته يقول(٤٥) :

سأعيد للدنيا حديث «السندباد»
مـاذا يكـون السندبادْ ؟
شتان بين خيال مجنونٍ وعملاقٍ تراهْ
يطوي البحار علـى هواه
بحبـالـه
بشـراعه
بإرادةٍ فـوق الغيـوم
بيدٍ تكاد عروقها الزرقاء ترتجل النجومْ

إنه يطرز مغامراته في هذه المذكرات بصراعه مع الأسماك المتوحشة في أعماق البحار ، ومقاومة العواصف الشديدة والأمواج الغاضبة ، كل هذا أشبه ما يكون بحرب ضد الطبيعة المجدبة الحارقة ، بحثاً عن قطرة ماء حينا ، إلى الوقوف كسد منيع ضد الجهلة حينا آخر .

إذن ، يأتي هذا السؤال : ما ملامح الطابع الملحمي في هذه المذكرات؟ إنه جو الحزن الذي يغلفها ، حتى في ليلة الزفاف ، التي ينبغي أن تتسم بالفرح ؛ إنه الحزن الذي لا ينبعث عن حاجة جسدية مُسِفَّة ؛ إنه حزن نبيل ، لا يتركز

في كلمات أو يتحدد في مشهد ؛ إنه حزن شامل يسيطر على الصياغة والحركة ، ويتجلى في اللغة والمشاعر ، وهو مهما تخفى لابد أن يظهره التأمل ، والدوران مع الدلالات حتى تخرج من كون التخفي الذي تعمده الشاعر إلى مجالات الظهور التي يكشف عنها استبطان ذات الشاعر وعالمه . إنه يقول(٤٦) :

ها أنت قربي تجلسين
بثوبك العربي ذي الكم الطويلْ
والسلة الحمراء كالعش الجميل
وعلى الجدار بصيصُ فانوس ومرآة كبيرة
وتدفقى وأنا أصلى فوق ثوبك والنساء
والأخرياتْ خلف الجدار
وحديثهن عن السوار
والحُقِّ والصندوق والماء المعطر والمراشّ
وكوردتين
أهداب عينك تومئانْ
تحت النقابْ
والأصدقاء علىِ الضفاف مع الشراع
يترقبون مجيءَ فارسك الحزينْ
كي يبحروا . وكما رجعت مع المساء
إني سأبحر عائدا . فإلى اللقاءْ

لا توجد مساحة بين الفرح والحزن عند الشاعر ، بل إن الحزن يتسرب لديه إلى لحظات الفرح ، فكأن الفرح يتخفى ليظهر قليلاً ، ثم يغلفه الحزن ، فكأن ظاهرة الخفاء والتجلي متشابكتان ، لا يُبرز أياً منهما استخدامُ التعبير المباشر ، ولا يتخفيان وراء الظواهر البلاغية باستعارة أو كناية ، أو حتى رمز يُومي بما يريد الشاعر .

إن الملاحم «تعتمد مخيلة إغرابية بخلقها عالماً أوسع من العالم المعروف»(٤٧) ؛ ولذا فإن الشاعر الفايز جعل بحاره يتأمل ويتذكر فيما يشبه الأحلام ، التي تخلق مواقف غريبة ، كما ورد في مذكرتيه «الثالثة عشرة» و«السابعة عشرة»(٤٨) . ففي الأولى كان الشك بين البحار وزملائه دون مبرر ، ثم تكون حكاية متكلفة عندما يلقي البحار بنفسه من السفينة لينقذ الغريق ، الذي تسبب في اتهامه ، إلى جانب غياب الجانب الإنساني(٤٩) :

ورفيقنا «الهندي» مات ، وربما أكلته أسماك البحار
في الليل وابتسم الجميع

وفي المذكرة السابعة عشرة يعرض الشاعر موقف غرق السفينة بعد عاصفة حطمتها ، فيسوَدُّ الأفق ، وينادي البحار(٥٠) :

أين الطريق؟ لقد أضعناه على الأرض الكئيبة والبحار
لا شيء وانطفأ النهار وغاب ثانية وعاد
وأنا وصحبي الهائمون بلا دليل
نتفقد الشطآن ، لا ماء ولا زاد سوى زبد الأجاج

ولقد كان الفايز متكلفاً ، عندما جعل الرفاق الثلاثة يتآمرون على التهام البحار ، عندما استبد بهم الجوع ، ولكنه نجا بعد أن هرب إلى أحد الكهوف . «وقد أسرف الشاعر في تصوير هذه الحادثة إسرافاً مملاً ، ولكنه لم يستطع -على الرغم من ذلك- أن يضيف إلى شعور هذا البحار بالفقد والضياع شيئاً جديداً(٥١)» .

لقد أجاد الفايز عندما رسم المواقف ، وصور اللحظات النفسية ، التي تجعل القارئ يشعر بعبق الماضي ، وهو ما يشي بأنه كان يملك موهبة القصّ ، التي بدأها في مستهل حياته ، وهذه لوحات في قصيدته «أربع أغنيات لجارية القصر»(٥٢) :

شُرفةُ القصر على النهر تُطلّ
وأنا خلف كرومِ الحقلِ
أستعرضَ أشياءَ كثيرة
ملكي غادر في الليل سريره
والأميرة
تسأل العراف عن سرٍ خطيرْ
ما الذي بدّل أطوارَ الأميرْ ؟!

ثم ينتقل مصوراً الحب العميق للملك ، حيث تظهر «شهرزاد» وقد نامت بعد أن أتمت حكايتها أو حكاياتها ، وتركت الملك ساهراً . أما اللوحة الرابعة فقد تكشفت فيها الرؤية ، فلقد تبين أن «شهرزاد» كانت رمزاً للتسويف والخداع ، الذي ضيع عرش الملك بعد أن ألهته وشغلته بحكاياتها الخيالية التافهة . يقول الفايز(٥٣) :

قمري ما زال سهران ونامت شهرزادْ
خدعةً كانت سأفشي السر في ضوء النهار
عندما يستيقظ النـاسُ
ومن خلف السـتارْ
كنت أصغي لحكاياها الطويلة
ألف ليله
لم تذقْ عيني الرقادْ
أحرس القصر بلا أجر وفي سوق المزاد
عرش مولاي يباع
خدعة كانت ، وثلج الليل ماع

إن الشاعر الفايز يتخفى وراء الصورة ، ويتجلى عبر الدلالة ، وهما جانبان

هامان في تناول الشعر، سواء أكان قديماً أم حديثاً، سواء أكان بالشكل التقليدي أم بالشكل التفعيلي القائم على استخدام التفعيلة الواحدة.

إن العبارة تمثل الجانب الظاهر، أما الدلالة فهي الجانب الخفي الذي تبرزه القرائن والدلالات، وما أقرب ذلك من التعريف القديم الذي يفرق بين اللفظ الذى أريد به لازم معناه، وذلك الذي يكون قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى، وكان هذا لدى الحديث عن الاستعارة والكناية، وهما اللفظتان اللتان تشكلان الصورة في الإبداع الفني، وبخاصة الشعر، قديمه وحديثه. وهذا يدفعنا إلى الرد على أحد النقاد وهو يقول(٥٤):

«إن الشاعر القديم كان لديه اهتمام جذري بالأبعاد الهندسية للوجود والمعطيات الحسية لأشيائه، ليست المادية فحسب بل المجردة، إذ كان الشاعر يلجأ في حالة المجردات إلى منحها أبعاداً حسية تبرزها بحدة وسطوع، وتجعلها هكذا موضوعات للإدراك الحسي المباشر».

إن الناقد هنا يركز اهتمامه على الشاعر القديم، خالعاً عليه إدراك الأبعاد الهندسية للوجود، والتي لم يكن يدركها آنذاك بالقدرة العلمية التي ندركها بها حالياً. ونقل صور الوجود المجردة إلى مدركات حسية ما يزال موجوداً حتى الآن، وهو الانتقال من المعنوي إلى المحسوس، ومن المحسوس إلى المعنوي.

ولكن هناك بعض النقاد يرى أنه ليس في مجال الصورة قديم وحديث، وإنما أصيل وزائف.

ولكن الواضح البين أن القديم والحديث في الصورة موجودان منذ الشواهد البلاغية القديمة، التي كانت تترجم البيئة والعصر، والتي يُرجع إليها مرتبطة بعصرها وظروفها. يقول أحد النقاد في ذلك(٥٥):

«إن الشعر الحديث يختلف عن الشعر القديم في طريقة استخدامه للصور».

والوضح من هذه العبارة أن هناك عطاءات كثيرة تمنحها الظروف والعصر تلون الصور الأدبية، وتجعلها متوائمة مع عصرها وظروفها. وإذا كان القدماء لم يستخدموا مصطلح الصورة الشعرية، فإن ذلك لا يعني أنهم لم يعرفوا عنها

شيئاً ، لقد عرفوها ولكن بمصطلحاتهم البلاغية القديمة من تشبيه واستعارة وكناية .

ويرى بعض النقاد(٥٦) «أن هذه الفنون البيانية تُعد من الأعمدة الرئيسية للصورة ، إلا أن القدماء لم يربطوا ربطا واضحاً بين مصطلح الصورة أو التصوير وبين هذه الفنون البلاغية» .

والرد على ذلك هو ، كيف نفترض ضرورة أن يستخدم القدماء مصطلحاً بعينه ، وإلا اتهموا بأنهم لم يربطوا بين فنونهم البلاغية وبين مصطلح الصورة الذي نحن بصدده ، تمهيداً لدراسة ذلك في شعر محمد الفايز ، الذي يتجلى فيه لونا التصوير البلاغي القديم ، والصورة الشعرية المعاصرة ، على ما سنرى فيما بعد .

إن الجاحظ مثلاً عندما طرح عبارته الشهيرة «المعاني مطروحة في الطريق ، يعرفها الأعجمي والعربي ، والقروي والبدوي» كانت العبارة هذه صيحة . والصيحة يقصد بها المواجهة والتصدي لما يشبه الغفلة والتخوف مما يشبه الهلكة والتصدع .

عبارة الجاحظ أشبه بنداء قوى لا يخلو من الصخب . وقد أوشكنا أن ننسى هذا الجانب . ألا ترى الجاحظ أرسلها حرة طليقة لا تعبأ بأية مقاومة يمكن أن تقف في سبيلها؟»(٥٧)

لقد كان صوت الجاحظ هنا جهيراً ، لأن عقله مهموم متطلع إلى التحرر ، فراح يقرع كلمة المعاني بكلمة التصوير ، لأن بينهما تقابلا من وجهة نظره ؛ ولذا قال : «وإنما الشعر صياغة وضرب من التصوير» .(٥٨)

هنا أؤكد أن التصوير ، أو استخدام الصورة ورد عند قدامى النقاد ، وإن كان يختلف عن التصوير في الرؤية النقدية المعاصرة . ولكن هل كان استخدام التصوير تخفياً أم توضيحاً؟ أعتقد أن التصوير في رأي البلاغيين القدامى كان للتوضيح ، بدليل أن الغرض البلاغي من استخدام التشبيه مثلاً هو زيادة المعنى إيضاحاً وتبييناً ، وأما عند المعاصرين فقد يكون للتخفي أو الترميز الذي يتضح

بعد البحث والاستقصاء .

إلى هنا وأدخل إلى عالم الشاعر محمد الفايز لأتناول التصوير عنده ، والكشف عن هويته البلاغية ، هل كان توضيحاً أم تخفياً؟

لئن كان التخفي -بعض الشيء- في التصوير عند محمد الفايز ، فإنه إنما كان يستخدمه للتجميل والإظهار ، ولكن بطريقة غير مباشرة ، فالمباشرة ليست مطلوبة في كل مراحل الأداء الفني ، كالحسناء التي تتخفى وتظهر من وراء أستار تعلنها حينا ، وتخفيها أحياناً أخرى ، من أجل إحداث مزيد من التأثير .

لقد استخدم الفايز التشبيهات والاستعارات ، لأنها القدر المتاح من وسائل التأثير ، وإحداث المتعة الجمالية . من صوره التشبيهية قوله(٥٩) :

- سرجُ الصواري في العباب كأنها
نجم تكسر فوقها وشرار
- والساخرين من الجفاف كأنهم
فوق الرمال سنابل وجرار
- وكأنهن وللجرار تدفق
غيماتُ وردٍ فيضُها مدرار

وقوله أيضاً (٦٠) :

- أكادُ أشهقُ من شوق يمزقني
إذا خطرت أمامي مثلما الألق

وكذلك(٦١) :

- تلظت كتنُّور كبيرٍ فرمْلها
جُسوم قُبيل البعث في نارها تشقى

وكذلك استخداماته التشبيهية بطريقة شعر التفعيلة أو «الشعر الحر» حيث

يقول :

- في أضلعي الكلمات تولد كالقناديل الصغيرة[٦٢]
- وأضلعـي حزينـة كغيمـة المســـاء[٦٣]

ويقول أيضا :

- وأرى الندوب كأعين الموتى كأوراق الخريفْ
  في صدره الواهي الضعيف
  ويروح يلمسها كآثار قـديمة
  بأصابع مثل الـعيونْ [٦٤]
- وفتيـلُ مسرجة كأهداب الضريرْ
  ووميض مفرقها كخط من نجومْ [٦٥]
- يا للملاءة والعباءة . . .غيمتـانْ [٦٦]
  في أفق أيامي
  والأرض لولا الحب قبر من جليد

وكذلك :

- وذكرت «طيبة» عندما انتفضت ضلوعي
  كالحمامة في الصباح [٦٧]

- البحر أسود كالزنوج
  يا أيها النجم الحزين كعيـن والدتي العجوز[٦٨]

- وكقطة صفـراء تبـدو الشمس فـي عينيَّ
  في ذاك الصباح
  وفؤادي الحزِن الصـغير

صندوق آلام تحطم من زمان (٦٩)

- والأفق أسود كالعيون المطفآت (٧٠)

- وكملتقى النهرين يرتفع «النهام» مع الغناء (٧١)

- وشراعنا عند القلوع
رئة تعرّت من ضلوع (٧٢)

لقد كان الفايز مشغوفاً باستخدام التشبيهات على نحو يتميز به عن معاصريه . بل إنه يكاد يكون شاعر التشبيه في الشعر الكويتي المعاصر ، نظراً لما شغله هذا الفن من مساحة في إبداعه الشعري . ومع هذا فإنه لم يغفل الطرف الآخر من التشبيه وهو الاستعارة ، على أساس أنه تشبيه حذف أحد طرفيه .

يقول في استعاراته (٧٣) :

- إيه رمال الشمس ، أي غمامة
قد فجرتها تحتك الأقدار
سال السنا من راحتيك ، وأبرقت
فيك الرمال ، وأمطرت أحجار
وعلى الضفاف سفينة مهجورة
يبكي على ألواحها مسمار

ومن شعر التفعيلة من الاستعارات قوله :
- لا . . لم يمُت حرف يغني للحياة
غيمة هطلت حروفاً . . . أغنيات (٧٤)

- كلماتنا انتحرت على صنم وجيد

وكذلك :

- وعلى جدراننـا الفجر يموت
والـــريـاح . .[٧٥]

- أبدا تطاردنـي علـى ظهـر السفينة [٧٦]

- الشمس في عينيه ماتت مثلما مات العبير[٧٧]

- الفجر تحمله السفين [٧٨]

- الأرض تطردنا ، وتلفظنا البحار
للقاع ، أو لسواحل ظمأى تعربد في مجاهلها الرياح [٧٩]

لقد تعمدت إيراد هذه النماذج المجتزأة من السياق ، وإن كان هذا الاجتزاء يخل بنقل الإحساس والإيحاء العام بجو النص ، إلا أنني أردت أن أبرز جانب التخفي وراء الصورة البلاغية ، التي تأخذ مسماها القديم : التشبيه ، الاستعارة ، والذي يظل مسحوباً على عبارات الشعر الحديث .

الشاعر الفايز مغرم بالصور البلاغية ، والتشبيهية منها على وجه الخصوص ، إنه يقول[٨٠] :

الليل يطبق فوق حارتنا الحزينة ، والنجوم . .
زرقاء لاهثة كألسنة ظماء
وأنا ووالدتي ، وموقدنا المرمد لا يزال كرأس والدتي العجوز
فيـه بصيص من لهيب سوف يطفئه الزمان

قد أبحرت سفن المغاص وأنت باق ، والرغيف
كحمامة بيضاء تقطن في البحار

إن الشاعر هنا يصور المعاناة في البحث عن لقمة العيش ، في ماضي مدينته معتمداً على الصورة الحقيقية حينا والتي تأتي بالمعنى المباشر ، وعلى الصورة المجازية حيناً آخر والتي تأتي بالمعنى متخفياً وراء التعبير ، الذي يدعو إلى إعمال الذهن في الكشف عن الصورة .

لقد أظلم الليل ، وغطى الحارة الحزينة التي يعيش فيها البحار ، وصفاء النجوم الزرقاء لا يحمل دلالة جمالية عند البحار ، لأن ذلك يُؤْذن بالجفاف ، لدى غياب السحب ، وجمال التعبير المتخفي في وصف النجوم بأنها لاهثة ، وتشبيهها بأنها كالألسنة الظمأى ، جمال هذا التعبير في أنه يكشف المعاناة والتعب ، اللذين كان يشعر بهما البحار آنئذ .

ولقد أكد هذا التشبيه «كألسنة ظماء» الاستعارة في قوله : «الليل يطبق» .
وتمتد جماليات الصورة عند الشاعر الفايز في قوله : «الموقد المرمد» ، الذي كادت النيران تنطفئ به ، وأصبح رماده كرأس والدته العجوز ، التي يوحي لون شعرها باقتراب نهايتها ، كما يوحى «بصيص اللهيب» بقرب انطفاء الموقد .

هذا جانب من التصوير العام أما معادله الموضوعي فهو في السطرين التاليين :

قد أبحرت . . .
والرغيف . . كحمامة بيضاء

إنه ليس من طريق أمام الشاعر لمواجهة الحياة إلا البحر ، إن الصيد يتم في بيئة شحيحة التربة ، أهلكها العطش ، فأصبح الرغيف كالحمامة البيضاء المحلقة فوق البحر ، والتي لا تستطيع السيطرة عليها . وربما أراد الشاعر بالحمامة نوعاً من السمك الأبيض ذي الزعانف الصفراء .

وعلى أية حال فخيال الشاعر هنا محلق جميل ، يتخفى وراءه ليأتي لنا بالصورة أكثر جمالاً ، مما لو كان قد استخدمها استخداماً مباشراً .

وإذا كانت دروس البلاغة قد أشارت إلى «التشبيه المقلوب» كلون تتخفى فيه الصورة لتصبح أكثر وضوحاً وجلاء ، فقد لجأ إليه الشاعر الفايز لا ليتلاعب بالصورة ، ولكن ليحسن استخدامها ، ليكون في تخفيها اقتراب أكثر وجمال أكبر يقول :

. . .

– والنهـــار (٨١)
سيطل مثل عيونها

– الشمس تشرق في الخمائل (٨٢)
كعروسة شقراء

– الشمس في الآفاق كالإيمان في قاع النفوس (٨٣)

– وكقطة صفراء تبدو الشمس في عيني (٨٤)
في ذاك الصباح

إنه يرمي إلى زيادة الإحساس بغرابة الصورة ، من خلال محاورة طرفيها ليكون المشبه مشبهاً به ، مع الاحتفاء بألفاظ الضوء :

الشمس/ تشرق/ شقراء/ الصباح ، ليشير ذلك إلى أن الشاعر الفايز كان شاعر التصوير الضوئي ، الذي انتشر في معظم شعره .

المعجم الشعري واللغة الفنية عند «الفايز» :

إن الأصالة من التعبيرات النقدية الشائعة ، والتي أخذت نصيباً وافراً من البحث والنقاش . فالبعض يرى أن الأصالة هي العودة إلى التراث ، أو الحفاظ عليه ، وقد يكون هذا جانباً من إيحاءات اللفظة ، لكنني أميل إلى القول : بأن الأصالة تمثل نمطاً من التفكير والتعبير ، لا يتطلب رفضاً للمواصفات ، فإنها مستمرة في الفترات المستقرة ، وكذلك في فترات التغيير المستمر .

وعلى هذا ، فالأسلوب الشعري لابد أن يتواءم مع هذا الذي طرحناه ، فقد تعودنا على اختلافات الأسلوب الشعري ، والتي يدركها كل إنسان إلى الحد الذي قد يكون بإزائه أقل تجاوباً مع التنويعات التي تمثل رهافة بالغة داخل الشكل ، وهو ما يدركه العقل والأذن ، اللذان تعودا على هذا الشكل ، «غير أن الأصالة عندما تغدو هي الفضيلة الوحيدة ، أو أكثر الفضائل نيلاً للتقدير في الشعر ، قد تتوقف عن أن تكون فضيلة على الإطلاق . وعندما يتوقف عدة شعراء ، وكذلك مجموعات المعجبين بهم عن أن يشتركوا في أي معايير للنظم ، أو أي تطابق في الذوق ، أو أية معتقدات ، فقد يتدهور النقد حتى يغدو إعلاناً عما يفضله الناقد»(٨٥) .

ثم أن هذا الناقد – أيّ ناقد – يخضع – دون إرادته – لردود ثورة المعلومات ، والذي يجعلنا نتساءل فيما يجرى في إطار اللغة ، من ثورة في التنظير اللغوي المصاحب لثورة التكنولوجيا المتقدمة ، وإنجازاتها في تطبيق أساليب الذكاء الاصطناعي ، وعلوم المعرفة ، وتكنولوجيا الأعصاب ، وإكساب الآلة المهارات اللغوية من اشتقاق ، وتصريف ، وإعراب ، واختصار ، واستخلاص ، وفهرسة ، بل تأليف النصوص نفسها .

وليس معنى هذا الذي عرضته أن نختصر نظرتنا النقدية في صياغة ، أو تركيب ، فإنني ممن يميلون إلى ضرورة تناول الأعمال الفنية بفاعلية واقتحام ، دون أن يحرمنا ذلك من الحرية والنمو ، لأننا – فيما أرى – نكتسب الحرية بل نتعلمها من خلال تجارب التأويل .

«إنني أحب أن يخاطبني العمل كشخص ، لا كتركيب ذهني معين»(٨٦) ،

ويدفعني ذلك إلى القول : بأننا لا يمكن أن نختصر العمل الأدبي في تركيب ، فنبدي إعجابنا ببلاغة جزئياته منفردة ومقتطعة من السياق ، لأن ثمة إمرارات كثيرة يمكن من خلالها تناول النص دراسة وبحثاً ، قد يكون ذلك من خلال تخمين مؤقت ، أو تساؤل هيِّن ، أو مغامرة دافعة ، دون أن يبعدنا ذلك عن إثارة التساؤل الراغب المتفائل الحذر ، حتى لا نقع - بالرغم منا- في دائرة القنوط المتعالي .

إن اللغة دائماً لديها قابلية المشاركة من قارئ معاصر لعمل تراثي ، أو من مبدع معاصر إلى شكل تقليدي «فالماضي متسرب في الحاضر ، ونحن-من خلال الفهم - نقيم جسراً بين العمل الإبداعي الذي نقرؤه ، وبين مواقفنا المعاصرة ، ومن هنا فإنه ليس للعمل الإبداعي تناسب مع عالم خاص ، لأنه يتغير بتغير نظرة القارئ ، أو الناقد الفاحص المتأمل .

كان لابد من ذلك الذي هيأت به من أجل الدخول إلى عالم الشاعر محمد الفايز الذي يمثل - من وجهة نظري - عالماً جديراً بالتأمل والدراسة ، وإخضاعه لجميع الرؤى الفنية . وسوف يكون من المناسب هنا أن نبرز المعجم الشعري للشاعر من خلال اللغة الفنية التي تكون مفردات التصوير عنده . يقول محمد الفايز(٨٧) :

ظمـــآن أين منابعي ومناهلـــي
لا شيء غيـر سبـاسب ومـجـاهل
لا شيء غـــيـــر الليل في أبعـــاده
وبصـيص أنجـمــه رمــاد قنادل
وكـــأنني ، وأنا بعـــالم واقـــعـــي
أبداً أعـــيش على هوامش راحل
مـــتـغلغل ، وكـأنني مُـذ أرتقـــي
أبداً أراني في مـــهـــاوي واغـل
وقــد احــتــرقت مع الحـروف وها أنا
بقــيــا رمــاد أضــالع ومــفــاصل

وإذا اشـتكت نفـسي الظمـا فلطالما
قـد كنت أشكو من نميـر مناهلي
يا ضـيـعـة العـربي!! لا صـحـراؤه
تجـدي ، ولا أعـشـاب ربْع آهـل

إن الماضي هنا متسرب إلى الحاضر ، فهموم العربي ممتدة ، والشاعر يعود إلى منابعه ومناهله ، فلا يكاد يعثر إلا على سباسب ومجاهل ، وأرجح أن الشاعر استخدم ألفاظاً توحي بالسلفية ، ولكنها - بالتأمل- تدخل إلى عالمنا وقضاياه المعاصرة .

إن العـمل هنا لم يمثل تركيباً ذهنياً ، بل إنه يكاد يقف أمامنا كشخص ، كما قال رينيه وليك في سطور سابقة .

وقد اعتمدت معظم الأبيات على الطباق والمقابلة ، اللذين استطاع الشاعر من خلالهما إبراز صورة شعرية موفقة ، اعتمدت على معجم خاص به ، وظف مفرداته عبره توظيفاً فنياً .

إن الحياة الجديدة منحته الرخاء ، ولكنه - معه - يشعر بالظمأ ، بل بالضياع ، وهذا ما دفعه إلى البحث عن مناهله القديمة . وأية منابع تلك؟ إنها القيم الأصيلة ، والعواطف النبيلة .

ويأتي التشخيص ليكون سمة فنية تَمْتَح من معجم الشاعر ألفاظاً ذات دلالات فنية ، تنقل المجرد إلى محسوس ، «ومظاهر الطبيعة الجامدة إلى كائنات حية تحس وتتحرك وتنبض بالحياة»(٨٨) .

إنها الروح الرومانسية التي استندت إلى هذا الأسلوب ، إن الطبيعة بمظاهرها ومكوناتها تشاركهم المشاعر المفرحة والمحزنة ، «وكانوا في مقابل ذلك يحسون خريف الطبيعة يعصر قلوبهم ، وربيعها يملأ نفوسهم فرحاً وغبطة»(٨٩) . وهذا التشخيص يعد تطوراً ملحوظاً في حركة الشعر الكويتي ، والذي اتسع على يد شاعرنا محمد الفايز الذي يقول :

- في أضلعي الكلمات تولد كالقناديل الصغيرة (٩٠)
. . . وأفكاري تطوف
كالمسارجْ
كالهوادجْ

- . . . والسماءْ
حقدت علينا يا «أمينةْ» (٩١)
- والفجرُ تحمله السفين(٩٢)
- والريح كالراعي الذي ألقى عصاه (٩٣)
- الأرض تطردنا ، وتلفظنا البحار (٩٤)

وهناك أمثلة أخرى في الشعر الكويتي ، إلا أنها في المعظم تجلت في شعر محمد الفايز . يقول(٩٥) :

وعلى الشاطئ من أمس سفينه
أبحرت تبحث عن مرسى وعادتْ
مثل أفكاري حزينه

وكذلك قوله :

أكاد أشهق من شوق يمزقني
إذا خطرت أمامي مثلما الألق (٩٦)

وقد ورد ذكر هذا البيت مع تكملة له في صفحة سابقة ، في ثنايا هذا البحث .

ويقول أيضا :

- والقصر تحت الفجر يبرقُ مثل فجرٍ من رمال (٩٧)
- . . . والمجاديف الطويلة

تحت الضلوع الناتئاتْ
تحت البطون الخاوياتْ
رفسات عفريت تخبّط[٩٨]

إن عودة السفينة أفكار حزينة ، وتحولت صورة حبيبته ألقا ، عندما تخلصت من كثافة المادة ، والصواري ضارعة ، والقصر فجر . ولكن الشاعر يعود إلى الجانب المادي فيقول إن الفجر من رمال .

ونظراً لأن شاعرنا اعتمد على التشبيه أكثر من اعتماده على الاستعارة فقد تأبّت عليه العبارات - إلى حد ما- عندما حاول استخدام التشخيص والتجريد ، وأرى أن وجود أداة التشبيه هو الذي وقف حائلاً دون تحقيق الاندماج المطلوب بين طرفي الصورة الشعرية .

إنني أشعر من خلال هذه الإشارات أن الخيال الشعري قد تطور لدى شعراء الكويت في تلك الفترة ، وأخص منهم الشاعر محمد الفايز موضوع دراستنا ، ومن ثم كان التطور في تشكيل الصورة .

ويظل البصر صورة فاعلة في التصوير أكثر من مشاركة الحواس الأخرى ، وهذا مدخل إلى تأثر الشعراء الكويتيين ، وبخاصة الفايز بالشعراء العرب المجددين يقول[٩٩] :

فتحت للنور أبوابي ونافذتي
وللجمال أساريري وأغواري
في أضلعي ألفُ ينبوع لأغنية
وفي يدي مشعل من قمة النار
ظمئت يا شاربي الكاسات من عطشى
وجعت يا سارقي قمحي وأثماري
أسفت أن شباباً رحتُ أمطره
على الظماء وإني الظامئ العاري

على الرمـال قناديلـي مــحطمـــة
وفي الصـخـور بقـايا بعض قـيـثـاري
كــأنني زهرة في عطرها اختـنقـت
أو مُــحــرب نصــرهُ قـــد آل للعـــارِ

وتجدر الإشارة هنا إلى ما سمي عند الرومانسيين «تراسل الحواس» ، وهو لون من ألوان المجاز ، يقوم بدور غير معلن في إثراء الصورة الشعرية . إن الشاعر كأي إنسان يواجه عالمه الخارجي والداخلي من خلال حواسه ، ولكنه يختلف عن الناس العاديين في أنه يتعامل مع حواسه دون تحديد لدورها ، فقد يرى ما لا يراه غيره ، وقد يسمع ما لا يسمعه غيره ، وقد يشم ما لا يدركه غيره .. وهكذا . إن هذا مجاز بمعنى أو بآخر يأخذ فيه الشاعر من معجمه الشعري ، ويعجنه بلغته الفنية ، ليكون معجوناً خاصاً به « لا بجامع شكلي ، بل بجامع نفسي ، هو وحدة الأثر النفسي في المجالين . ولا غرابة في ذلك ، فالأثر النفسي الواحد يمكن أن يتولد في النفس الواحدة عن طريق عدة منافذ من منافذ الحس . ولما كان بعض تلك المنافذ أصلح وأوسع من بعضها الآخر في إحداث أثر نفسي معين ، فقد أصبح من الممكن أن تنقل صفة من مجال إلى مجال آخر ؛ لأنها أقدر على الإيحاء بذلك الأثر النفسي المعين»(١٠٠) .

ولقد تأثر الشعر الكويتي بهذا التراسل بين الحواس ، من خلال القراءة المثمرة للإبداع الغربي والنقد المصاحب له : إن النور يشرب ، والعطر يسمع ، والصوت يرى .. إلى آخر هذه الصور التي بدأت تشيع في الشعر الكويتي . وعلى الأخص عند الشاعر فهد العسكر :

«لقد أصبحت المعاني تتجاوب مع المحسوسات ، بعد أن أصبحت جزئيات الواقع تستعير من الإنسان صفاته البشرية»(١٠١) . ولقد جاء ذلك تناغماً مع العناية بالحواس الأخرى مشاركة للحاسة البصرية . يقول الشاعر محمد الفايز :

- والشمس ما ضاعت ليشرب نورها

قبر ويسكن شرقها حفار(١٠٢)

- عـن غـادة سمراءْ

تشرب مـن عيونها الضياءْ(١٠٣)

- كل نفسٍ وما يعربدُ فيها من أمانٍ خفية خضراءِ(١٠٤)

- صوت الدفوف يرن في أذني فتشربه الضلوع

من الحنين(١٠٥)

- يـا أشهى العطور

- سلام على مجلس في الظلامْ

تنوِّرهُ أغنيـاتُ الوتـر(١٠٦)

إنها صور تحمل وسامة الجدة ، وتمثل تيار التطور والتجديد في الشعر الكويتي المعاصر ، وتلمح-لدى قراءتها-أن بها ملامح جمال ، وظلال إيحاءات مستمدة من فكرة التراسل .

فـهـذا الفـايز وقد جـعل النور والضـيـاء يشـربان ، وصـوت الدفـوف تشـربه الضلوع ، والعطور شهية ، والأغنيات منيرة .

كل هذه الصـور تشي بالوعي بجـمـاليـاتهـا ، وهو الوعي الذي نشـر روح التجديد ، وجسّد الصورة في إطاره .

إن المعـجم الشـعري لأي شـاعـر يتكون من مـفردات بيـئـتـه الاجـتـمـاعيـة ، ويثري هذه المفردات بثقافته الخاصة ، واطلاعه المتواصل ، الذي يؤدي-في النهاية- إلى مساحة فنية باختلاف ما اكتسبه الشاعر من خلال هذه المعطيات جميعاً .

وهنا أطرح تساؤلاً ، وهو : إن هذه البيئة ليست قيداً على الشاعر ، فقد يجمح خيال الشاعر ، فيشكل صورا رومانسية قد تبدو منبتة الصلة ببيئته ، وإن كنا نلمح درجة من الخصوبة والإيحاء الجميلين في شعر الفايز ، لم تصل إليهما مرحة من مراحل التطور الشعري في الكويت حتى اليوم .

أفاد الفايز من البيئة البحرية والبرية ، فكان البحار هو الوسيلة إلى تصوير أجواء تلك البيئة ، وكشف صورها النادرة . ولولا خياله الخصيب الذي امتزج بمخزونه البيئي والمعجمي ما كان ذلك النجاح الذي تناولناه قبلاً في شعر الفايز في «مذكرات بحّار» .

وكما صور الفايز العالم البحري ، اهتم بالحديث عن صبا البحَّار ، حين كان يقيم بالمدينة ويتوقف عن الغوص والسفر ، يقول مصوراً :

- تلظت كتنور كبير فرملها
جسوم قبيل البعث في نارها تشقى (١٠٧)
- السوق يبرق مثل خط النار
- وعلى ظهور جمالنا الظمأى تحجرتْ القرابْ (١٠٨)
- والبركُ الحزينةْ
- بدأت تفتحُ مثل أفواهِ الجياعْ (١٠٩)
- إني أكاد أشم في تلكَ الرمالْ
مسرى خيولهم الأصيلة حين تذهب للقتالْ
وقراب نوقهم الحزينة حين يسكرها الحداءْ
وخيامهم تحت الشموس ، وقهوة عند المساءْ(١١٠)
- ننسل كالفئران حين يغيب سيدنا
وفي غده القريب
«الفلقة» الملعونة الرقطاء كالأفعى الكبيرة
تطوى على أقدامنا السود الصغيرة
ورقابنا لما تميد على الكتاب
مثل الدلاء الفارغات (١١١)

لقد وفق الشاعر في هذه التجربة في الربط بين طبيعتها والأدوات الفنية ، التي احتلت الصورة زاوية هامة منها ، يذكرنا ذلك بما طرحه الدكتور محمد

النويهى (١١٢) :

«لم يَسْمُ الشعر الجاهلي إلى الذروة الفنية العالية التي بلغها ، إلا لكونه تنفيساً صادقاً ملتهباً ، وتصويراً مخلصاً وفيا ، لبيئة الجاهليين وحياتهم ونفسياتهم ، بكل ما كان فيها من محاسن ومساوئ ، وكل ما حددها من حدود مادية وفكرية واجتماعية» .

إلا أن بعض المبالغات التي وردت في أشعار فترة الفايز لم تَخْلُ من تأثير على الصدق الفني ، ولكننا نضع له العذر فيما سنورده من شعره في مجال الدفاع عن الوطن يقول(١١٣) :

سكبوا الدماء على الرمال فأزهرت
فكأنها بعطائها الأمطار

ثم يستطرد :(١١٤)

الشمسُ للبدوي حيث جمالُهُ
وحُداؤه في البيد والأشعار
الشمسُ للخباز حيثُ عجينهُ
وغناؤه ورغيفه الدوارُ
الشمسُ للفلاح حيث بذورهُ
والتربة السمحاءُ والأنهار
الشمسُ للصياد حيث شباكهُ
وخيوطه والساحل الموار

فالمبالغة في «سكبوا» واضحة ، كما أن جموح الخيال في البيت الثالث ، لدى حديثه عن «الفلاح» ، لم يربط بين الشاعر والبيئة ، لأنه إذا كانت هناك بعض الزراعات في الكويت ، فأين الأنهار التي تحدث عنها الشاعر ، والتي أرجح مجيئها من أجل القافية

ويقول الفايز(١١٥) :

والأرضُ كـالإنسـان فـيـه مـحـبـة
وبه جـحـيـم الحـقـد والإيثـارُ

وأرى أن كلمة «الإيثار» هنا أقحمت من أجل القافية ، لأنه عاد إلى محبة المحبة بعد أن تجاوزه فيما سبق . وكذلك قوله(١١٦) :

والسواحلُ من بعيدْ
تبدو لنا صفراء تعكسُ كَلّ ما فينا من الشوق الشديدْ

لقد اضطر الشاعر إلى الربط بين الصفرة والشوق الشديد ، ارتباطاً بلون الرمال المنتشرة في البيئة الكويتية ، وإن كان اللون الأحمر هو الأكثر ارتباطاً بالشوق .

يقول الفايز(١١٧) :

... وتضطربُ السفينةْ
كضلوع مومسةٍ تؤرقها خطاياها الدفينةْ

إن ثمة تباعدا بين طرفي التشبيه ، بل إنه لا التقاء بينهما فاضطراب السفينة شكل يخضع لظروف الجو الذي قد تنقلب رحلة السفينة فيه إلى ريح رُخاء طيبة ، بينما ضلوع المومس لدى اضطرابها تكون ترجمة للإحساس بالذنب الذي لا يبرح شعور المومس .

ويقول(١١٨) :

والبـحـر مـثـل ضـمـيـر جـلاد
كـآدم حـين أغـوتـه الحـيـاة

إن رؤية الشاعر هنا أن البحر قاسٍ كضمير جلاد ، لأنه يجمع بينهما عدم الشعور بآلام الآخرين . والصورة هنا مقبولة ، ولكن الامتداد بها للحديث عن آدم حين أغوته حواء ، وجعله طرفاً في الصورة التشبيهية فيه كثير من التجاوز

الذي نشعر به بإزاء الاعتزاز بانتمائنا الآدمي ، لأن أبانا آدم كان ذا شعور وإحساس ، ولكنه -بالقدرية- لم يكن يعلم أنه سيكون سبب الشقاء الآدمي .

وقد تتساوق أشعار الفايز لتخلو من الاستخدامات المجازية أو تكاد ، وهذا الأسلوب معروف منذ القدم ، ولا داعي للدخول في تفصيل هذه الفكرة يقول الفايز(١١٩) :

البحرُ أجمل ما يكونْ
لولا شعوري بالضياعْ
لولا هروبي من جفاف مدينتي الظمأى وخوفي أن أموتْ
عريانَ في الأعماق أو في بطن حوتْ
إني أحاذر أن أموتْ
لما أفكر أن لي بيتاً ولي فيه عيالْ
لما أحس بأن في الدنيا جمالْ

إن الشاعر هنا لم يستخدم الأسلوب المجازي إلا في قوله : «لولا هروبي من جفاف مدينتي الظمأى» ، مع إيماني بأن دور المجاز يبقى موحيا ، مُشع الظلال في البناء الشعري .

وقد يدخل الموروث بمفرداته ليكون ذا تأثير في المعجم الشعري للشاعر ، بل ويؤثر في أدائه الفني ، والفايز رائد في هذا المضمار يقول(١٢٠) :

قرننا العشرون هذا لا خيالُ الشعراءْ
خمرة الخيام جفت،
والنواسي من البصرة جاءْ
قصرهُ حفنة رمل وأغانيه بكاءْ

واستخدام الموروث ، واستدعاء شخوصه لابد أن ينتقل بأسلوب الشاعر ، وأدائه الفني «من صيغة التعبير عن الموروث إلى صيغة التعبيرية»(١٢١) ،

والصيغة الأخيرة هنا لم تظهر في الشعر الكويتي إلا في فترة متأخرة ، ويمثلها محاولة الشاعر الفايز في قصيدته «أربع أغنيات لجارية القصر» ، فالجارية تراقب الموقف في القصر ، ومن خلال حكايات شهرزاد يستسلم الملك ، وينسى قضايا مملكته .

إن الشاعر في فكرته يخالف الموقف التراثي لشهرزاد ، والتي كانت تسعى لتخليص بنات جنسها من كارثة ، إلا أن ثمة رؤية أخرى لهذه الإلماحات ، فهذا العرش المضيع يمثل حقوق العرب الضائعة ، واستسلام الملك لحديث «شهرزاد» يمثل هذا السيل من المفاوضات غير الجدية ، التي تخدع الموقف العربي .

عناق الموسيقى والتعبير

يمثل الشعر دوراً رائداً في تسجيل التراث التاريخي للشعوب ، ويكشف عن مدى فاعليته ، تأثيراً وتأثراً ، مع حصاد الفكر الإنساني العام ، وهنا يكون الحديث عن الارتباط الوثيق بين الشكل والمضمون ، أو بين الفن والواقع ، باعتبار الفن أداة إيجابية في حركة المجتمع . والشعر ذو طبيعة تكوينية ذاتية مستقلة تعكس فردية الشاعر ، عبر مؤهلاته الذهنية وخبراته الجمالية ، وقدراته النفسية ، وكلها عوامل تشارك في معركة الحضارة ، باعتبار الفن الشعري أحد عواملها التي تمثل حركة إيجابية ، ذات فعل له قوانينه الداخلية الخاصة به .

والفارق الواضح بين الشعر والنثر هو الموسيقى ، وقد فطن أرسطو إلى ذلك «حين نبه إلى خطأ إطلاق لقب الشاعر على من ينظم نظرية في الطب أو الطبيعة»(١٢٢) ؛ لأن الخضوع للأوزان الخليلية ليس المقياس الوحيد للإبداع الشعري ، ثم لأن هذه الأوزان وضعها الخليل بن أحمد في تؤدة وتأنٍّ خلال سنوات عديدة ، استقراء للأشعار في زمنه وقبل زمنه ، ثم عدل وغير ، وحذف ، وأضاف ، حتى استقر على الشكل الذي وصلنا .

ولعلي من هذا أخرج بمبرر الانتقال من الأشكال التقليدية في الشعر ، إلى

الشكل التفعيلي ، القائم على التفعيلة الواحدة ، المسمى بالشعر الحر ، وهو تعبير لا أميل إليه ، لأن هذه الحرية تخلط بينه وبين الشعر المرسل ، أو النثر الفني ، وهو ما يبرأ منه هذا اللون الذي يعتمد على تكرار التفعيلة الواحدة من الأبحر متواترة التفعيلات ، وإن كانت الشاعرة نازك الملائكة قد استخدمت لدى حديثها عن بدايات هذا اللون من الأداء . تقول[١٢٣] :

«كذلك أحب أن أثبت اعتقادي بأنني لو لم أبدأ حركة الشعر الحر ، لبدأها بدر شاكر السياب يرحمه الله ، ولو لم نبدأها أنا وبدر لبدأها شاعر عربي آخر غيري وغيره ، فإن الشعر الحر قد أصبح في تلك السنين ثمرة ناضجة حرة على دوحة الشعر العربي حيث حان قطافها ، ولابد أن يحصدها حاصد ما ، في أي بقعة من بقاع الوطن العربي ؛ لأنه قد حان لروض الشعر أن تنبثق فيه سنابل جديدة باهرة ، تغير النمط الشائع ، وتبتدئ عصراً أدبياً جديداً ، كله حيوية وخصب وانطلاق» .

وقد تعمدت أن أورد ذلك المقتطف لسببين :

أولهما : أن بدر السياب عاش في الكويت في منتصف الستينيات ، وأسس هذا الاتجاه الحر في الشعر في الكويت .

ثانيهما : أن الشاعر محمد الفايز كان أحد تلاميذ هذه المدرسة هو وغيره مثل الشاعر علي السبتي وأحمد العدواني وغيرهما .

وقد اتجه شعراء الكويت إلى تجربة الشعر الحر ، مع عدم إهمال الشكل التقليدي ، فكان الشكل الجديد أوفر حظاً في عطائهم الشعري .

يقول الشاعر محمد الفايز من قصيدة له في رثاء الشاعر بدر شاكر السياب[١٢٤] ، وقد حرص الفايز على أن تكون القصيدة من النمط الذي كان قد بدأه السياب وكان فيه رائداً من رواد حركة الشعر الحر في الوطن العربي :

لا تدفنوه
هو لم يمت لا تدفنوه
هو في عيوني لا يزالْ

وبعمق أعماقي وفي بيتي ذيالْ
هو في عيون صحابه
هو لا يزالْ
حيناً يغنّينا أغانيه الطوالْ
الحاملاتِ الشمسَ في أبياتها

إن الفايز هنا يهتم اهتماماً بالغاً بموسيقى شعره ، ويعتمد في ذلك على التقسيم الجيد للتفعيلات التي اختارها لشكل قصيدته ، بل وبالتقفية الواضحة .

ونتفق مع الدكتور سالم عباس في أن الفايز قد لجأ إلى «التذييل» ، وهو زيادة حرف واحد على ما آخره وَتد مجموع ، ويدخل المتدارك والكامل ومجزوء البسيط ، وعلى هذا فإن وزن السطور الشعرية السابقة جاء كما يلي :-

متْفاعلن
متفاعلن متْفاعلن
متفاعلن متفاعلان
متفاعلن متفاعلن متفاعلان
متفاعلن متفاعلن
متفاعلان
متفاعلن متْفاعلن متفاعلان
متفاعلن متفاعلن متفاعلن(١٢٥)

ومن الواضح أنه استخدم التذييل استخداماً متوازناً ، أبرز الإيقاع الموسيقي من خلال (متفاعلان) المذيلة ، و(متْفاعلان) المضمرة المذيلة ، مما يشير إلى أن الفايز كان يهتم اهتماماً كبيراً بالبحور الصافية ، التي شغلت معظم قصائده ، والتي لم يلجأ إلى غيرها من البحور «الممزوجة» ، إلا في قصائده التي كتبها

بالشكل الخليلي .

وثمة قصيدة للفايز جمع فيها بين الشكلين الحر والخليلي هي المذكرة «العشرون» من «مذكرات بحار»[(١٢٦)] . والحقيقة أن المذكرة جزءان ، كتب كل جزء منهما في وقت مختلف عن الآخر . وقد اعتمد فيها على بَحْري الرجز والمتقارب ، ومع هذا فقد ظهرت المذكرة حاملة علاقة وثيقة بين نظاميها الموسيقيين وكأنهما نسق واحد ، تناول رسماً لأجواء الماضي ، واتسم بعناق حميم بين الإيقاع والتعبير ، ليحافظ على الإيحاء اللفظي ، والنغم والإيحاء النفسي .

ومع هذا فإن الفايز ظل طوال المذكرات التسع عشرة واقعاً تحت تأثير إيقاعات بحر الكامل ، بعيداً عن البحور الصافية ، ذلك لغرامه بالتلوين الموسيقي ، الذي يتناسب مع تصوير بيئة الماضي ، ولكي يخرج من الرتابة التي تحدثها التفعيلة الواحدة . مع ملاحظة أن البحر «الكامل» يتضمن تفعيلة «الرجز» عن طريق «الإضمار» ، الذي يجعل متَفاعلن متْفاعلن ، وهي تكافئ مستفعلن وهذا شعر الفايز الذي يدل على ذلك :

عندي خمور	(مستفعلان)
عندي عطور	(مستفعلان)
عندي بخور الهند ، يا تجار مكة ، يا ملوك	(مستفعلن مستفعلن مستفعلن متفاعلان)
عندي القلائد والأساور للجواري والنساء	(مستفعلن متفاعلن متفاعلن مستفعلان)
من يشتري أفراح بحّار يعود مع المساء	(مستفعلن مستفعلن مستفعلن متفاعلان)
الشمس في عينيه ماتت مثلما مات العبير	(مستفعلن مستفعلن مستفعلن متفاعلان)
والنور في بيت الخلا ، لولا حصير	(مستفعلن مستفعلن مستفعلان)

وبعد ،

لقد كان الفايز قامة شعرية باسقة ، تضعه في مصاف رواد الحداثة الشعرية في الكويت ، بل في العالم العربي . لقد استطاع-بفنه-أن يسبح في نهر المعاني ، وأن يزرع حقولها أنغاماً تعانق الأداء الفني الجميل . ولعل فيما قدمت إطلالة عن فنه وإبداعه ، الذي يحتاج إلى مطولات لا يسمح المقام بالولوج فيها ، لأنه علامة فارقه ومميزة في المشهد الشعري في الكويت . ولعل فيما قدمت بعض الوفاء لهذا الشاعر العظيم ، الذي أحب الكويت وأحب أمته العربية ، بل أحب العالم كله .

الهوامش

(١) الشاعر محمد الفايز رائد من رواد المدرسة الشعرية الحديثة في منطقة الخليج والجزيرة العربية وهو من مواليد عام ١٩٣٨ .

- أصدر العديد من الدواوين وهي : «مذكرات بحار» ١٩٦٢ ، «النور من الداخل» ١٩٦٤ ، «الطين والشمس» ١٩٧٠ ، «رسوم النغم المفكر» ١٩٧٣ ، «بقايا الالواح» ١٩٨٠ ، «ذاكرة الآفاق» ١٩٨١ ، «لبنان والنواحى الاخرى» ١٩٨١ ، «حداء الهودج» ١٩٨٢ ، «خلاخيل الفيروز» ١٩٨٤ ، «تسقط الحرب» ١٩٨٩ ، وبعد وفاته أصدرت ابنته شذا ديوانيه «خرائط البرق» ١٩٩٨ .

- كتب الفايز منذ عام ١٩٦٠ خمسا وأربعين قصة قصيرة نشرها في المجلات والصحف الكويتية في سنوات متتالية . وكتب مسرحية واحدة فقط من فصل واحد .

- تعلم تعليما متوسطا ولم يكمل تعليمه بعد ذلك .

- عمل موظفاً في وزارة الكهرباء والماء .

- عضو جمعية الصحفيين ورابطة الأدباء في الكويت ، وشارك بالعديد من المهرجانات الشعرية في معظم الدول العربية .

- توفى الشاعر عام ١٩٩١ ، بعد أيام من تحرير دولة الكويت من الغزو العراقي ، بعد أن كرمته شخصيات عديدة وحصل في هذا التكريم على جوائز تكريمية من مثل :

- تكريم الحاكم الراحل المغفور له الشيخ عبد الله السالم الصباح له بمناسبة أعماله المتميزة عن «مذكرات بحار» في الستينات ، وتكريم صاحب السمو الأمير جابر الأحمد الصباح حاكم دولة الكويت عن كتابته للأوبريت الغنائي الشهير الذي تغنى به طلبة وزارة التربية «رحلة السندباد» في الثمانينات ، وتكريم من سمو ولي العهد الأمين الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح عن جهوده الشعرية في ديوانه « تسقط الحرب» ، كما حاز على جائزة الدولة التشجيعية لأعماله الشعرية في يونيو ١٩٩٥ بعد وفاته من رابطة الأدباء الكويتية ، وحاز على شهادة الإبداع الشعري والأدبي في جائزة البابطين التي أقيمت في القاهرة ١٩٩٠/٥/١٧ ، وقد نال فيها المركز الأول نظير أعماله الأدبية . وحاز على تكريم من السلطان قابوس بن سعيد حاكم سلطنة عمان تقديرا لجهوده الشعرية تجاه السلطنة عام ١٩٩٨م .

راجع : نورية الرومي ، **الحركة الشعرية في الخليج والجزيرة العربية بين التقليد والتطور** ، ط ٣. (بيروت ، ١٩٩٩) ، ص ٤٦٣ ؛ ماضي الخميس ، **موسوعة أعلام الكويت** (الكويت : دار الحدث للصحافة والخدمات الإعلامية ، ١٩٩٧) ، ص ٣٠٨ ؛ عبد الله سالم الحميد ، **شعراء الجزيرة العربية** ، ط ١ ، ١٩٩٢ ، ص ٢٦٣ وما بعدها ؛ عبد الله أحمد الشباط ، **أدباء من الخليج العربي** (الخبر : الدار الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٩٩) ، ص ٢٩٦ ؛ العدد الخاص من **مجلة الكويت** ، العدد ١٨٥ (مارس ١٩٩٩) ، ص ص ٢٧ - ١١٤ .

(٢) محمد الفايز ، «شعور تحت العاصفة» ، **المجموعة الشعرية** (الكويت : مؤسسة الرياض للطباعة العامة ، ١٩٨٦) ، ص ٣٧٤ .

(٣) محمد الفايز ، «وطني الصمود» ، **خرائط البرق** (الكويت : شركة الربيعان للنشر والتوزيع ، ١٩٦٨) ، ص١١٦ .

(٤) عبد الرحمن العوضي ، «الغريب» ، **البعثة** (الكويت : يوليو ١٩٤٨) ، ص ١٥ .

(٥) خالد سعود الزيد ، **الهدف** (الكويت : ١٩٦٦/١١/٢٤) ، ص ٢٤ .

(٦) خليفة الوقيان ، «محنة الأدب في الكويت» ، **البيان** ، الكويت ، العدد ١٠٩ (ابريل ١٩٧٥) ، ص ٤ .

(٧) نورية الرومي ، **شعر فهد العسكر- دراسة نقدية وتحليلية** ، ط . ٢ (بيروت ، ١٩٩٩) ، ص ص ٢٤ - ٢٥ .

(٨) أحمد العدواني ، «حديث في لقاء» ، صحيفة **الهدف** (الكويت : ١٩٦٦/١٠/٢٧) ، ص ١٤ .

(٩) نورية الرومي ، **شعر فهد العسكر** ، **المرجع المذكور** ، ويمكن مراجعة الصفحات التالية : ٦٧ ، ٦٨ ، ١٦٥ ، ٢٧٨ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ .

(١٠) نشرت هذه المذكرات في الصحف عام ١٩٦٤ ، ثم أصدرها الشاعر في ديوان تحت عنوان **مذكرات بحار** سنة ١٩٦٥ ، وأعاد نشرها في ديوانه **النور من الداخل** بعد إضافة المذكرتين الحادية عشرة والعشرين .

(١١) يذكر د . علوى الهاشمي ، **الشعر المعاصر في البحرين** (بغداد : دار الحرية ، ١٩٨١) ، ص٥١١ أن الشاعر البحراني أحمد الخليفة تناول شخصية الغواص في قصيدته «أنشودة الغواص» التي تضمنها ديوانه الأول ١٩٥٥ .

(١٢) نورية الرومي ، **الحركة الشعرية . . . المرجع المذكور** ، ص ص ٤٦٣ - ٤٧٩ .

(١٣) «المذكرة الأولى : النور من الداخل» ، **المجموعة الشعرية** ، ص ص ٨ - ٩ .

(١٤) «المذكرة التاسعة : النور من الداخل» ، **المجموعة الشعرية** ، ص ٤١ .

(١٥) «المذكرة الخامسة : النور من الداخل» ، **المجموعة الشعرية** ، ص ص ٢٥ - ٢٧ .

(١٦) يمكن مراجعة وتحليل (محور الحب) في هذه المذكرات عند نورية الرومي ، **الحركة الشعرية . . . المرجع المذكور** ، ص ص ٤٦٣ - ٤٧٩ .

(١٧) سعاد عبد الوهاب ، «الاغتراب في الشعر الكويتي» ، **حوليات كلية الآداب بجامعة الكويت** ، الحولية الرابعة عشرة ، الرسالة الرابعة والتسعون (١٩٩٣/١٩٩٤) ، ص١٢٨ .

(١٨) «النغم الحادي والستون : رسوم النغم المفكر» ، ص ٢٢٨ .

(١٩) سعاد عبد الوهاب ، **المرجع المذكور** ، ص ١٣١ .

(٢٠) شاكر عبد الحميد ، **التفضيل الجمالي - دراسة في سيكولوجية التذوق الفني** (الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، سلسلة عالم المعرفة رقم ٢٦٧ ، مارس٢٠٠١) ، ص ٥٩ .

(٢١) محمد مندور ، **قضايا جديدة في أدبنا الحديث** (بيروت : دار الآداب ، ١٩٥٨) ، ص ٤ .

(٢٢) لويس عوض ، **دراسات في أدبنا الحديث** (القاهرة : دار المعرفة ، ١٩٦١) ، ص ٧٤ .

(٢٣) عبد العزيز حموده ، **المرايا المقعرة - نحو نظرية نقدية عربية** (الكويت : عالم المعرفة ، رقم ٢٧٢ ، أغسطس ٢٠٠١) ، ص ١٦٢ .

(٢٤) **النور من الداخل** (الكويت : مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٦٦) ، ص ١٢٩ ؛ ومجلة **العربي** (يوليو ١٩٦٦) .

(٢٥) «من بلاد الهولو» ، النور من الداخل ، ص ٨٤ ؛ **والرأي العام** (١٢ مايو ١٩٦٥) . الهولو ضرب من الغناء البحري ، والنهام مطرب السفينة .

(٢٦) «من بلاد الهولو : ضرب من الغناء» ، **النور من الداخل** ، ص ٩١ - ٩٢ .

(٢٧) النهام مطرب السفينة .

(٢٨) «من بلاد الهولو» ، **المرجع المذكور** ، ص٩١ .

(٢٩) محمد الفايز ، «لكم كرمكم» ، **النور من الداخل** ، ص ١٤٢ - ١٢٥ .

(٣٠) محمد الفايز ، «الفجر ومدينة البحار» ، **النور من الداخل** ، ص ص ٩٦ - ٩٨ .

(٣١) «أغنيات للحروف المحترقة» ، **النور من الداخل** ، ص ١٠٦ ؛ **الرأي العام** (٢٠ يونيو ١٩٦٥) .

(٣٢) «أربع أغنيات لجارية القصر» ، **النور من الداخل** ، ص ١٠٠ ؛ **ومجلة الكويت** (١٦ يوليو ١٩٦٥) .

(٣٣) «المسافر مع الأغنيات إلى فهد العسكر» ، **النور من الداخل** ؛ **ومجلة الكويت** (أول يونيو ١٩٦٥) .

(٣٤) «موت الشاعر» ، **النور من الداخل** ، ص ص ١١٨-١٢٠ ؛ **مجلة العربي** (يناير ١٩٦٦) .

(٣٥) «موت الشاعر» ، **النور من الداخل** ، ص ص ١١٨-١٢٠ .

(٣٦) «الليل والكلمات» ، **النور من الداخل** ، ص ص ١٢٨-١٣١ ؛ **ومجلة العربي** (يوليو ١٩٦٦) .

(٣٧) «الليل والكلمات» ،**النور من الداخل** .

(٣٨) «يا نار عينيك» ، **النور من الداخل** ، المجموعة الشعرية ، ص ص ١١١ - ١١٣ .

(٣٩) «المسافر مع الأغنيات - إلى فهد العسكر» ، ص ص ١٠٧ - ١١٠ .

(٤٠) «المتنبي» ، **النور من الداخل** ، المجموعةالشعرية ، ص ص ١١٢ - ١١٣ ، **ومجلة الكويت** (أول فبراير ١٩٦١) ، بعنوان «في ذكرى المتنبي» .

(٤١) «ما لم يقله المعري» ، **النور من الداخل** ، المجموعة الشعرية ، ص ص١١٦-١١٧ ، وقد ظل الفايز يراجع القصيدة ، ويغير فيها حتى كان شكلها بالديوان في صورتها الأخيرة .

(٤٢) من معارضي التسمية : محمد مندور ، **الأدب وفنونه** (القاهرة : دار نهضة مصر ، ١٩٥٧) ، ص٥١ .

(٤٣) ممن سمحوا بها : حسن محسن ، الشعر القصصي (القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٨٠) ، الفصل الأول من الباب الثاني ، وفيه تفصيل لهذا الموضوع .

(٤٤) د . جبور عبد النور ، **المعجم الأدبي** (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٩) ، ص ٢٦٥ .

(٤٥) محمد الفايز ، «المذكرة الأولى» ، **النور من الداخل** ، ص ٩٠ .

(٤٦) محمد الفايز ، «المذكرة الثامنة عشرة» ، **النور من الداخل** ، ص ٧١ وما بعده .

(٤٧) جبور عبد النور ، **المعجم الأدبي** (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٩) ، ص ٢٦٤ .

(٤٨) لا يعنى هذا أن كل مذكرة تختص بمضمون معين ، وإن كان هذا يحدث أحيانا ، لأن الشاعر في الغالب يجمع بين مضامين مختلفة في مذكرة واحدة ، كما ورد في المذكرة التاسعة عشرة ، فهي شريط من ذكريات منوعة .

(٤٩) «المذكرة الثالثة عشرة» ، **النور من الداخل** ، ص ٥٦ .

(٥٠) «المذكرة السابعة عشرة» ، **النور من الداخل** ، ص ٦٧ وما بعدها .

(٥١) إبراهيم عبد الرحمن ، «محمد الفايز بين الذات والتاريخ» ، مجلة **البيان** (فبراير ١٩٧٢) ، ص ١٠ .

(٥٢) «أربع أغنيات لجارية القصر» ،**النور من الداخل** ، ص ٩٩ وما بعدها .

(٥٣) «أربع أغنيات لجارية القصر» ، **النور من الداخل** .

(٥٤) كمال أبو ديب ، **جدلية الخفاء والتجلي** (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٩) ، ص ٢٨ .

(٥٥) إحسان عباس ، **فن الشعر** (بيروت : دار الثقافة ، ١٩٧٩) ، ص ٢٣ .

(٥٦) أحمد السيد الصاوي ، **فن الاستعارة** (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥) ، ص ٢٥٥ .

(٥٧) مصطفى ناصف ، **اللغة والتفسير والتواصل** (الكويت : عالم المعرفة ، عدد ١٩٣ ، يناير ١٩٩٥) ، ص٩٧ .

(٥٨) عبد القاهر الجرجاني ، **دلائل الإعجاز** ، علق عليه محمود محمد شاكر (القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٣٧٣هـ – ١٩٥٣م .) ، ص٢٥٦ .

(٥٩) «من بلاد الهولو» ، **النور من الداخل** ، ص ٨٤ وما بعدها (التشبيهات) .

(٦٠) «يا نار عينيك» ، **النور من الداخل** ، ص ١١١ (التشبيهات) .

(٦١) «التنور الكبير» ، **النور من الداخل** ، ص ١٢٣ (التشبيهات) .

(٦٢) «أغنيتان للحروف المحترقة» ،**النور من الداخل** ، ص ١٠٤ (التشبيهات) .

(٦٣) «المسافر مع أغنيات إلى فهد العسكر» ، النور من الداخل ، ص ٧٠ (التفعيلة) .

(٦٤) «المذكرة الرابعة» ، **النور من الداخل** ، ص ص ٢٢ – ٢٣ .

(٦٥) «المذكرة الخامسة» ، **النور من الداخل** ، ص ٢٥ وما بعدها .

(٦٦) «المذكرة التاسعة» ،**النور من الداخل** ، ص ٤١ .

(٦٧) «المذكرة الحادية عشرة» ،**النور من الداخل** ، ص ٤٧ .

(٦٨) «المذكرة الثالثة عشرة» ، **النور من الداخل** ، ص ٥٥ .

(٦٩) «المذكرة السادسة عشرة» ، **النور من الداخل** ، ص ٦٤ .

(٧٠) «المذكرة السابعة عشرة» ،**النور من الداخل** ، ص ٦٧ .

(٧١) «المذكرة الثامنة عشرة» ، **النور من الداخل** ، ص ٧١ .

(٧٢) «المذكرة التاسعة عشرة» ، **النور من الداخل** ، ص ٧٥ .

(٧٣) «من بلاد الهولو» ، **النور من الداخل** ، ص ٩١ .

(٧٤) «الذى احترق ولم يمت : إلى بدر شاكر السياب» ، **المرجع السابق** ، ص ١٠٢-١٠٣ .

(٧٥) «أغنيات للحروف المحترقة» ، **النور من الداخل** ، ص ١٠٥ .

(٧٦) «المذكرة الثانية» ، ص ١٥ .

(٧٧) «المذكرة الخامسة» ، **النور من الداخل** ، ص ٢٥ .

(٧٨) «المذكرة السادسة» ، **النور من الداخل** ، ص ٣١ .

(٧٩) «المذكرة السابعة عشرة ، **النور من الداخل** ، ص ٦٧ .

(٨٠) «المذكرة الخامسة عشرة» ، **النور من الداخل** ، ص ٦٠ .

(٨١) «المذكرة الأولى (مذكرات بحار)» ،**النور من الداخل** ، ص ١٠ .

(٨٢) «المذكرة الثانية» ، **النور من الداخل** ، ص ١٦ .

(٨٣) «المذكرة العاشرة» ، **النور من الداخل** ، ص ٤٤ .

(٨٤) «المذكرة السادسة عشرة» ، **النور من الداخل** ، ص ٦٤ .

(٨٥) ماهر شفيق فريد (اختيار وترجمة وتقديم) ، **المختار من نقد ت .س . اليوت** ، تصدير جابر عصفور (القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٠) ، المجلد الثاني ، ص٩١ .

(86) Rene Wellek, *The Attack on Literature* (University of North Carolina, 1982), p. 125.

(٨٧) «الليل والكلمات» ،**النور من الداخل** ، ص ١٢٨ .

(٨٨) علي عشري زايد ، **عن بناء القصيدة العربية الحديثة** (الكويت : دار العروبة ، ١٩٧٣) ، ص ص ٧٩ ، ٨٠ .

(٨٩) د . جبور عبد النور ، **المرجع المذكور** ، ص ٦٧ .

(٩٠) «أغنيتان للحروف المحترقة» ، **النور من الداخل** ، ص ١٠٤ .

(٩١) «المذكرة الثامنة» ، **النور من الداخل** ، ص ٣٨ .

(٩٢) «المذكرة السادسة» ، **النور من الداخل** ، ص ٣١ .

(٩٣) «المذكرة الثامنة» ، **النور من الداخل** ، ص ٣٩ .

(٩٤) «المذكرة السابعة عشرة» ،**النور من الداخل**، ص ٦٧ .

(٩٥) «أغنيتان للحروف المحترقة» ، **النور من الداخل**، ص ١٠٤ .

(٩٦) «يا نار عينيك» ، **النور من الداخل**، ص ١١١ .

(٩٧) «المذكرة السادسة» ، **النور من الداخل**، ص ٣٠ .

(٩٨) «المذكرة السابعة» ، **النور من الداخل**، ص ص ٣٣ - ٣٦ .

(٩٩) «العامرية» ، **النور من الداخل**، ص ٩٥ .

(١٠٠) محمد مندور ، «مجلة مجمع اللغة العربية» (القاهرة ، ١٩٦٠) ، ج ١٢ ، ص ٢٠٠ .

(١٠١) محمد فتوح أحمد ، **الرمز والرمزية في الشعر المعاصر**، ط . ٢ (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٨) ، ص ١٣٥ .

(١٠٢) «بلاد الهولو» ،**النور من الداخل**، ص ٨٧ .

(١٠٣) «المسافر مع الأغنيات : إلى فهد العسكر» ، **النور من الداخل**، ص ص ١٠٨- ١٠٩ .

(١٠٤) «ما لم يقله المعري» ، ص ص ١١٦-١١٧ .

(١٠٥) «المذكرة الثامنة عشرة» ، ص٧١ .

(١٠٦) «المذكرة العشرون : العودة إلى الأرض» ، ص ص ٧٧-٨٢ .

(١٠٧) «التنور الكبير» ، ص ص ١٢٢-١٢٣ .

(١٠٨) «المذكرة الثامنة» ، ص ٣٧ .

(١٠٩) «المذكرة الثامنة» ، ص ٣٩ .

(١١٠) «المذكرة الثانية عشرة» ، ص ص ٥٠-٥٢ .

(١١١) «المذكرة السادسة عشرة» ، ص ص ٦٣-٦٥ .

(١١٢) محمد النويهي ، **الشعر الجاهلي** ، ط . ٢ (القاهرة : الدار القومية ، ١٩٧١) ، ج ٢ ، ص ٨٨٤ .

(١١٣) «من بلاد الهولو» ، ص ص ٨٤ -٩٢ .

(١١٤) **المصدر نفسه** ، ص ٨٧ .

(١١٥) **المصدر نفسه** ، ص ٩١ .

(١١٦) «المذكرة الثانة» ، ص ص ١٣-١٧ .

(١١٧) «المذكرة الثالثة» ، ص ص ١٨ - ٢١ .

(١١٨) «المذكرة السابعة عشرة» ، **النور من الداخل** ، ص ص ٦٧-٧٠ .

(١١٩) «المذكرة العاشرة» ، **النور من الداخل** ، ص ص ٤٤-٤٥ .

(١٢٠) «أغنيتان للحروف المحترقة» ، ص ص ١٠٤-١٠٦ .

(١٢١) على عشري زايد ، **استدعاء الشخصية التراثية** (ليبيا : الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، ١٩٧٨) ، ص ٨٠ .

(١٢٢) المرجع نفسه .

(١٢٣) نازك الملائكة ، **قضايا الشعر المعاصر** ، ط . ٦ (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٤) ، ص ١٧ .

(١٢٤) «الذي احترق ولم يمت : إلى بدر شاكر السياب» ، **النور من الداخل** ، ص ١٠١ وما بعدها .

(١٢٥) سالم عباس خداده ، **التيار التجديدي في الشعر الكويتي** (الكويت : المركز العربي للإعلام ، ١٩٧٠) ، ص ص ٢٢٤-٢٢٥ .

(١٢٦) « مذكرات بحار : المذكرة الأولى» ، **النور من الداخل** ، ص ٧ - ١٠ .

المعارضات الأدبية في النثر الأندلسي
معارضة المعري نموذجا

د. أيمن محمد علي ميدان
جامعة السلطان قابوس- كلية الآداب

ملخص

تتناول هذه الدراسة موضوع المعارضات الأدبية في النثر الاندلسي ، متخذة من معارضة أبي العلاء المعري نموذجاً . وقد رصدت الدراسة خمسة أعمال للمعري نالت اهتمام الكتاب الاندلسيين ، وقد اهتمت الدراسة بأربعة من هؤلاء الكتاب ينتمون للقرنين السادس والسابع الهجريين هم ابن ابي الخصال وابو القاسم الكلاعي ، وأبو الربيع الكلاعي ، ومحمد بن الأبار القضاعي . واتخاذ هؤلاء الادباء أبا العلاء المعري نموذجاً يحتذونه في أدبهم يدل على عمق تأثير الرجل في الأدب الاندلسي عامة .

The Literary Counter Arguments in Andalusian Prose: Al-Ma'arri's Counter Argument as a Model

Dr. Aimam Midan

Faculty of Arts

Sultan Qaboos University

Abstract

This study deals with the literary counter arguments in Andalusian prose, which took Al-Ma'arri's argument as a model. The study depicts five of Al-Ma'arri's works which stimulated the interest of some Andalusian authors. The paper deals particularly with four Andalusian authors from the sixth and seventh Hijra centuries. They are: Ibn Abi al-Khisal, Abu Al-Qassem Al-Qala'i, Abu Rabi' Al-Qala'i, and Mohammad Ben al-Abar Al-Qadda'i. The special status of Abu Al-Ala'a Al-Ma'arri's argument as a model in their literary works evidently explains his lasting influence on Andalusian literature in general.

مقدمة

إنَّ قراءة واعية للأصل اللغوي للفظة (المعارضة)[١] تشي باحتضانها لمنظورين دلاليين يتكاملان أكثر مما يتفاضلان، هما: المماثلة التي ترتكز على غريزة المحاكاة[٢] والمقابلة التي تُجَسِّدُ غريزةَ المنافسة التي فُطِرَ الإنسانُ عليها[٣]. والمعارضة بهذين المنظورين المتكاملين «لا تحدُثُ إلا حين يأنس المعارِض من نفسه رغبة التحدِّي وحُبَّ الغَلَبِ، وفي هذا ما فيه من شهوة التفوق والتفرُّد بالكمال»[٤].

والمعارضة باعتبارها ضرباً من ضروب نَظْمِ الشعر يختصُّ به الأدب العربي وسُنَّةً أدبية اتبعها العرب منذ القِدَم - لم تَحْظَ بدراسة علمية تضبط مصطلحاً أو تدقق مفهوماً[٥]، فظَلَ المصطلح ضبابيَّ الدلالةِ غائمَ المفهوم؛ ففي الوقت الذي يُوَسِّعُ الدكتور فتُّوح من حدود المصطلح (الظاهرة)، فيزيل الحدود الفاصلة بين المعارضة القائمة على أسس فنية بحتة، والنقيضة القائمة على مُحَرِّضات قبلية أو عِرْقِيّة أو دينية[٦]، يأتي الدكتور محمد محمود قاسم ليخفِّفَ من شرائط المعارضة قائلاً بمعارضة ناقصة، فأوشك أن يُدْخِل فيها الشعر العربي كُلَّه[٧].

وقد حَقَّقَ النثر الفني الأندلسي في القرنين الخامس والسادس الهجريين طفرة هائلة على درب التطور والنضج «حين شرع يغزو المجالات التي كانت وَقْفاً على الشعر»[٨]، فراح المترسلون الباحثون عن صيغ فنية جديدة يرتادون آفاق المعارضة، تحدوهم رغبةٌ صادقةٌ في «إقامة الحُجَّة على أنَّ من بين الأندلسيين من يوضع مع أعلام المشارقة في كفَّتي ميزان»[٩]، وسطَ عوامل متعددة تضافرت - فيما بينها - لتجعل من أندلس تلك الحِقْبَةِ بيئة حاضنة للمعارضات شعرية ونثرية، تمثَّلت فيما يلي:

أ- الولاة: لعب بعض الولاة الأندلسيين دوراً كبيراً في تهيئة مُناخ المنافسة بين الشعراء والكُتَّاب، من ذلك ما يُرْوَى عن المعتضد العبادي، عندما أنشده ابن حبيب الحِمْيَرِيّ مدحيةً دبَّج صدرها بمقدمة رَوْضِيَّة، ضاديةَ الرويِّ يحاكي بها قصيدة للفقيه أبي الحسن بن علي، حيث أَمر بإحضار كُلِّ

من : أبي بكر بن القُوطيَّة وابن الأبّار وغيرهما وأمرهم بمعارضتها[١٠] .
وكان لعشق المنصور بن أبي عامر للأزهار وتسمية بناته بأسماء بعضها دورٌ في استثارة قرائح شعراء بلاطه وكُتّابه ، فراحوا يُدَبِّجون القصائد والرسائل التي تدور حول المفاضلة والمعارضة .[١١]

ب- النقاد : ذهب ابن شُهَيْد إلى أن المعارضة تُعَدُّ سِمَةً من سمات التفوق وأمارة من أمارات الإجادة ، فقال في تضاعيف ترجمته لعبد الرحمن بن أبي فَهْد إنه : «غزير المادة ، واسع الصدر ، حتى لم يكد يُبْقي شاعراً جاهلياً ولا إسلامياً إلا عارضه وناقضه ، وفي كل ذلك تراه مثل الجواد إذا استولى على الأمَد ، لا يني ولا يُقَصِّرُ . . .»[١٢] وهو موقف نقدي غير مسبوق فلأول مرة «نرى ناقداً يُقِرُّ مبدأ المعارضة معياراً للتفوق»[١٣] وسواء اتفقنا مع ابن شُهَيْد على صحة ما ذهب إليه أو اختلفنا معه فإن موقفه هذا ترك أثراً إيجابياً في شيوع ظاهرة المعارضات بصفة عامة ، ولم لا؟ وابن شُهَيْد كان أحد «أعظم اثنين تمرّسا بالنقد في القرن الخامس»[١٤] وواضع أسس النقد الأدبي في الأندلس[١٥] .

جـ- مؤرخو الأدب :كان لمؤرّخي الأدب الأندلسي أثرهم الفاعل في شيوع ظاهرة المعارضات النثرية ، من بين هؤلاء يأتي ابن بسّام الشنتريني نسيجَ وَحْدِه ، فقد كان يحمل الرسائل المتميزة لكُتّاب آخرين محرّضاً إياهم على معارضتها ، ففي تضاعيف ترجمته للوزير الكاتب أبي محمد عبد الغفور يقول : «وعَرَضْتُ عليه رسالة أبي عمر الباجي وأبي القاسم بن الجدِّ المتقدمتين في صفة المطر بعد القَحْطِ فعارضهما برقعة قال فيها : ولله جلّتْ عظمتُه أوامرُ تُحيلُ المنيرةَ عن طباعِها ، وتسلبُ من حصى المِعْزاءِ فَضْلَ شعاعها . . .»[١٦] .

ويبدو أنّ ما قام به ابن بسّام كان سلوكاً شائعاً في الوسط الأدبي آنذاك ، ففي تضاعيف ترجمته لأبي المغيرة قال : «وعُرِضَتْ - ببناء الفعل للمجهول - على أبي المُغِيرة رسالةُ بديع الزمان في الغلام الذي خطب إليه وُدَّه بعد أن عَذَّرَ

وبَقَلَ وجهُهُ وأزْهَر ، فعارضها برقعة يقول فيها : ورد كتابُكَ تَنْشُدُ ضالّةَ وُدِّنا ، وترفعُ خَلَقَ عَهْدِنا . . .»[١٧] .

من أجل هذا شهدت الأندلس حركة أدبية نشطة اتخذت من المعارضة - شعريةً ونثريةً ، داخليةً وخارجيةً - محوراً لها ونقطةَ انطلاق ، وهي حركة تستدعي الانتباه وتحفز الهمم للاقتراب منها أكثر ، ومعالجتها بأسلوب علمي أشمل وأدقّ .

على أنني أسارع فأقرر أن المعارضات الشعرية وإن كانت فنّاً مشرقيُّ النشأة ، أحاديُّ الأداء ، قديماً قِدَمَ الشعر العربي ذاته ، ممتدّاً غير منقطع ، فإن المعارضات النثريةَ ظاهرةً - نعم ظاهرة - أندلسيةُ النشأة ، جماعيةُ الأداء ، إذ كثيراً ما يستثير نصٌّ نثري إعجابَ مجموعة من الكتّاب المعاصرين له فينبرون لمعارضته ، مُعَبِّرين - بصنيعهم هذا - عن دهشتهم بهذا النص طرافةَ منحى وبراعةَ طَرْح ومعالجة ، ومُجَسِّدين - أيضاً - رغبتَهم في تجاوزه تجاوزاً فنياً .

يضاف لِما سبق أن المعارضاتِ النثريةَ - باعتبارها ظاهرةً أندلسية - اقتصرت على القرنين الخامس والسادس وشطر من القرن السابع الهجري ، ثم تلاشت فأضحت أثراً بعد عَيْن ، وسبيلاً «بُدِئَتْ ثم لم يَمْضِ فيها مَنْ هم في مستوى هذا الرعيل من الأدباء وقدرتهم الأدبية»[١٨] .

أنماط المعارضة :

للكُتّابِ الأندلسيين نمطان من المعارضة الأدبية ، تمثل النمط الأول في معارضة أعلام النثر المشرقي كابن نباتة المصري[١٩] وبديع الزمان الهمذاني[٢٠] والحريري[٢١] ، وأبي العلاء المعرّي ، وغيرهم . أما النمط الثاني فتجسّد في عدد من النصوص النثرية الأندلسية التي راحوا يعارضونها ، ويمكن تصنيفها في أربع مجموعات هي : الزرزوريات والزهريات والمطريات والمعتضديات[٢٢] .

على أنني أسارع فأقرر أن ثمة نمطاً من الرسائل الأدبية لا تدخل في نطاق بحثنا هذا ؛ لأنها تفتقد بعض حيثيات الانتماء إلى المعارضات الأدبية ،

كرسالة ابن حَزْم في الردِّ على رسالة ابن الرَّبيبِ التي اتخذت من النقاش المتكئ على البراهينّ والحجج أسلوباً ، ولم تُعْنَ - كثيراً - بإضفاء الطابع الفني عليها من دقة اختيارِ لفظ ، وحُسْنِ صياغة . . . إلخ ، ما جعلها لا تقترب من مدارات النثر الفني الخالص بصفة عامة ، ونثر ابن زيدون باعتباره نموذجاً دقيقاً لنثر تلك الحقْبَة بصفة خاصّة ، فقد كان «غريبَ المباني ، شعريَّ الألفاظِ والمعاني»[٢٣] .

هذا إلى جانب أن الدافع المُحرِّضَ على كتابة هذه الرسالة - وغيرها - والردِّ عليها ، لا يُجَسِّدُ رغبةَ المنافسة القائمة على أسس فنية ، بل يعكس عصبية الانتماء إلى الأرض (ابن حَزْم) ، أو الانحياز الأعمى إلى الجنس (ابن غرسيه) ، الأمر الذي - يجعل هاتين الرسالتين تنتميان إلى «المناقضات الفكرية» ، وتبتعدان عن المعارضات الأدبية .

أبو العلاء المعري نموذجاً

لأبي العلاء المعرّي (ت٤٤٩هـ) في تاريخنا الأدبي مكانةٌ سامقة ؛ فقد كان واحداً من المبدعين القلائل الذين جمعوا بين عبقرية الإبداع في مجالي الشعر والنثر ، إذ لم «يكن في صَنْعَةِ النَّظْم والنثر مثلُه ، لا قبله ولا بعده ، إلا ما كان من أبي الطيِّبِ في الشعر وحدَه»[٢٤] ، فأحدث ثورة كبرى في مسار تطور القصيدة العربية والنثر الأدبي ، من خلال ما أضفاه عليهما من عمقٍ وتدبر وكثرةِ عطاءٍ وتنوعِ أطرٍ فنية ، فذاع ذِكْرُه ، وامتد أثره ، وَزُمَّتْ من أجله الركائب ، وشُقَّتْ صوبَ «مَعَرَّته» أكبادُ النجائبِ ، مما حدا به إلى أن يفخر بذاته قائلاً : (من الطويل)

وإنـي وإنْ كنـتُ الأخيـرَ زمـانُهُ
لآتٍ بما لم تَسْـتَطِعْـهُ الأوائـلُ[٢٥]

وقد تجاوز صِيتُه المشرقَ إلى المغربِ والأندلس ، فأَقرَّ الأندلسيون له بأصالة

ما أبدع من أشعار، وما كتب من نِثار، فها هو ذا المُظَفَّرُ بن الأفطس (ت٤٦٠ هـ) يُحَرِّضُ - في وقت مبكر - شعراء بلاطه على أن تأتي أشعارُهم حاملةً السمات الفنية لشعر المعرّي، قائلاً: «مَنْ لم تكن أشعارُه كأشعار المتنبي والمعرّي فليسكت..»(٢٦)، وأبو القاسم محمد بن عبد الغفور الكَلاعي (ت٥٤٣ هـ) يعترف بأن لأبي العلاء مؤلفات بديعة «اغترفها من بحره، واعتمد فيها على فكره» وأنه «لا يُضاهَى فيها ولا يُجارَى، ولا يُعارَضُ في واحدٍ منها ولا يُبَارَى..»(٢٧)، دفعت هذه المؤلفات طوائفَ منهم إلى أن يُيَمِّموا وجوهَهم شَطْرَه، فكان منهم مَنْ روى عنه جُلَّ أعماله أو بعضها، ومنهم مَنْ روى عن تلاميذه ومُريديه(٢٨).

ولم يقف شغفُ الأندلسيين بالمعرّي عند حَدِّ الاعتراف بتفرُّده والحضِّ على محاكاته، بل وجدنا منهم مَنْ لُقِّبَ بلقبه، ومَنْ حذا حَذْوَهُ سلوكاً، فأبو بكر المخزوميّ لُقِّبَ بالمعرّي الثاني(٢٩)، وأبو إسحاق الإلبيري (ت٤٦٠هـ) وابن العَسَّال (ت٤٨٧هـ) وابن خفاجة (٥٣٣هـ) في شطر من حياته، قد ترفَّعوا عن التجوال، وابتعدوا عن المدح ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً(٣٠).

ولم تكن الأندلسُ غائبةً عن وجدان أبي العلاء، فقد كانت تربطه ببعض علمائها والنازحين إليها صِلاتُ وُدٍّ ومراسلة(٣١)، وكانت أشعارها التي تبلغ سَمْعَهُ صحبةَ الوافدين عليه تستثير ذائقته النقدية فيُجْري معها حواراً نقدياً. فيُرْوَى عن المعرّي قولٌ يبلور رأيه في شعر ابن هانيء الأندلسي (ت٣٦٣هـ) يقول فيه: «ما أشْبَهَهُ برحىً تطحنُ قروناً»(٣٢) مشيراً إلى أن ألفاظه تتسم بالجزالة وشدّة التدفق مع الافتقار إلى الثراء الموضوعي، غير أن ابن خَلِّكان (ت٦٨١هـ) يذهب إلى أن ولع المعرّي بأستاذه المتنبي وتعصُّبَهُ له دفعاه إلى هذا الموقف(٣٣)، و «مهما يكن من أمر فالفرق بين الشاعرين شاسع جداً، فلم تكن لابن هانيء عبقريةُ المتنبي، ولم يكن لديه المعينُ النفسي والفلسفي الذي اغترف منه أبو الطَّيِّب»(٣٤).

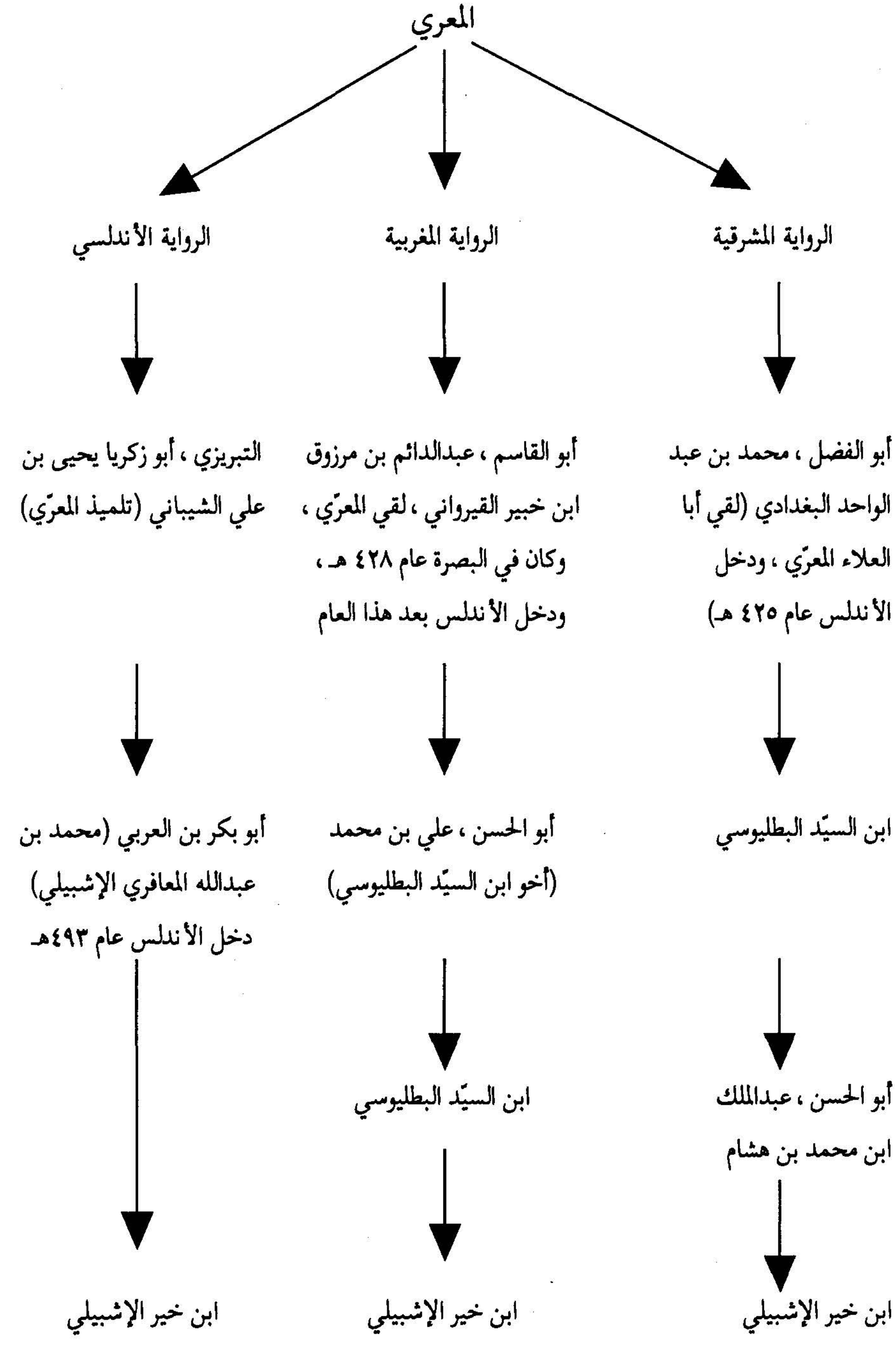
شهدت مَعَرّةُ النُّعْمانِ (غارُ حَرائه) وفودَ الأندلس وقد تحلّقت حوله تنهل

من أدبه النثر وعلمه الغزير ، وسرعان ما انتقل هذا الشغف بالرجل وأدبه إلى الأندلس ، فتجلّى في الحرص على رواية آثاره واستظهارها ، والوعي بقيمتها وحُسْنِ التمثُّلِ بها ، وشرح بعضها ، والخصومة حول بعضها الآخر ، وهاك المزيد من الإيضاح :

عرف أدبُ المعرّي طريقَه صَوْبَ الأوساطِ الأدبيَّة الأندلسية عبر قنوات متنوعة (بغداد ، والقاهرة المعزية ، والقيروان) ، ووسائط متعددة تبلورت في روايات متباينة حملها رواةٌ أندلسيون وعراقيون ومصريون ومغاربة ، أشار إليها مؤرخو الأدب الأندلسي وأصحاب البرامج(٣٥) .

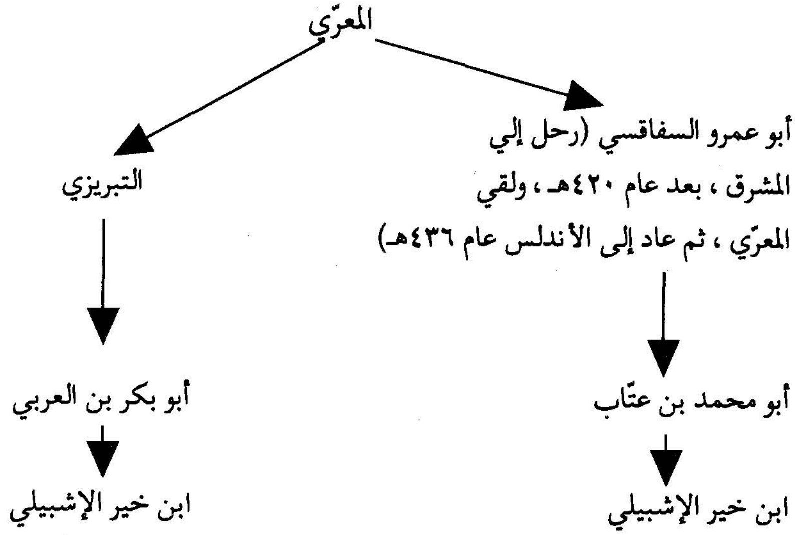
ذكر ابن خير الإشبيلي (ت٥٧٥هـ) ثلاثة منها ، وتشمل مجمل ما أنجز المعرّي من شعر ونثر : تعود الأولى إلى أبي الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي الذي دَخل الأندلس في أخريات الربع الأول من القرن الخامس الهجري ، وتُعَدُّ روايتُه أقدمَ رواية لآثار المعرّي عرفتها الأندلس ، فيما يعتقد الباحث(٣٦) . أما الرواية الثانية فلعالم قيرواني يُدْعى أبا القاسم عبد الدائم بن مرزوق بن خير القيرواني ، وكان ممن رحلوا إلى المشرق ورووا آثار المعرّي قراءة عليه وسماعاً منه ، وأشار ابن بشكوال (ت٥٧٨هـ) إلى أنه كان بالبَصْرَةِ عام ٤٢٨هـ ، ثم دخل الأندلس ، وتوفي بطُلَيْطِلَة عام ٤٧٢هـ(٣٧) . ثم تأتي رواية أبي بكر بن العربي المعافري الأندلسي (ت٥٤٣ هـ) لمجمل آثاره روايةً على تلميذه الأثير أبي زكريا يحيى بن علي الشَّيْباني المعروف بالتبريزي (ت٥٠٢هـ) ، الذي كان «أولهم فضلاً وذكراً ، ولآثاره إذاعة ونَشْراً»(٣٨) لتمثل بذلك أول رواية أندلسية خالصة لآثار الرجل تعرفها الأوساط الأندلسية في أخريات القرن الخامس الهجري ، حيث عاد ابن العربي إلى الأندلس عام ٤٩٣هـ ، مُثْقَلاً بعلم كثير لم يدخل أحدٌ قبله بمثله ممن كانت له رحلةٌ إلى المشرق(٣٩) .

ووجدت هذه الروايات الثلاثة في الحياة الأدبية الأندلسية المتعطشة لكل ماله صلة بالمشرق تربةً خَصْبةً لاحتضانها ، فتهافت العلماء على روايتها واستظهار بعضها ، ويلقي المخطط الآتي مزيداً من الضوء عليها :


المعري
الرواية المشرقية
الرواية المغربية
الرواية الأندلسي
أبو الفضل ، محمد بن عبد الواحد البغدادي (لقي أبا العلاء المعرّي ، ودخل الأندلس عام ٤٢٥ هـ)
أبو القاسم ، عبدالدائم بن مرزوق ابن خبير القيرواني ، لقي المعرّي ، وكان في البصرة عام ٤٢٨ هـ ، ودخل الأندلس بعد هذا العام
التبريزي ، أبو زكريا يحيى بن علي الشيباني (تلميذ المعرّي)
ابن السيّد البطليوسي
أبو الحسن ، علي بن محمد (أخو ابن السيّد البطليوسي)
أبو بكر بن العربي (محمد بن عبدالله المعافري الإشبيلي) دخل الأندلس عام ٤٩٣هـ
أبو الحسن ، عبدالملك ابن محمد بن هشام
ابن السيّد البطليوسي
ابن خير الإشبيلي
ابن خير الإشبيلي
ابن خير الإشبيلي

وثمة روايات أخرى تتصل بجانب مُحَدَّد من أدبه ، فمنها ما يتصل برواية أشعاره أو جانب منها ، ومنها ما يتناول نثره أو جانباً منه ، فمن الروايات التي اقتصرت على شعره ذكرتْ كتبُ البرامج روايتين ، الأولى تناولت شعره ، وتتمثل في : أبي عامر بن رزق عن ابن الخَطّاب التُّطَيْلي عن ابن جابر القُرْطُبي عن أبي العلاء المعرّي(٤٠) ، أما الثانية فتقتصر على شعر سِقْط الزَّنْدِ ، الذي رواه الوادي آشي (ت٧٤٩هـ) بالقاهرة المعزية(٤١) .

وتُعَدُّ (خطبة الفصيح) للمعرّي الأثر النثريّ الأوحد الذي حظي بروايات خاصة به ، إذ ذكر ابن خير الإشبيلي روايتين لهذا الكتاب أدركهما ، فقال : «حدّثني به الشيخُ القاضي أبو بكر بن العربي - رحمه الله - عن أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي ، عن أبي العلاء المعرّي - رحمه الله- . وحدّثني به أيضاً الشيخ أبو محمد بن عتّاب - رحمه الله - عن أبي عمرو السَّفاقُسِيّ عن أبي العلاء . .»(٤٢) ، وكان لأبي عمرو السفاقسي (عثمان بن أبي بكر بن حمود الصَّدَفي) رحلةٌ إلى المشرق لقي خلالها المعرّي ، وروى عنه بعض آثاره ، ثم عاد إلى الأندلس عام ٤٣٦هـ (٤٣) . وهاك مُخَطَّطُ رواية كتاب (خطبة الفصيح) لأبي العلاء المعرّي(٤٤) .



وظلت العناية برواية أشعار المعرّي ونقلها إلى الأندلس والمغرب ممتدةً حتى زمن متأخر، فأبو جعفر اللَّبْلي (٦١٣ - ٦٩١هـ) وهو من علماء القرن السابع الهجري يقصُّ في برنامجه أنه «سمع جميع أشعاره بدمشق عن تاج الدين الكِنْدري، قراءةً على الشيخ سعد الخير بن محمد بن سهل الأنصاري، عن شيخه أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي عن المعرّي»(٤٥)، وكذلك الأمر بالنسبة للوادي آشي (ت٧٤٩هـ)، وهو من علماء القرن الثامن الهجري، إذ يذكر ديوان سِقْط الزَّنْدِ للمعرّي ضمن مَرْوِيّاته التي أخذها بالقاهرة المُعزِّيّة عن أستاذه المحدِّث أثير الدين أبي حيّان، فكمل لديه «بين سماعٍ من لفظه وقراءةٍ عليه»(٤٦).

على أن عناية الأندلسيين بتعقُّبِ آثار المعرّي وروايتها لا تعني أن كل آثاره قد عرفت طريقها صوب الأندلس، ففي القرن السادس الهجري، وهو من أكثر القرون عناية بالمعرّي سيرة وأدباً نرى أبا القاسم الكَلاعيّ يقر بهذا الأمر في تضاعيف سرده لمؤلفات المعرّي المعروفة في زمانه، فيقول: «ومما لم يغترفْهُ من بحره، ولا اعتمد فيه على نَظْمِهِ ونثره... كتابٌ في شعر أبي الطيب، لم يبلغني، ولا رأيته. إلى غير ذلك من التواليف التي لم تصل إلينا، ولا ورد ذِكْرُها علينا»(٤٧). ولا يخفى على الباحث ما للتحرُّج الديني الذي اعترى البعضَ من أثر كبير في الإحجام عن رواية كل ما من شأنه أن يمسَّ الدين.

عُنِي الكُتَّابُ الأندلسيون بنثر أبي العلاء المعرّي عناية حدت بأبي القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي أن يتخذ منه نموذجاً أرقى للنثر الفني حتى زمانه، ودفعت طائفة منهم لمعارضته في بعض كتبه ورسائله، من بين هؤلاء يأتي ابن عبد الغفور الكلاعي نسيجَ وَحْدِه؛ إذ قام بمعارضة المعرّي في أربعة كتب(٤٨)، معارضة تتكئ على عنصري: المماثلة التي ترتكز على غريزة المحاكاة، والمقابلة التي تُجَسِّدُ رغبةَ المنافسة اللذين فُطِرَ الإنسان عليهما، فقال: «جمعني وإيّاه - أدامَ اللهُ عَلياه - مجلسٌ ثالثٌ، فأخذنا في ذِكْرِ الشعراء العلماء، حتى جاء ذكر أبي العلاء، فتذاكرنا ما له من التواليف البديعة

التصنيف ، التي اغترفها من بحره ، واعتمد فيها على فكره ، فذكر أنه لا يُضاهى فيها ولا يُجارى ، ولا يُعارَضُ في واحدٍ منها ولا يُبارى . فسوَّلت لي نفسي مناهضَته . وزَيَّنَتْ لي نفسي مُضاهاته ومعارضته»(٤٩) .

عارض ابن عبد الغفور الكَلاعي أبا العلاء المعرّي في أربعة كتب ، ثلاثة من بينها تنتمي إلى النثر فنياً وعلمياً ، وواحد ينتمي إلى الشعر ، وهي : «السّاجعة والغربيب» وعارض بها «رسالة الصاهل والشاحج» ، و«خطبة الإصلاح» وعارض بها «خطبة الفصيح» ، و«السَّجْع السلطاني» وعارض به كتاباً للمعرّي يحمل العنوان ذاته ، وأخيراً «ثمرة الأدب» وعارض به «سِقْط الزَّنْدِ» .

أ- رسالة الصّاهل والشاحج :

أُعْجِبَ الكَلاعي بهذه الرسالة إعجاباً حدا به إلى معارضتها برسالة وسمها بالساجعة والغربيب ، وتضمين كتابه (إحكام صنعة الكلام) قطعاً متناثرة منها(٥٠) .

والحقيقة أن رسالة أبي العلاء المعرّي حَرِيَّةٌ بهذا الإعجاب وتلك العناية ؛ لأنه «ابتدع - فيها - نمطاً فريداً من التأليف الأدبي»(٥١) بلغ ذروة نضجه في «رسالة الغفران» ، ووفق في التعرية الساخرة لعوالم الناس ، مُظْهِراً رفضه لسلوكيات مجتمعه ، مجسداً فداحة ما يعاني من جَهْد شاق لاقتلاع ما تجذّر في نفوس البشر من تَعَلُّق بأعراض دنيوية زائلة ، متخذاً من الأداء المسرحي إطاراً حاضناً للتجربة ، ومن الحركة والحوار- خارجياً على لسان حِمار وبَغْل ، وداخلياً على لسان المعرّي باعتباره راوياً - سبيلاً للسخرية من عزيز الدولة «البطل الغير منظور على مسرح الصّاهل والشاحج»(٥٢) .

إن قراءة ما تَبَقّى من رسالة (الساجعة والغربيب) تشي بمحاكاة دقيقة لرسالة المعرّي عنواناً ومضموناً وآليات تعبير ، إذ أدار الحوار فيها بين حمامة وغراب ، متخذاً من المزج بين النثر والشعر واللغة التي تشي ولا تفضح وسيلةً ، ونَقْدِ سلوكيات مجتمعه غايةً(٥٣) .

وقد نالت رسالة الكلاعي إعجاب معاصريه وعنايتهم ، فقام أبو بكر بن العربي[٥٤] بمعارضتها في رسالة نبزها بـ (لمحة البارق في تقريظ لواحظ السابق) ، أورد ابن عبد الغفور الكلاعي قطعة منها[٥٥] .

أما الوزير أبو أيوب بن أبي أمية ، وقد كان أميراً من أمراء البيان لا يُدَافَعُ ، ورئيساً من رؤساء المعارف والأدباء لا يُضَاهى فيها ولا يُنَازَعُ[٥٦] فراح يُبْدي إعجابه بهذه الرسالة طرافةَ منحى وبراعةَ طَرْحٍ ومعالجة ؛ فقال : « . . . إنها لشنشنةٌ أعرفها فيكم من أخْزَم ، وموهبةٌ حزتُموها وأحرزتم السَّبْقَ فيها منذ كم . . . حيث الأدبُ غَضٌّ ، وماء البلاغة مُرْفَضٌّ ، فاسعد – أعزّك الله – بكرَّتها ، وسَلْها عن أفانين غُرَّتها ، بما تقطفه من ثمارك ، وتغرفه من بحارك . . » .[٥٧] ومع علوِّ قَدْرِ هذه الرسالة فإن الكلاعي يُقِرُّ بضآلة قَدْرِها أمام رسالة (الصّاهل والشّاحج) لأبي العلاء المعرّي ؛ إذ جاءت بمنزلة النُّغْبَةِ من عُبابِ البحر المائج[٥٨] .

ب- السجع السلطاني[٥٩] :

كان لانتقاص أحد رفاقه لمقدرته على الخَوْضِ في كل فنون القول كبيرُ أثر في الإقدام على معارضة المعرّي في كتاب ثانٍ وسمه بـ (السجع السلطاني) ، على أن ضياع الكتاب وقلّة ما بقي منه ، لا يأخذان بأيدينا صوب تلمُّس جوانب الاتفاق وملامح الاختلاف[٦٠] ، وإن أشار الكَلاعيّ في معرض الاستشهاد بقطعة منه إلى أنه «مما يجب أن يُحْتذى عليه ، ويُفْزَعُ في الاهتداء والاقتداء إليه»[٦١] .

جـ- خطبة الفصيح :

ولم تقف رغبة الكلاعي في معارضة المعرّيّ عند النثر الفني الخالص ، بل تخطته إلى النثر العلمي ، فعارض «خطبة الفصيح» التي راقته فعدّها «من أطرف الخُطَبِ مَعْنىً وأعذبها منحىً ومَبْنيً»[٦٢] بخطبة الإصلاح ، مُخْتَطّاً

نهجه ؛ فإذا كان أبو العلاء قد اتخذ من مضمون كتاب الفصيح لثعلب (ت ٢٩١هـ) مادة لخطبته ، «وتحميد الله وما قاربه من العظات غايةً»(٦٣) ، فإن الكلاعيَّ قد بنى خطبته على كتاب المُنَخَّل للوزير المغربي أبي القاسم الحسين بن علي (ت ٤١٨هـ) وهو مجرّد (إصلاح المنطق) لابن السِّكِّيت (ت ٢٤٤هـ) ، مع اتفاق في الغاية مع المعرّي ، أقرّ به قائلاً : «كرهتُ أن يُخْلَقَ بُرْدُ الشبابِ قبل أن أطرِّزَهُ بعلم المتاب ، فعمدتُ إلى خطبة الفصيح فعارضتها بخطبة الإصلاح»(٦٤) .

كما عارض هذه الخطبةَ - أيضاً - عالمٌ أندلسي آخر يُدْعى الحافظ أبا الربيع سليمان بن موسى الكلاعي (ت٦٣٤هـ) بكتاب وسمه بـ «جهد النصيح وحظ المنيح في مساجلة أبي العلاء في خطبة الفصيح»(٦٥) .

د- سقْط الزَّنْد :

ولَما كان ابنَ عبد الغفور فارسَ حَلْبَةِ شعر ونثر(٦٦) وشديدَ إعجابٍ بالمعرّيّ الذي «لم يكن في صَنْعَةِ النَّظْمِ والنثر مثله ، لا قبله ولا بعده ، إلا ما كان من أبي الطيب في الشعر وحده»(٦٧) فإن معارضاته للمعرّي لم تقف عند حدود النثر ، فراح يعارضه في ديوان (سِقْط الزَّندِ) بكتاب نبزه بـ (ثمرة الأدبِ) ، على أنني أسارع فأقرر أن ديوان سقْط الزَّنْدِ وإن خَلُصَ للشعر فقط ، فإن كتابَ (ثمرة الأدب) للكلاعي مَزَجَ بين نثره وشعره مزجاً يشي بأنه ما هجر الشعر عَجْزاً ، وما اتخذَ النثر مَرْكباً سهلاً(٦٨) ، ثم شفع هذين الفنين بجانب من محاوراته الشعرية والنثرية مع معاصريه ، ففي معرض الاستعانة بقطعة من نثر الوزير أبي بكر بن سعيد البَطَلْيُوسي يقول : «وجرتْ بيننا مراسلةٌ ومخاطبةٌ ذكرتُ منها في «ثمرة الأدب» ما هو أشهى من الشَّنَبِ ، وأحلى من الضَّرَبِ»(٦٩) .

على أن الكلاعيَّ الذي أجهد نفسه «مناً في معارضة أبي العلاء ومحاولة مضاهاته ، عاد ليُقرَّ بسعةِ الهُوَّةِ الفاصلة بينه وبين المعرّي ، فقال : «تالله إني لأعلمُ قَدْري ومساحةَ صدري . . .وقصوري عن إشاراته ، وعجزي عن أدنى

عباراته . . وهيهات!! ما ناهضْتُه في (سِقْط الزّنْدِ) إلا بما لففتُ بهِ رأسي حياءً من المجد ، وما أنا في مضاهاته في رسالة (الصاهل والشاحج) إلا كمن ضاهى بالنُّغْبةِ عُبابَ البحر المائج . وما أنا في معارضته في (خطبة الفصيح) إلا كمن عارض بالنَّفَسِ هبوبَ الريح . فليجفْ قلم المعترض ، وليَخِبْ سهم المُتَعقّبِ المْغرِض»(٧٠) .

هـ- مَلْقَى السبيل :(٧١)

رسالة صغيرة كتبها المعرّي في الطور الأخير من حياته (حوالي سنة ٤٣٠هـ) ، اتسمت بشرف الغاية وطرافة الطَّرْح والمَنْحى ، فدارت حول الزُّهْدِ مضموناً والوعظ وسيلة ، واشتملت على فقراتِ مسجوعة رُتِّبَتْ وفق الترتيب المشرقي لحروف المعجم ، فُصِلَ بينها بمقطعات شعرية تحتضن نفس المعنى ، مع اتفاق في الفواصل والقوافي ، وتراوحت الفقرات بين سطر وثلاثة أسطر ، والمقطعات الشعرية بين بيتين وثمانية أبيات ، مثال ذلك ما جاء في حرف الثاء : زمن أعظم الحَدَث ، سُكنى الجَدَث . (من المتقارب)

يدومُ القديمُ إلـهُ السماء
ويَفْنَى بأقداره ما حَدَثْ
وما أرْغَبَ المرءَ في عَيْشِه
ولكن قُصاراه سُكْنى الجَدَثْ(٧٢)

وقد لقيت فكرة المزج بين الشعر والنثر استحساناً لدى كُتَّاب الأندلس فشاعت لديهم شيوعاً حدا بابن عبد الغفور الكلاعي إلى تتبع قسماتها باعتبارها سمة فنية بارزة في نتاجهم ، واسماً هذا النمط من أنماط الكتابة بالمُفَصَّل» ؛ لأنه «فُصِلَ فيه المنظومُ بالمنثور ، فجاء كالوشاح المُفَصَّلِ»(٧٣) ، مدعماً قوله هذا بقطعة من نثره في رسالة «الساجعة والغربيب» ، ضمنها أبياتاً من قصيدة لأبي الطيّب المتنبي ، قافيَّةِ الرَّوِيّ ، مدح بها سيف الدولة ، مُبْدلاً

بعض المفردات والضمائر بأخرى تبديلاً يناسب الموضوع والمقام ؛ فقال : «وأما عَزْمه فإذا أمَّ وصل ، وإذا هَمَّ فَصَل ، كأن هواجسه أعمالُ برٍّ لا بُدَّ لها من ثواب ، وحروفُ جزاء لا غِنى لها عن جواب : (من الطويل)

كَسـائِلـه مَنْ يسـألُ الغَـيْثَ قطـرةً
كعـاذِلـهِ مَنْ قـالَ للفَلَـكِ ارْفُـقِ

وأما انتقاده الأشعار فكانتقاد الصيرفي للدينار ، يهتزُّ للمديح اهتزاز الغصنِ للريح . إلا أنه يسقط بِدَراً تفوت العدّ ، ويسقط ذلك ثمراً لا يملأ الصّاع ولا المدّ .

ضَـرُوبٌ بأطراف السـيـوف بَـنانُـهُ
لعـوبٌ بأطـرافِ الـكلام المُنَمَّـقِ» [٧٤]

ولابن أبي الخصال ولعٌ بفكرة المزج بين الشعر والنثر تجلّى في «زر زوريّاته التي عارض بها الوزير أبا الحسين بن سراج[٧٥] ، وفي رسالة أخرى «بديعة» خاطب بها الفقيه المشاور أبا الفضل جعفر بن محمد بن يوسف[٧٦] .

كما كان لطرافة منحى رسالة «مَلْقَى السَّبيل» وشرفِ غايتها كبيرُ أثر في قيام ثلاثة كُتّابٍ أندلسيين بمعارضتها معارضةً تُجَسِّدُ تقديرهم للمعرّي ذاتاً مبدعة وإبداعاً مدهشاً ، تحدوهم رغبةٌ في المحاكاة والتفوقِ وشيوع الذِّكْرِ . فعارضها ابن أبي الخصال[٧٧] ، وأبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي في «منابذة الأمل الطويل بطريقة المعرّي في ملقى السبيل»[٧٨] ، وتلميذه محمد بن الأبّار القُضاعي في «مظاهرة المسعى الجميل ، ومحاذرة المرعى الوبيل في معارضة ملقى السبيل»[٧٩] .

ولم يبق لنا من هذه المعارضات الثلاث سوى معارضتين ، هما : معارضة ابن أبي الخصال التي نُشِرَتْ ضمن رسائله[٨٠] ، ومعارضة ابن الأبّار التي أشار العلامة حسن حسني عبد الوهاب إلى وجود أصل خطي لها بمكتبة جامع الزيتونة بتونس ، عزَّ على الباحث الحصول على مصورة له[٨١] ، أما المعارضة

الثالثة فقد عدت عليها عوادي الزمان .

إن النظر في معارضة ابن أبي الخِصال لرسالة (مَلْقَى السَّبيل) يشي بأنّ اتساقاً على مستوى المنحى والغاية يجمع بينهما ، دون أن يُفْضِي هذا الاتساق إلى تطابق تام على المستوى الجزئي . فإذا كانت معارضة ابن أبي الخِصال قد حَذَتْ حَذْوَ رسالة المعرّي في توزّع مادتها الوعظية عبر فقرات منفصلة ، تعتمد الترتيب الألفبائي المشرقي ، والتطابق بين الفواصل والقوافي ، فإن ثمّة جوانب اختلاف بَيِّنَة تفصل بينهما ، تتمثل في أن ابن أبي الخصال كان أكثر التزاماً بالمطابقة بين الفواصل والقوافي لفظاً وترتيباً ، مثال ذلك قوله على حرف التاء : «أبطأتِ فَخُلِّفْت ، وكَلِفْت بغير ما كُلِّفْت ، وأَلِفْتِ ضد ماله أُلِّفْت ، رُدِّي ما أسْلَفْتِ ، وإن أخْلَفْت فقد أُخْلِفْت : (من السريع)

تخلَّفي صاغرةً إنّني
أراكِ أبطأتِ فخُلِّفْتِ
كَلِفْتِ بالشرِّ وعِفْتِ الّذي
مِنْ صالح الأعمال كُلِّفْت
ليتكِ إذْ لم تألَفي خطّةً
مُنجيةً لم تكُ أُلِّفْتِ
رُدِّي على الدّهرِ عَواريَّهُ
قد اقتَضى ما كُنتِ أسْلَفْتِ
أخْلَفك الخَيرُ وأخلفْتهُ
فَلا تَلُومي حيثُ أُخْلِفتِ (٨٢)

حيث بدا أن ابن أبي الخِصال حريصٌ على أن يطابق بين الفواصل والقوافي على مستويي الصيغة والترتيب ، بينما لا يُعْنى المعرّي بهذا الجانب كثيراً ؛ مثال ذلك قوله في حرف الغين : «إنّكَ إلى الدنيا مُصْغ ، وحبها للبَشَرِ مُطْغ ، لو أنّك لشأنها مُلْغ ، ما تأمله مُبْغ : (من الخفيف)

صاغَكَ اللهُ للجمالِ بقلبٍ
مُعْرِضٍ عن نصيحةٍ ليسَ يُصْغي
تُكْثِرُ اللغوَ في المقالِ ولو وُفِّـ
ـقْتَ ما كنتَ للديانةِ مُلْغي
لم تزلْ تزجرُ الطغاةَ فلا تْطـ
ـغَ فحُبُّ الدنيا لمثلك مُطْغي
لو بَغيتَ الذي أراد به اللـ
ـه لأعطاكَ فوق ما أنتَ تبغي (٨٣)

إذ من الواضح أن أبا العلاء المعرّي لم يلتزم ترتيب فواصل الشق النثري في أبياته الشعرية الملحقة به ، كما أنه لم يراع تطابق الصيغ بينهما ، وإن اشتُقَّتْ من جذور لغوية مشتركة .

كذلك اتسمت معارضة ابن أبي الخِصال بكثرة عدد سجعات الشق النثري وطول النَّفَسِ الشعري ، حيث تراوحت فقراته بين سطرين وخمسة أسطر ، والمقطعات الشعرية بين ثلاثة أبيات وعشرة . بينما تراوحت فقرات المعرّي النثرية بين سطر وثلاثة أسطر ، ومقطعاته الشعرية بين بيتين وثمانية أبيات .

يتجلى للباحث من خلال المقارنة «أن معارضة ابن أبي الخصال لَمُلْقَى السبيل إن لم تَفُقْهُ فليست دونه»(٨٤) ، وأنه إذا كان لأبي العلاء فَضْلُ الريادة فإن لابن أبي الخِصال فَضْلَ الإجادة .

خاتمة

إن تدبر ما سبق تناوله من معارضات أندلسية نثرية اتخذت من خمسة أعمال معرِّيَّة محوراً لها ونقطة انطلاق يُفْضي بنا إلى رصد ملحظين ، يتمثلان في عناية أربعة كُتّاب أندلسيين بمعارضة المعرّي ينتمون إلى القرنين السادس

والسابع الهجريين ، هم : ابن أبي الخِصال (ت٥٤٠هـ) ، وأبو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي (٥٤٥هـ ظنّاً) ، وأبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي (ت٦٤٣هـ) ، وتلميذه محمد بن الأبّار القُضاعي (٦٥٢هـ) . وأنهم في اتخاذهم لهذه الأعمال العلائية الخمسة دون غيرها مجالاً للمعارضة إنما يجسدون الموقف الأندلسي من إبداع الرجل بصفة عامة ؛ فهذه الأعمال تتوزع بين الفني الخالص (السجع السلطاني) ، والأخلاقي النزعة (الصّاهل والشّاحج ، وخطبة الفصيح ، ومَلْقَى السبيل) ، والتجاوب مع التراث العربي في انسجامه الكبير مع تقاليد القول وشروطه (سِقْط الزّنْد) .

الهوامش

(١) ابن منظور (أبو الفضل ، محمد بن مكرم المصري) ، **لسان العرب** (القاهرة : دار المعارف) ، مادة (عرض) ؛ والرّازي ، **مختار الصّحاح** (بيروت ، د .ت .) ، مادة (عرض) ؛ وبدوي طبانة ، **معجم البلاغة العربية** ، ط . ٣ (جدة : دار المنار والرياض : دار الرفاعي ، ١٩٨٨) ، ص٤١٦ ؛ ومجدي وهبة ، معجم مصطلحات الأدب (بيروت : مكتبة لبنان ، د .ت) ، ص٣٨٩ ؛ ومحمد الهادي الطرابُلسِي ، **خصائص الأسلوب في الشوقيّات** (تونس : منشورات الجامعة التونسية ، ١٩٨١) ، ص٢٣٩ ؛ وإبراهيم عوضين ، **المعارضة في الأدب العربي** (القاهرة ، د .ت) ، ص٧-٨ ؛ وعبد الرحمن إسماعيل السماعيل ، **المعارضات الشعرية** (جدة : النادي الثقافي ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤) ، ص١٢-١٣ .

(٢) محمود عباس العَقّاد ، **شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي** (كتاب الهلال ، ع ١٥٢ ، ذو القعدة ١٣٩١هـ/ يناير ١٩٧٢) ، ص٨٩ – ٩٠ ، حيث ذهب إلى أن التقليد يُعَدُّ المرحلة الفنية الأولى للتكوين الفني للمبدع .

(٣) علي الجارم ، **الجارميات** (القاهرة : دار الشروق ، ١٩٩٢) ، ص٢٢٢ .

(٤) محمد فتّوح أحمد ، **معارضات البارودي في ضوء الدراسات النقدية الحديثة** (القاهرة : مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري) ، ص٤ .

(٥) الطرابلسي ، المرجع المذكور ، ص٢٣٩ .

(٦) فتّوح ، **المرجع المذكور** ، ص٤ – ١٠ ، ولعلّه جارى الشاعر علي الجارم فيما رمى إليه ، انظر : الجارم ، **المرجع المذكور** ، الفصول الخمسة التي تناول من خلالها ظاهرة المعارضات في الشعر العربي تناولاً تاريخياً ص٢١٩ – ٢٥٣ . انظر الفرق بينهما في : عوضين ، **المرجع المذكور** ، ص٩-١٢ .

(٧) محمد محمود قاسم ، **تاريخ المعارضات في الشعر العربي** (دار الفرقان ومؤسسة الرسالة ، ١٩٨٣) ، ص١٣ وما بعدها ؛ والسماعيل ، **المرجع المذكور** ، ص١٤ ؛ وطه وادي ، **شعر شوقي الغنائي والمسرحي** ، ط .٢ (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨١) ، ص٤٥ وما بعدها .

(٨) علي بن محمد ، **النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس الهجري : مضامينه وأشكاله** (بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٠) ، ص٢٠٣ .

(٩) سعد شلبي ، **الأصول الفنية للشعر الأندلسي -عصر الإمارة** (القاهرة : مطبعة نهضة مصر ، ١٩٨٤) ، ص٢٠٧ .

(١٠) أبو الوليد الحِمْيَري (ت ٤٤٩) ، **البديع في وصف الربيع** ، عني بتصحيحة ونشره هنري بيريس (الرباط : المكتبة الاقتصادية ، ١٩٤٠) ، ص٤٢ ؛ **وتيّارات النقد الأدبي في الأندلس** ص٤٢٦ .

(١١) ابن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ) ، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** ، تحقيق إحسان عباس (بيروت : دار الثقافة ، ١٩٧٩) ، ق٤ ، م١ ، ص٤٧ - ٤٨ .

(١٢) الحُمَيْدِي (ت ٤٨٨هـ) **جَذْوَة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس** (القاهرة : الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦) ، ص٢٧٧ .

(١٣) إحسان عبّاس ، **تاريخ النقد الأدبي عند العرب** (عمان : دار الشروق للنشر والتوزيع ، ١٩٩٣) ، ص٤٨٤ .

(١٤) **المرجع نفسه** ، ص٤٨٢ .

(١٥) عبدالله المِعْطاني ، **ابن شُهَيْد الأندلسي وجهوده في النقد الأدبي** (الإسكندرية : منشأة المعارف ، ١٩٩٤) ، ص٢٥ .

(١٦) ابن بسّام ، **المصدر المذكور** ، ق٢ ، م١ ، ص٣٤٢ .

(١٧) **المصدر نفسه** ، ق١ ، م١ ، ص١٤٠ ، ونصُّ رسالة البديع في : **زَهْر الآداب** ، ص٧٣٢ .

(١٨) علي بن محمد ، **المرجع المذكور** ، ص٥٤٧ .

(١٩) عارض ابنُ أبي الخِصال ابنَ نباتة المصري في بعض خطبه ، من ذلك خطبة دينية تحضُّ على الجهاد ، وثانية في الشكر على نزول غيث ، وأخرى في عيد الأضحى . انظر : **رسائل ابن أبي الخصال** ، تحقيق محمد رضوان الداية (دمشق : دار الفكر ، ١٩٨٧) ، ص٥٦ ، ١١٩ ، ١٢٨ .

(٢٠) كان بديع الزمان - كاتب رسائل وصانع أشعار - مجالاً للمعارضة ، إذ عارضه أبو المغيرة عبد الوهاب بن حزم في رسالة كتبها ردّاً على مَنْ أبدل الزمان كبره صغاراً ، وترفعه ضعة ومهانة ، فعاد يطلب مودّةَ من أساء إليه - برسالة تحذو حذوها مضامين ووسائل تعبير ، فجاءت الرسالتان موغلتين في السجع والغلو في السخرية والإلحاح والشماتة ، والاتكاء على الشعر تعميقاً لإحساس أو انتصاراً لفكرة . انظر : د . مصطفى الشكعة ، **الأدب الأندلسي : موضوعاته وفنونه** ، ط ٦ (بيروت : دار العلم للملايين) ١٩٨٦) ، ص٥٨٨ ؛ وعلي بن محمد ، **المرجع المذكور** ، ص٥٤٢ ؛ وابن بسام ،

المصدر المذكور، ق١ ، م١ ، ص١٤٠ .

(٢١) عارض ابنُ أبي الخصال والسَّرَقُسْطِيّ الحريريَّ في عدد من مقاماته . انظر : **رسائل ابن أبي الخصال** ، **المصدر المذكور** ، ص٤٢٠ ؛ ومحمد رضوان الداية ، **تاريخ النقد الأدبي في الأندلس** ، ط ٢ (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨١) ، ص٣٥٧ ؛ و إحسان عباس ، : **تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)** ، ط ٣ (بيروت : دار الثقافة ، ١٩٧٤) ، ص٢٤٧ .

(٢٢) تناول الباحث هذه المعارضات في بحث عنوانه «المعارضات الأدبية لدى كُتّاب الأندلس» ، والبحث قيد النشر .

(٢٣) ابن بسام ، **المصدر المذكور** ، ق١ ، م : ص٣٣٦ .

(٢٤) أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي (ت ٥٤٣هـ) ، **إحكام صَنْعَة الكلام** ، تحقيق محمد رضوان الداية (بيروت : دار الثقافة ، ١٩٩٦) ، ص١٣٥ ، وهذا ما أشار إليه العباس المكّي أيضاً في تضاعيف ثنائه على لاميّة المعرّي التي فخر فيها بنفسه فخراً لقي استحساناً كبيراً من لَدُن العلماء فراحوا يتمثلون بأبياتها ، والشعراء الذين راحوا يحاكونها صياغة ومضامين– فقال : «فاضِلٌ سار ذِكرُ فضلِه في البراري والبحور ، وأجمعَ على تقدمته الجمهور ، بأنه فارس المنظوم والمنثور ، أقرَّ له بالبلاغةِ والأدب كُلُّ بليغ أديب . . .» ، طه حسين وآخرون ، **تعريف القدماء بأبي العلاء** (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦) ، ص٣٥١ . انظر أيضاً : زكي مبارك ، **النثر الفني في القرن الرابع الهجري** (القاهرة : دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، ١٩٣٤) ، ٢٦٨/١ .

(٢٥) **شروح سِقْط الزَّنْد لثلاثة من الشراح : التبريزي (ت٥٠٢هـ) والبطليوسي (ت٥٢١هـ) والخوارزمي (ت ٦١٧هـ)** ، تحقيق طه حسين وآخرين (القاهرة : دا الكتب المصرية ، ١٩٤٥–١٩٤٨) ، ٥٢٥/٢ . والبيت من قصيدة خاطب بها بعض أهل الشام ، وكان نزل عليه فأساء معاملته . . . ويبدؤها بقوله :

ألا في سبيلِ المجدِ ما أنا فاعِلٌ
عَفافٌ وإقدامٌ وحَزْمٌ ونائِلُ

(٢٦) ابن بسّام ، **المصدر المذكور** ، ق٢ ، م١ ، ص٤٦١ . والمظفر : أبو بكر بن عبدالله بن مسلمة المعروف بابن الأفطس خلف أباه في حكم بَطَلْيوس وما صاقبها من أصقاع ، وأحرز ملكاً عظيماً ، ضاهى فيه ابن عبّاد وابن ذي النون ، وكانت بينه وبينهما حروب وغارات ، حدت به إلى مهادنة

الأذفونش ودفع الأتاوة، وبقي في حكمه حتى سنة ٤٥٦هـ، وكان «أديب ملوك عصره غير مدافع ولا منازع، وله التصنيف الرائق والتأليف الفائق . . المشتهر اسمه بـ «المُظَفَّرِيّ» في خمسين مجلدة، يشتمل على علوم وفنون من مغازٍ وسِيَرٍ . . . وجميع ما يختص به علم الأدب . .» انظر ترجمته في: المصدر نفسه، ق٢، م٢، ص٦٤٠ - ٦٤١ .

(٢٧) الكَلاعي، المصدر المذكور، ص٣٣، ٢٢٣ .

(٢٨) عبد العزيز الميمني، **أبو العلاء وما إليه** (القاهرة: المطبعة السلفية ومكتبتها، ١٣٤٤هـ)، ص٢٠٠ وما بعدها . ذكر الميمني خمسة وثلاثين راوياً، من بينهم ثمانية رواة ينتمون إلى الأندلس والمغرب هم: أبو الربيع سليمان بن أحمد السرقسطي، وأبو الخطّاب العلاء بن عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن حزم الأندلسي، وأبو تمام غالب بن عيسى الأنصاري، وأبو القاسم عبد الدائم ابن مرزوق بن خير القيرواني، وأبو عبدالله بن جابر القُرْطُبي، وأبو عمرو السَّفاقُسِيّ، وابنا أخيه أبو محمد وأبو الحسن .

(٢٩) المقّري التلمساني (توفي ١٠٤١هـ)، **نَفْحُ الطِّيب في ذِكْرِ غُصْنِ الأندلس الرَّطيب**، تحقيق إحسان عباس (بيروت: دار صادر، ١٩٦٨)، ١/١٩٠ - ١٩١ . وقد كان أبو بكر المخزومي «شديد الهجاء، مُسَلَّطاً على الأعْراضِ، سريعَ الجوابِ . . . سابقاً في ميدان الهجاء، مدحه ابنُ سعيد إحساناً وتأليفاً، فقال فيه: (من الخفيف)

يـــا ثــانــيــاً لـلـمـعـــرِّي
فــي حُــسْــنِ نَــظْــمٍ ونَــثْــرِ
وفَــرْطِ ظَــرْفٍ ونُــبْــلِ
وغَــوْصِ فَــهْــمٍ وفِــكْــرِ

وكان ولع الأندلسيين بكل ما هو مشرقي عظيماً، انظر ملامح هذا الولع في: إحسان عباس، **تاريخ النقد . . . المرجع المذكور**، ص٤٣؛ وشفيق محمد الرقب، **شعر الجهاد في عصر الموحدين** (عمان: مكتبة الأقصى، ١٩٨٤)، ص٢٥٥؛ وعبد اللطيف عبد الحليم (أبو همام)، أدب ونقد (القاهرة: مطبعة النهضة المصرية، ١٩٨٨)، ص٩٥؛ وأحمد سليم الحمصي، **ابن زمرك: سيرته وأدبه** (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥)، ص١٢ .

(٣٠) إحسان عبّاس، **تاريخ الأدب . . . المرجع المذكور**، ص٧٠ .

(٣١) ابن بسّام ، **المصدر المذكور** ، ق٤ ، م١ ، ص٨٨ ، والميمني ، **المرجع المذكور** ، ص٢١٠ .

(٣٢) زكي مبارك ، **المرجع المذكور** ، ج ٢ ، ص٣١٠ .

(٣٣) ابن خَلّكان (توفي ٦٨١) ، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، تحقيق إحسان عباس (بيروت : دار الثقافة) ، ج٤ ، ص٥٢ .

(٣٤) جودت الركابي ، **في الأدب الأندلسي** (دار المعارف ، ١٩٨٠) ، ص٩٠ .

(٣٥) ابن خير الإشبيلي (ت ٥٧٥) ، **فهرسة ابن خير فيما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في دروب العلم وأنواع المعارف** (بيروات : دار الآفاق الجديدة ، ١٩٧٩ ، مصورة عن الأصل المطبوع في مطبعة فومش بسرقسطة ١٨٣٩) ، ص٣٨٦ ؛ ومحمد بن جابر بن محمد الوادي آشي (ت ٧٤٩) ، برنامج الوادي آشي ، ط ٣ ، تحقيق محمد محفوظ (بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨٢) ، ص ص٥٣ ، ٥٤ ، ٣١٣ .

(٣٦) ابن بسّام ، **المصدر المذكور** ، ق٤ ، م١ ، ص٨٦ وما بعدها .

(٣٧) جلال الدين السيوطي (ت ٩١١) ، **بُغْيَة الوُعاة في طبقات اللغويين والنحاة** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة : مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٩٦٤-١٩٦٥) ، ص٢٩٦ ؛ وأبو القاسم بن بشكوال (ت ٥٧٨) ، **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم** (القاهرة : نشر وتصحيح عزت العطار الحسيني ، ١٩٥٥) ، ترجمة رقم ١١٢٨ .

(٣٨) الميمني ، **المرجع المذكور** ، ص٢١٠ .

(٣٩) محمد رضوان الداية ، **المرجع المذكور** ، ص٣٤٦ .

(٤٠) الميمني ، **المرجع المذكور** ، ص٢١٦ ، نقلاً عن برنامج أبي بكر يحيى بن أبي عامر .

(٤١) الوادي آشي ، **المصدر المذكور** ، ص٣١٣ .

(٤٢) ابن خير الإشبيلي ، **المصدر المذكور** ، ص٣٨٦ .

(٤٣) الميمني ، **المرجع المذكور** ، ص٢٢٦ .

(٤٤) لم تقف عناية الأندلسيين بخطبة الفصيح عند روايتها روايات تقتصر عليها ، بل وجدنا منهم مَنْ يعارضها . انظر : القسم الخاص بمعارضات الأندلسيين لمنثور كلامه من بحثنا هذا (ص٢٢) .

(٤٥) أبو جعفر أحمد اللّبْلي : برنامجه ص١٦٥ . انظر ترجمته في : الوادي آشي ، **المصدر المذكور** ، ص ص٥٣ - ٥٤ .

(٤٦) الوادي آشي ، **المصدر المذكور** ، ص٣١٣ . أما أبو حيّان فهو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان النفزي الأثري ، محدّث ومفسّر ومقرىء ولغوي وأديب أندلسي ، ولد أخريات شوال عام أربعة وخمسين وستمائة بغرناطة . وعن أبي حيان أخذ الوادي آشي بالقاهرة المعزية حماسة أبي تمّام وكتاب الأشعار الستة الجاهلية وديوان المتنبي . انظر : **المصدر نفسه** ، ص ص١٤ ، ٧٤ - ٧٦ ، ٣٠٥ ، ٣١١ وغيرها .

(٤٧) الكَلاعي ، **المصدر المذكور** ، ص٢٢٤ .

(٤٨) أشار د . محمد رضوان الداية إلى أن الكلاعي عارض أبا العلاء المعرّي في ثلاثة كتب فقط ، متجاهلاً إشارة الكَلاعيِّ إلى معارضة ديوان «سِقْط الزّند» بكتاب وسمه بـ (ثمرة الأدب) ، انظر : محمد رضوان الداية ، **المرجع المذكور** ، ص٤٠٣ ؛ والكلاعي ،**المصدر المذكور** ، ص٣٥ .

(٤٩) الكلاعيّ ، **المصدر المذكور** ، ص٣٣ .

(٥٠) **المصدر نفسه** ، ص١٨٦ ، والمقّري ، **المصدر المذكور** ، ج ٢ ، ص٣٧٢ ؛ وأشار ابن خير الإشبيلي ، **المصدر المذكور** ، ص ٣٨٦ إلى أن أبا العلاء المعرّي شرح رسالته في كتاب (لسان الصاهل والشاحج) . وذهب ياقوت الحموي إلى أنه كتب رسالته برسم أبي شجاع فاتك المُلَقّبِ بعزيز الدولة والي حلب من قِبل المصريين ، انظر : **تعريف القدماء بأبي العلاء** ، **المصدر المذكور** ، ص١١٠ .

(٥١) عائشة عبد الرحمن : مقدمة تحقيقها لرسالة الصاهل والشاحج ص٣٩ .

(٥٢) عبد الحكيم العبد ، أبو العلاء المعرّيّ ونظرة جديدة إليه (الإسكندرية : دار لمطبوعات الجديدة ، ١٩٩٢) ، ج٢ ، ص١٠٠ ، ومقدمة الصاهل والشاحج ص٤٢ . وعزيز الدولة ، هو أبو شجاع فاتك بن عبدالله الرومي ، وقد كان والي المصريين على حَلَب أيام الحاكم وبعض أيام الظاهر ، قُتِلَ في سنة ٤١٣هـ كما ذكر ابن العديم في الإنصاف والتحري ، وذكر المحققون أن فاتكاً هذا غير أبي شجاع فاتك المُلَقّبِ بالمجنون ، الذي مدحه المتنبي وتوفي سنة ٣٥٠هـ ، انظر : **تعريف القدماء** . . .**المصدر المذكور** ، ص٥٣١ .

(٥٣) الكلاعي ، **المصدر المذكور** ، ص١٥٤ - ١٥٧ .

(٥٤) أبو بكر بن العربي : هو أبو بكر ، محمد بن عبدالله المعافري الإشبيلي ، عُرِفَ بأبي بكر بن العربي . قاض مُحَدِّث ، صَنّفَ كتباً ذائعة في الحديث والفقه والأصول والتفسير والتاريخ والأدب ، منها :

قانون التأويل فسّر فيه القرآن الكريم ، وأحكام القرآن ، وآخر شرح فيه سنن الترمذي . . . ، رحل إلى المشرق بصحبة أبيه وطاف مدن المعرفة الكبرى به ، ولقي بها جلّة العلماء والمبدعين ، ثم عاد إلى إشبيلية مثقلاً بعلم كثير لم يدخل أحد قبله بمثله ممن كانت له رحلة إلى المشرق ، على حد تعبير ابن بشكوال ، وكانت له مع ابن السِّيد البطليوسي خصومةٌ حول شعر المعرّي . انظر ترجمته في : الكلاعي ،**المصدر المذكور** ، ص١٨٨ ؛ وابن بشكوال ، **المصدر المذكور** ، ص ٥٣٢ ؛ وابن سعيد الاندلسي ، المغرب في حلي المغرب ، ط ٣ ، تحقيق شوقي ضيف (القاهرة : دار المعارف) ، ج ١ ، ص٢٤٩ ؛ وابن سعيد الأندلسي ، **رايات المبرزين وغايات المميزين** ، تحقيق النعمان عبد المتعال القاضي (القاهرة : لجنة إحياء التراث ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، ١٩٧٣) ، ص٥ ؛ وابن خلكان ، **المصدر المذكور** ، ج ٣ ، ص ص ٤٢٣-٤٢٤ ؛ والفتح بن خاقان (ت ٥٢٩هـ) ، **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس** ، تحقيق ودراسة محمد علي شوابكة (بيروت : مؤسسة الرسالة ودار عمار ، ١٩٨٣) ، ص٦٢ ؛ وإبراهيم بن فرحون ، **الديباج المُذَهَّب في أعيان المذهب** (مصر ١٣٥١هـ) ، ص٢٨١ ؛ ومحمد رضوان الدالية ، **المرجع المذكور** ، ص ص٣٤٦ - ٣٥١ .

(٥٥) الكلاعي ، **المصدر المذكور** ، ص١٨٨ .

(٥٦) أبو أيوب ، سليمان بن أبي أميّة ، وزير فقيه ، على عاتق أبيه قامت دولة المعتمد بن عبّاد ، عاصر الكلاعي صاحب «إحكام صنعة الكلام» وكانت بينهما مراسلات ذكر الكلاعي جانباً منها في كتابه (ثمرة الأدب) ، وفيه يقول : «ذو عقل موفور ، وحَسَبٍ مشهور ؛ أمير من أمراء البيان لا يُدَافَعُ ، ورئيس من رؤساء المعارف والآداب ، لا يَضاهى فيها ولا يُنَازَعُ» ، انظر : الكلاعي ،**المصدر المذكور** ، ص ص١٤١ ، ١٤٢ ؛ وابن خاقان ،**المصدر المذكور** ، ص٢٧ - ٢٨ ، وابن سعيد ، المغرب . . . **المصدر المذكور** ، ج ١ ، ص٢٤٣ ؛ **والخريدة** للعماد الأصفهاني ص١٥٤ .

(٥٧) الكلاعي ، **المصدر المذكور** ، ص١٤٣ ، وقد ذكر الفتح بن خاقان ، **المصدر المذكور** ، ص ٣٣ ، أن الكلاعيّ قد دفع بهذه الرسالة إلى الوزير أبي أيوب بن أبي أميّة ، لعرضها عليه ، فأقامت عنده أيّاماً ، ثم استدعاها منه ، فصرفها إليه ، وكتب بصحبتها : «بِكْرٌ زففتها - أعزّك اللهُ - نحوك ، وهززتُ بمقدمها سناءَك وسَرْوَك . فلم ألفظها عن شِبَعٍ . . .» . وذكر المقري ، **المصدر المذكور** ، ج٣ ، ص ص٥٥١ - ٥٥٢ أنه صنع هذه الرسالة للوزير أبي أيوب بن أبي أميّة ، وهو أمر تنفيه الرواية

السابقة .

(٥٨) الكلاعي ، المصدر المذكور ، ص ص٣٤ ، ٣٩ .

(٥٩) ياقوت الحموي ، «إرشاد الأديب» ، في : تعريف القدماء ... المصدر المذكور ، ص ١٠٧ ، حيث أشار إلى سبب تأليفه ، فقال : «كان بعض ممن خدم السلطان وارتفعت طبقته ، ولا قدم له في الكِتْبَةِ ، سأل أن يُنشأ له كتابٌ مسجوع من أوله إلى آخره ، وهو لا يشعر بما يريد لقلّة خبرته بالأدب ، فألّفَ له هذا الكتاب» . فجاء مشتملاً على مخاطبات الجنود والوزراء والولاة وغيرهم .

(٦٠) الكلاعي ، المصدر المذكور ، ص ص٣٢ ، ٣٣ ، وقد أورد قطعة صغيرة منه .

(٦١) المصدر نفسه ، ص٢١٩ .

(٦٢) المصدر نفسه ، ص١٧٨ .

(٦٣) ابن خير الإشبيلي ، المصدر المذكور ، ص٣٨٦ .

(٦٤) الكلاعي ، المصدر المذكور ، ص ص٣٥ - ٣٦ . ولكتاب (المُنخّل) ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة تحت رقم (٥٤٧ لغة) ، عن الأصل الخطي بمكتبة دير الأسكوريال (٦٠٥) ، المكتوب بقلم مغربي واضح مشكول ، ونسخ في شهر ربيع الآخر سنة ٤٨٦هـ ، وهو مقابل ، وبأوله تملك لعلي ابن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم المعافري .

(٦٥) المقّري ، المصدر المذكور ، ج ٢ ، ص٧٩٦ ؛ وتعريف القدماء ... المصدر المذكور ، ص ص٣٨٥,١٠٩ ، ولهذا الكتاب أصل خطي بمكتبة جامع الزيتونة بتونس ، تحت رقم ٤٧٩٩ ، منه مصوّرة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة تحت رقم (لغة ٣٥٥) . كتب بقلم نسخ حسن مشكول ، وبأوله إجازة من المؤلف مؤرخة سنة ٦٢٩هـ لراويها عنه أبي عبدالله العبدري . وبآخرها قراءة أبو بكر بن عمر بن عبدالله بن صالح القرشي ، كتبها بخطه سنة ٦٥١هـ . وقد وهم الميمني ، المرجع المذكور ، ص ٢٦٤ ، عندما جعل معارضة أبي الربيع الكلاعي لـ «تفسير خطبة الفصيح» الذي قام المعرّي فيه بشرح خطبة الفصيح .

وسليمان بن موسى بن سالم بن حسّان بن سليمان ، يُكْنى أبا الربيع ، ويُعْرَفُ بابن سالم الكلاعي الحميري ، كان حافظ الأندلس ومحدّثها في زمانه ومن بقية الأكابر من أهل العلم بصُقْعِ الأندلس الشرقي ، توفي مجاهداً في وَقْعَة أنيشة على ثلاثة فراسخ من بَلَنْسِية سنة ٦٣٤هـ . انظر : المقري ، المصدر المذكور ، ج٢ ، ص٧٦٩ ؛ والوادي آشي ، المصدر المذكور ، ص٢١٩ .

(٦٦) ابن بسّام ، المصدر المذكور ، ق٢ ، م١ ، ص٣٢٦ ، وفيه قال : «وقد أخرجتُ من غرائب نثره ونظمه ما يُخْجِلُ الخدودَ ، ويُعَطِّلُ السوالفَ الغِيدَ» .

(٦٧) الكلاعي ، المصدر المذكور ، ص١٣٥ .

(٦٨) المصدر نفسه ، ص٣٥ .

(٦٩) المصدر نفسه ، ص١٤١ .

(٧٠) المصدر نفسه ، ص ص٣٨ – ٣٩ . والنُّغْبَةُ : الحسوة من الماء يلقطها الطائر بمنقاره . وقوله : «إلا بما لففتُ به رأسي حياءً من المَجْدِ» حَلٌّ لمعقود عجز بيت لأبي تمام من قصيدةٍ مدح بها أبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقي ؛ يقول فيه : (من الطويل)

أتاني مع الرُّكبان ظنٌّ ظَننتُهُ
لَفَفْتُ به رأسي حياءً من المَجْدِ

– انظر : ديوان أبي تمام ، بشرح الخطيب التبريزي ، ط ٢ ، تحقيق محمد عبده عزام (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٠) ، ١١٥/٢ .

(٧١) نُشرت هذه الرسالة ست مرات ، أربعاً منها بتحقيق العلامة حسن حسني عبد الوهاب : الأولى في مجلة المقتبس (العدد الأول ، دمشق ١٩١٢م) ، والثانية والثالثة والرابعة في تضاعيف «رسائل البلغاء» التي قام محمد كُرْد علي باختيارها وتصنيفها ، وطبعت ضمن مطبوعات لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة أعوام ١٩١٣ و ١٩٤٤ و ١٩٤٦م . والخامسة بتحقيق كامل كيلاني ضمن الجزء الرابع (نصوص ودراسات) الملحق برسالة الغفران التي أصدرتها دار المعارف في طبعتها الثالثة وجاءت غُفْلاً من تاريخ النشر . أما النشرة الأخيرة ففي تضاعيف كتاب «إتحاف الفضلاء برسائل أبي العلاء» لمحمد عبد الحكيم القاضي ومحمد عبد الرزاق عرفات ص٣٦١ – ٣٧٤ ، ضمن منشورات دار الحديث ، القاهرة ١٩٨٩م .

(٧٢) محمد كرد علي ، رسائل البلغاء ، ط٣ (القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٤) ، ص٢٨٥ .

(٧٣) الكلاعي ، المصدر المذكور ، ص١٤٨ .

(٧٤) المصدر نفسه ، ص١٥٦ – ١٥٨ . والأبيات من قصيدة مدح بها سيف الدولة ذاكراً كتاب ملك الروم الوارد عليه بذي القعدة سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة للهجرة ، يبدؤها بقوله (من الطويل)

لعينيكِ ما يَلْقى الفؤادُ وما لقي
وللشّوْقِ مالم يَبْقَ مني وما بَقي
وما كنتُ ممن يدخلُ العشقُ قلبَهُ
ولكنَّ مَنْ يَنْظُرْ جفونَكِ يَعْشَقِ

وقد أحدث الكلاعي تغييراً في لفظة القافية في البيت الثاني، فجعلها (المُنَمَّق) بدلاً من (المُشَقَّق)، انظر: **ديوان المتنبي بشرح الواحدي**، بعناية فريدرخ ديتريصي (برلين، ١٨٦١)، ص ص٤٩٧، ٥٠١ .

(٧٥) فوزي سعد عيسى، **الزرزوريات: نشأتها وتطورها في النثر الأندلسي** (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٠)، ص١٤ .

(٧٦) ابن أبي الخِصال، **المصدر المذكور**، ص١٥ .

(٧٧) **المصدر نفسه**، ص٣٧٠ - ٣٩٠؛ وإحسان عباس، **تاريخ الأدب الأندلسي... المرجع المذكور**، ص٢٣٠ .

(٧٨) المقّري، **المصدر المذكور**، ج٢، ص٧٦٩؛ وابن السيد البطليوسي، **شرح المختار من لزوميّات أبي العلاء**، تحقيق حامد عبد المجيد (القاهرة: مطبعة دار الكتب، ١٩٧٠)، ص٢٦ .

(٧٩) **تعريف القدماء... المصدر المذكور**، ص٤٣، وقد ذكر العلامة حسن حسني عبد الوهاب في الحاشية الأولى أن لابن الأبّار معارضة لرسالة المعرّي، تحتضن مكتبة جامع الزيتونة بتونس نسخة خطية منها .

(٨٠) ابن أبي الخصال، **المصدر المذكور**، ص ص٣٧٠ - ٣٩٠ .

(٨١) تعريف القدماء بأبي العلاء ... **المصدر المذكور**، ص٤٣ الحاشية الأولى .

(٨٢) ابن أبي الخِصال، **المصدر المذكور**، ص٣٧٢ .

(٨٣) محمد كرد علي، **المرجع المذكور**، ص٢٩٣ .

(٨٤) المقولة للشيخ محمد محمود الشنقيطي، وقد وردت في تضاعيف فهرسته لما اختار من مخطوطات الأسكوريال، انظر: **تعريف القدماء بأبي العلاء... المصدر المذكور**، ص٤٥٥ .

الأسماء العربية في الأردن
١٩٧٠-٢٠٠٠
دراسة لسانية اجتماعية

د. وليد العناتي
جامعة البترا - قسم اللغة العربية

ملخص

يجهد هذا البحث أن يدرس أسماء الأردنيين دراسة لسانية اجتماعية ؛ قصد استكشاف وجوه العلاقة بين الاسم في صورته اللغوية وبين استخدامه في المجتمع الأردني علامة دالة على البيئة أو الجنس أو الطبقة الاجتماعية أو التحصيل العلمي .

وقد انقسم هذا البحث قسمين :الأول : يتناول ظاهرة الأسماء العربية في أبعادها التاريخية ، وذلك بتتبع تطور الظاهرة منذ الجاهلية مروراً بصدر الإسلام إلى الوقت الحاضر . والثاني :يتناول أسماء الأردنيين من المسلمين العرب والبواعث التي تكمن وراء انتقاء الأسماء ودلالاتها الاجتماعية والنفسية والدينية واللغوية ؛ وصولاً إلى رَصْد الأسماء المتداولة و تبيّن أشيع هذه الأسماء والعوامل المؤدية إلى ذلك الشيوع .

وقد استقام للباحث أن البيئة تسهم إسهاما فاعلا في انتقاء الأسماء ؛ إذ اتخذ البدو أسماء من صلب بيئتهم ، في حين احتفلت المدنية بالأسماء المقترضة من اللغات الاخرى أو الأسماء المستحدثة التي تلائم رقة الحياة المدنية . ثم درس البحث عددا من الظواهر اللغوية اللافتة في الأسماء كالنقل والمطابقة والاشتراك .

وقد ذُيّل البحث بخاتمة تتضمن أهم النتائج التي وقفت عليها ، كما أُلحق بالأدوات البحثية ونتائجها ، أي الاستبانة والملاحق التي ترصد الأسماء الواردة في عينة البحث .

Arab Names in Jordan
1970-2000
A Sociolinguistic Study

Dr. Walid Alanaty

Petra University - Arabic Department

Abstract

This research aims at studying Jordanian proper names from a socio - linguistic perspective, in order to reveal the relations between the linguistic properties of a name and the way it is used within the Jordanian society, according to a person's environment, sex, social class and academic achievement.

The research is divided into two sections:

The first section deals with the historical dimension of Arabic names by following their development, beginning at the pre-Islamic period, through the period of Islamic rule and up until today.The second section deals with the names of Jordanians of Muslim Arabic origin. It also deals with the reasons behind choosing certain names and their cultural, social, psychological, religions and linguistic indications. This aims at listing the names that appeared within the sample, identifying the most common names among them and specifying the reasons behind their popularity.

This research concludes with its most important findings and is enclosed with the questionnaire used in determining these findings, in addition to a list of all the male and female names that appeared within the collected data.

مِهاد البحث

ليس هذا بحثاً في علم الدلالة ، وليس بحثاً في الأنساب . وما كان له أن يقتصر على معاني الأسماء المعجمية . هذا بحث في اللسانيات الاچتماعية ، يجتهد أن يدرس الأسماء العربية في الأردن من وجهة النظر اللسانية الحادثة ؛ فهو لساني لأنه يدرس الأسماء بوصفها مواد لغوية تنْسبك في بنية لغوية لا تنعزل عن بنية اللغة العربية ومضامينها الدلالية والسياسية والاجتماعية . وهو اجتماعي لأنه يستفيد من مناهج البحث الاجتماعي في درس الظاهرة ، فيتكئ على الاستبانات والمقابلات الشخصية ومعطيات دوائر الأحوال المدنية ، لتكون له مادة مجموعة من الوسط الاجتماعي الذي يبتغي دراسته .

ويشبه هذا البحث أن يكون بحثاً ثقافياً يستند على ملاحظ لطيفة نشهدها يومياً ، غير أننا لا نتنبّه إليها تنبه الدارس المتفحّص إلاّ عند الدراسة . وهذا البحث يَقِفُنا على مشهد ثقافي تتداخل فيه أبعاد الظاهرة (التسمية) اللغوية والاجتماعية والدينية والسياسية والاقتصادية والمعرفية والروحية .

وهو في كل ذلك يتحرى المادة اللغوية في علاقاتها بمظاهر الحياة الأخرى المتشعبة ؛ إذ يمكن لنا وفق آليات خاصة أنْ نستبطن وجوه العلاقة بين اللغة والمجتمع حين تكون البنية اللغوية في تحققاتها الصوتية والصرفية والدلالية كاشفة للبنية الاجتماعية ، ومعبرة عن تحققاتها المادية وفق المتغيرات الاجتماعية المتعددة كالجنس والبيئة والطبقة الاجتماعية والوضع الاقتصادي والتحصيل العلمي ؛ وذلك أن هذا البحث قادر على كشف العلاقة بين انتشار أسماء على التعيين والطبقة الاجتماعية . وهو قادر على تفسير كثير من المعتقدات الثقافية والاجتماعية المرتبطة بظاهرة التسمية ، وأبرز مثال يساق على ذلك أن الناس في الأردن - ومعظم البلاد العربية - تتخذ من أسماء الأنبياء قدوة فيسمون بأسمائهم ، ولكنهم يعزفون عن اسم (إسرائيل) وهو نبي ورد ذكره في القرآن بهذا الاسم . وما عزوف الناس هذا إلاّ لاقتران هذا الاسم بالعدو الصهيوني . وهكذا .

ولا يخفى على أحد ما للاسم من قيمة لغوية واجتماعية وثقافية وسياسية ؛ إذ إننا نستطيع أن نستشف من الاسم مقاصد دفينة تعتمل الوالدين حين انتقاء الاسم . فالاسم هو مبدأ تعرف الإنسان على هذه الأرض منذ ولادته ، ثم يصير عَلَماً عليه لا يُعْرَف إلاّ به . ويشبه هذا الاسم أن يكون كلمة السر التي تخفي ملخصات حياة صاحبه وتاريخه الاجتماعي والثقافي والسياسي والمرضي . وقديماً تنبّه ابن جني لهذه المسألة في كتابه «المُبْهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة» إذ يقول : « . . . إنما وضعت الأعلام لضرب من الاختصار وتنكُّب الإكثار ؛ وذلك أن الاسم الواحد من الأعلام قد يؤدي بنفسه تأدية ما يطول لفظه ويمل استماعه . ألا ترى إنك إذا قلت كلمة جعفر فقد استغنيت بجعفر عن أن تقول : الطويل البزاز الذي نَزَلَ مكان كذا وكذا ، ويدعى ولده كذا ، ومبلغ تجارته كذا ، ويلبس من الثياب كذا ، ويتعاطى من كذا وكذا إلى ما يطول ذكره ثم لا يستوفى ؛ لأنه لا يمكنك في التفصيل أن تذكر جميع أحواله التي تخصه . ولعلك أنت أيضاً إنما تعرف القليل منها ، فكان ذلك يكون مؤدياً إلى الإطالة وربما لم يستوف الغرض والبغية ، فلما رأوا ذلك كذلك أنابوا عن جميعه اسماً واحداً علماً يغني عن الإطالة والملالة وقصور المعنى مع حسور المنة» ص : ٢١ - ٢٢ .

وقد وقف الباحث على كثير من الكتب التي تبحث في الأسماء ، ولكنها كُتُبٌ لا تعدو أن تكون باحثة في الدلالة اللغوية والمعنى المعجمي ، إذ تشبه أن تكون معاجم أعلام حَسْب . ويخرج على هذا التقليد كتابان مهمان وبحث جاد هي :

الأول :حصن الاسم ، وهو للمستشرقة الفرنسية جاكلين سوبيله ، ويبحث هذا الكتاب في تطور الأسماء العربية منذ الجاهلية ، كما يدرس كثيراً من ظواهر الحياة الاجتماعية المرتبطة بالأسماء .

الثاني :معجم أسماء العرب ، وهو يمثل شطراً من موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب . وهو معجم حديث ومتميز يختص بدراسة الأعلام العربية

الحديثة دراسة لغوية اجتماعية ، ويقارن نسب انتشار الاسم الواحد في البلاد العربية ، كما يعد مصدراً مهماً لدراسة التنوعات اللهجية لنطق الأسماء العربية .

أما البحث الثالث فهو القيمة التاريخية لدراسة أسماء الأمكنة والأعلام ، لأنيس فريحة ، نشره في مجلة أبحاث الجامعة الأمريكية ببيروت ، العدد الأول من السنة الرابعة . وهو بحث في الساميات ؛ إذ يحاول أن يتلمس وجوه ارتباط أسماء الأمكنة والأعلام العربية بغيرها من اللغات السامية ، وفق المنهج التاريخي المقارن .

التسمية عند العرب ودلالاتها الاجتماعية

قد انصرف العرب في جاهليتهم إلى تسخير طاقاتهم وإمكاناتهم للتأقلم مع البيئة الجغرافية والظروف الطبيعية التي شاءت إرادة الله أن يعيشوا فيها ؛ وذلك أن معظمهم من البدو الرُّحَّل ؛ يترحلون من مكان إلى مكان جرياً وراء مادة حياتهم الرئيسية : الكلأ والماء ، فلا يكادون يستقرون في بُقعة بعينها وإنْ كانت لهم مواطن عامة لا يبرحونها . فأفرغوا الوسع كلّه لخلقْ ظروف ملائمة لمعاشهم وحياتهم ، فاعتادوا ذلك ، وصار شطراً لا يستهان به من سلوكهم ورؤاهم وإبداعهم .

وقد صدر العرب في أسمائهم عن هذه المعاناة ؛ وذلك أنهم كانوا يحفلون بما يطلقونه على أولادهم وبناتهم من أسماء ، وهم في ذلك إنما يتمثلون رؤى عامة ورؤى خاصة يصدرون عنها حين انتقاء الاسم ، وتشير جلُّ كتب الادب والانساب والتراجم إلى أن للعرب في جاهليتهم مذاهبَ وطرائق في انتقاء أسماء أولادهم وبناتهم ؛ إذ إنهم كانوا يتكئون على رؤى خاصة بهم تهيئ لهم أسباباً كافية وأمارات دالة على هيئة الاسم وكيفيته . وتكاد هذه المذاهب تنحصر فيما يلي :(١)

١- أن يُسَموا بما يتفاءلون به على أعدائهم ؛ وهم في هذا الباب ينصرفون إلى

مشتقات الترهيب وقذف الرعب في قلوب الأعداء ، فكان من ذلك : غالب وغلاّب وظالم وعارم ومُنازِل ومُقاتِل ومُعارِك وثابت ومُسْهِر ومُؤرِّق ومصبِّح ومنبِّه وطارق . ومن هذا أنهم سمّوا بأسماء السباع والمفترس من الحيوانات ، ترهيباً لأعدائهم وتمكيناً لأنفسهم فكان من ذلك : أسد وليث وفَرّاس وذئب وسِيد وعملّس وضرغام .

٢- أن يُسموا بما يتفاءلون به لأبنائهم ؛ وذلك أنهم كانوا يرجون أن يكون أبناؤهم على منجاة من الخطر ، أو على طباع وسجايا محمودة ، فكأنما يترسمون لهم بذلك طريقاً لهم عند القوى التي يؤمنون بها أو كأنهم ينظمون ترنيمة ابتهال أو ينشدون تعويذتهم الخاصة ، فكان من ذلك : نائل ووائل وناجٍ ومُدرك ودرّاك وسالم وسُلَيْم ومالك وعامر وسعد وسعيد ومَسْعَد وأسعد .

٣- أن يسموا بما غلظ من الارض والشجر وخشن ؛ تفاؤلاً بأن يكونوا كهيئة تلك الأشجار خشونة وصبراً واحتمالاً ، فانتقوا من الشجر ما كان شوكياً صبّاراً على جفاف الصحراء وقسوة تربتها ومُناخها ، فكان من ذلك طَلْحَة وسَمُرة وسَلَمة وقتادة وفراسة . ومن الأرض حَجَر وحُجَيْر وصخر وفِهْر وجَنْدَل وجَرْوَل وحَزْن وحَزْم .

٤- أن يسموا بأسماء الزمان ، كربيع وهو أحد فصول السنة الأربعة .(٢)

٥- أن يسموا أسماء تعبُّدية ، قَصْدَ التعبُّد والتبرُّك بإله من الآلهة ، راجين أن يكون الولد محفوفاً بعناية الإله مادام حاملاً اسمه ، فكان من ذلك : عبد شمس وعبد العُزّى وأشهر من سُمِّي بذلك أبو لهب عم الرسول ﷺ وعبداللات وعبد الدار . ولعلّه من هذا ايضا أنهم سمّوا بأسماء النجوم كتسميتهم سِماكاً وهو اسم النجم المعروف .(٣)

٦-أن يسموا بأسماء الفاعلين كحارث من حرث وهمّام فاعل من همّ أن يَفْعل كذا .(٤)

٧- أن يسموا بأسماء الطير ، كالقُطاميّ وهو الصَّقْر ، والهَيْثَم : فرخ العُقاب .(٥)

ويظهر من هذه الانتقاءات أن العرب في جاهليتهم كانوا يَصْدرون عن وعي حاضر - وإن لم يُعّدوا مُسَبّقاً للانتقاء - لما سيكون عليه الاسم ، وهم في ذلك يستظهرون ما في أنفسهم من رغبات وحاجات ، فيتوَفّرون في أسمائهم على مقصدين :

أما الأول فهو واقع بالضرورة ، وهو انتقاء الأسماء مما توافر لهم من معطيات بيئتهم من حيوانات ونباتات وجمادات ، وذلك أن «غالب أسماء العرب منقولة عما يدور في خزانة خيالهم مما يخالطونه ويجاورونه ، إما من الوحوش كأسد ونمر ، وإما من النبات كنبت وحنظلة ، وإما من الحشرات كحية وحَنَش ، وإما من أجزاء الأرض كفِهْر وصخر ونحو ذلك(٦) .

وأما الثاني فهو قائم على حاجة نفسية كامنة في نفس الوالد تنعكس في بنية صوتية وصرفية ودلالية تكون علماً على المولود ، وأمارة على ما يتوقع أن يكونه في ظل عالم يمور بالوثنية مَوْراً . بل لعلهم كانوا يعون أن الاسم قد يكون موجِّهاً سلوك أبنائهم يوماً ما . فاستعانوا بأسماء من مثل : سعيد وسعد ومالك وعامر وناج ومدرك .

ثم إنهم كانوا يعبرون عن عالمهم العقدي ، ذلك العالم الذي كانوا يهجسون به بينهم وأنفسهم ، فيسمون الأبناء رغبة في التقرب إلى الآلهة ، فيسمون عبدالعزى وعبداللات وعبد شمس وعبد مناة وعبد الدار .

وفي الباب نفسه سكنهم هاجس اللعنات والأرواح الشريرة ، فشغلوا بطردها وتطهير أبنائهم منها ، فوجدوا ضالتهم في تقبيح الأسماء بما يبعد معه أن يقترب الشر منه .(٧)

ثم إنهم بلغوا مرتبة من التفكير هدتهم إلى أسماء صدروا فيها عَنْ رؤى طبقية ، فخصُّوا أبناءهم السادة بأسماء قبيحة ، وخصوا عبيدهم وجواريهم بأسماء تدل على الرقة والعذوبة ؛ «فالغالب على العرب تسمية أبنائهم بمكروه الأسماء ككلب وحنظلة وضرار وحرب ، وما أشبه ذلك ، وتسمية عبيدهم بمحبوب الأسماء كفلاح ونجاح ونحو ذلك» .(٨)

أما إجراءات التسمية عند العربي الجاهلي فقد كانت تفيض بالعفوية والتلقائية ؛ وذلك أنهم كانوا يتفاءلون بأول ما تقع عليه أبصارهم بعد الوضع أو أثناءه ، فيختص الرجل بتسمية ابنه حسب ما يصادفه ، متأوِّلاً في التسمية أميز خصلة في ذلك الشيء المصادف ، أكان حيواناً أم نباتاً أم حجراً أم معنى ، وهم في ذلك بمأمن من العيب بقبح الأسماء . قال ابن فارس : «وأما تسمية العرب أولادها بكلب وقرد ونمر وأسد ، فذهب علماؤنا إلى أن العرب كانت إذا ولد لأحدهم ابن ذكر سماه بما يراه أو يسمعه مما يتفأَّل به ، فإن رأى حجراً أو سمعه تأول فيه الشدة والصلابة والبقاء والصبر . وإن رأى ذئباً تأوَّل فيه الفطنة والنُّكْر والكَسْب . وإن رأى حماراً تأوَّل فيه طول العمر والوقاحة ، وإن رأى كلباً تأوَّل فيه الحِراسة وبُعد الصوت والإلْف» .(٩)

ثم كان الإسلام والعرب على ما استحكم فيهم من عادات بالإلف والاعتياد . وكان الإسلام دعوة شاملة جامعة للناس أجمعين ، اختص العرب من بينهم بالنبي وأرض الجزيرة بالرسالة فأحدث تغييرات كثيرة وأقرّ الناس على عادات وأعراف كثيرة مما كانت لهم في الجاهلية ولا ينكرها الإسلام . فقد حفظ الإسلام الفضائل المعروفة في الجاهلية : الشجاعة والكرم والنجدة والمروءة ، ودثر شرب الخمر وعبادة الأوثان وما كان على شاكلة ذلك مما لا يتوافق والفكر الجديد .

ولم يكن أثر الإسلام قاصراً على الحياة الدينية والاجتماعية حَسْب ، بل تجاوز ذلك إلى الفنون الإبداعية وأجناس القول ، فكان من متطلبات التربية الأخلاقية حظر الشعر الماجن الباعث على الإفساد والرذيلة ، وأُبْطِلَ القول بالشعر الذي يمجّدُ العصبية والطائفية . كذلك ألغى الإسلام كثيراً من الألفاظ والعبارات التي كانت عَلَماً على السلوك الاجتماعي لأناس ذلك العصر ؛ وذلك أنها ما عادت تتوافق والمنحى الفكري للدين الجديد ومن ذلك أنهم تركوا «الإتاوة والمَكْس والحُلْوان . وكذلك قولهم : انعم صباحاً وانعم ظلاماً ، وقولهم للملك : أبيت اللّعن . وترك أيضاً قول المملوك لمالكه : ربّي ، وقد كانوا يخاطبون

ملوكهم بالأرباب ، وترك أيضاً تسمية من لم يحج صرورة ؛ لقوله ﷺ : لا صرورة في الإسلام ، وقيل معناه الذي يدع النكاح تبتلاً أو الذي يحدث حدثاً ويلجأ إلى الحرم» .(١٠)

وهكذا كان الإسلام تجربة روحية جديدة ، تمثلت في التوحيد والتقرب إلى الله بملازمة الرسول ﷺ واستظهار أقواله وأفعاله وتمثلها سيرة مثلى في حيوات الصحابة الكرام . وهكذا صار الناس إلى مفاضلة بين ماضٍ يمثل ميراثاً جاهلياً نفى الإسلام جُلَّه وحاضر مشرق مليء بالروحانية والنورانية . وكانت المفاضلة في صالح الإسلام .

ولما كانت التسمية ظاهرة لغوية اجتماعية ارتبطت بميراث جاهلي مستحكم بالإلف والاعتياد ، كان متوقعاً أن يناله من التهذيب والتثقيف والتغيير ما نال غيرَه من مظاهر الحياة الاجتماعية اللغوية فقد أعملَ الإسلام عمله في الأسماء وهيئاتها ومعايير انتقائها ؛ وذلك أنه تضمن نصوصاً صريحة تعالج هذه الظاهرة ؛ إذ كان لها من حديث الرسول وتوجيهه وسلوكه نصيبٌ طيِّبٌ شكَّل دستوراً واضحاً لسيرورة الظاهرة وما ينبغي أن تجري عليه في المجتمع الإسلامي الجديد ، بما يفضي إلى تحكم الضابط الشرعي أولاً ثم العرفي ثانياً في انتقاء الأسماء .

فقد رُوي عن الرسول ﷺ قوله : «إنكم تُدْعَون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم»(١١) . وروي عنه ﷺ أنه قال : «إن أحبَّ أسمائكم إلى الله عبدالله وعبدالرحمن» .(١٢) ويظهر من الحديث الأول دعوة صريحة إلى انتقاء أسماء جميلة في معناها وفي لفظها ، لتكون مما يبعث على راحة النفس والأذن ، ولا سيما أنهم سيقابلون الله تعالى بأسمائهم التي كانوا عليها في الدنيا . أما الحديث الثاني فإنه يتضمن قاعدة ذات وجهين ، أولهما مفاده دفع الناس إلى قرن العبودية بالله تعالى ، وثانيهما مفاده نهي ضمني عن العبودية لغير الله تعالى .

وهكذا يكون هذا الحديث توجيهاً مباشراً ومرحلة حاسمة في التحول الثقافي والديني على مستوى الظاهرة ؛ إذ لمَّا تغيرت المعتقدات المتعلقة بالخالق

والإله تغيرت الدلالات المألوفة في ذلك ، فكان متوقعاً أن يذر الناس ماهم عليه من تسميات الجاهلية أو أن يستبدلوا بها أسماء إسلامية للتقرب إلى الله بأحب أسمائه والاستنان بسنة نبيِّه ، والتدليل على تحولهم العقدي شكلاً ومضموناً .
فكان هذا الحديث القاعدة الأولى في انتقاء الأسماء للمسلمين وهي : استحباب الاسم عند الله .

ورُوِيَ أن رجلاً رزقه الله مولوداً ، فأحب أن يسميه محمداً ، فأبى قومه عليه ذلك تكريماً لقدر رسول الله ﷺ ، فانطلق بابنه حامله على ظهره ، فأتى به النبي –عليه السلام– فقال : يا رسول الله ؛ ولد لي غلام فسميته محمدا . فقال لي قومي : لا ندعك تسمي باسم رسول الله . فقال الرسول الكريم : «تسموا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي» .(١٣)

ولم يكتف الرسول ﷺ بالسماح بتداول اسمه ، بل تجاوز ذلك إلى تحبيذ التسمية بأسماء الأنبياء ، فقد روي عنه أنه قال : «تسمَّوا بأسماء الأنبياء ، وأحبُّ الأسماء إلى الله تعالى عبدالله وعبد الرحمن ، وأصدقها : حارث وهمَّام ، وأقبحها : حَرْب ومُرَّة» .(١٤)

ثم انصرف الرسول الكريم – ﷺ – إلى وجه آخر مقابل للاستحسان والاستحباب وهو باب الكراهة ، ومفاده تنفيره المسلمين ونهيهم عن أسماء على التعيين ، وقد خصَّ بذلك أول ما خصّ أسماء اعتادت العرب إطلاقها على غِلمانهم ورقيقهم ؛ إذ روي عنه قوله : «لئن عشت – إن شاء الله – لأنهيَنَّ أن يسمَّى رباح ونجيح وأفلح ونافع ويسار» .(١٥) ولعل مبعث تقبيح ذلك اقتران هذه الأسماء بالطبقية إضافة إلى ما فيها من دلالات .

ثم آن للرسول الكريم أن يتصرف في الأسماء وفق ما تمليه عليه العقيدة ، فكان لابد من خطوة ثالثة تتمّم الخطوتين الأوليين : الاستحسان والاستقباح . فكان التغيير . وذلك أن بعض المسلمين كان يحتفظ بميراث أجداده وعاداتهم التي استحكمت فيهم ، فكان من هذا الميراث الأسماء التي أطلقها آباؤهم عليهم ، فكان منها ما لا ضير فيه ولا اعتراض عليه . وكان منها ما يحمل

دلالات المرحلة السابقة الوثنية أو ما واكبها من اعتقادات ودلالات قبيحة أو دلالات فيها تزكية على الله تعالى . فقد روى نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ غيَّر اسم عاصية ، وقال : أنت جميلة .(١٦) وقيل : إنه ﷺ قد غيّر اسم بَرَّة ، فجعله جُوَيْرِية .(١٧) وروي عن «زينب بنت أم سلمة قالت : كان اسمي بَرَّة ، فسماني رسول الله زينب(١٨) . وقيل : دخلت زينب بنت جحش على الرسول واسمها بَرَّة ، فسماها زينب .(١٩) وروي أن رجلاً يقال له : أصرم ، كان في النفر الذين أتوا رسول الله ﷺ فقال رسول الله : ما اسمك؟ قال : أصرم : قال بل أنت زُرْعَة .(٢٠) وروى النووي عن أبي داوود قال : «وغيَّر النبي اسم العاصي وعزيز وعتلة وشيطان والحكم وغراب وحُباب وشهاب فسماه هاشماً ، وسمَّى حرباً سِلْماً ، وسمى المضطجع المنبعث ، وأرضاً يقال لها : عَفْرة سماها خضرة ، وشِعْب الضلالة سماه شعْب الهدى ، وبنو الزينة سماهم بني الرشدة ، وسمى بني مغوية بني رشدة» .(٢١)

ولما كان عصر الخلافة الراشدة يحاول مضارعة الرسول في أقواله وأفعاله ، فقد جهد الخلفاء أن يؤمنوا سيرورة الدعوة واستمراريتها ، وأظهر ما يكون في سياقنا محاولات عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - في أن يحذو حذو رسول الله ﷺ في ذلك . فقد روي عن مسروق قال : «لقيت عمر بن الخطاب ، فقال : من أنت ؟ فقلت مسروق بن الأجدع ، فقال عمر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : الأجدع شيطان» .(٢٢)

فالخليفة عمر في سلوكه هذا يحاول أن ينفِّر الرجل من دلالات اسمه ، بما يختزنه من مأثور عن الرسول الكريم .

وما يزال العصر الأموي يحاول مقاربة العصرين السابقين ، بما فيهما من الإمساك بزمام الدولة وحسن إدارتها ، فبقيت الأسماء - غالباً - على ما آلت إليه الأحوال التي خلفها ميراث النبي والراشدين .

ولما صارت الأمور إلى الدولة العباسية ، تحولت مجريات سير الأحداث ، وتغيرت شؤون الدولة والناس على المستوى الاجتماعي والسياسي والاقتصادي

والعرفي إذ بلغت الدولة مجداً سياسياً عظيماً ، وأصابت ازدهاراً فكرياً ، وازدهاراً اقتصادياً وتطوراً اجتماعياً قَلَّ نظيره .

فلما بلغ الإسلام بلاداً ما كان بالغها سابقاً ، أصبح الناس يتقاطرون للدخول في الإسلام من شتى البلاد المفتوحة حاملين معهم مواريثهم الثقافية والاجتماعية ، وكان أبرز هؤلاء الفرس والروم .

ولما امتزج هؤلاء بالعرب بحكم الاشتراك في الدين ، كان عليهم أن يبرهنوا على صدق انتمائهم للإسلام وانصهارهم في مقتضياته العربية . فكان أنْ شاعت الأسماء العربية شيوعاً كبيراً بينهم ، وكان من تأثر العرب بالفرس شيوع أسماء النساء الفارسية ولا سيما أسماء النباتات والزهور والحجارة الكريمة .

وفي هذا العصر أكثر الخلفاء العباسيون من اتخاذ الألقاب ، حتى غلبت على أسمائهم ، فباتوا يعرفون باللقب لا بالاسم ، فكان من ذلك : السفاح والمنصور والهادي والمهدي والرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمستنصر . واتبعهم في ذلك الأمويون في الأندلس ومن أتى بعدهم من ملوك الطوائف كالمعتضد والمعتمد وسواهما .

فإذا انتقلت إلى العصر المملوكي والأيوبي من بعده ألفيت غالب الأسماء تقوم على نسق تركيبي يتألف من شقين ، يدل الأول على القوة والغلبة أو الهداية أو القيام على أمر الإسلام وشؤونه ، وأما الثاني فإما أن يكون كلمة الدولة أو الدين . وهذا الأسماء في أغلبها ألقاب ، ولكنها صارت أعرف من الأسماء فغلبت على أصحابها حتى إنهم لا يعرفون إلاّ بها .

ويذكر صاحب صبح الأعشى أن أول من استعمل اللقب مضافاً إلى الدولة العباسيون ثم البويهيون الذين برزت عندهم ألقاب من مثل : ولي الدولة وعميد الدولة وعماد الدولة وركن الدولة ومعز الدولة وعضد الدولة وناصر الدولة وسيف الدولة .(٢٣)

وبقي الأمر على التلقيب بالإضافة إلى الدولة إلى أيام القادر بالله ، فافتتح التلقيب بالإضافة إلى الدين ، وكان أول من لقب بالإضافة إلى الدين أبو نصر

بهاء الدولة ابن عضد الدولة ابن بويه ، زيد على لقبه بهاء الدولة (نظام الدين) فكان يقال : بهاء الدولة ونظام الدين(٢٤) ، وكانت هذه الالقاب المركبة مختصة بأولي الامر ونظرائهم ، ثم صارت مشهورةً بين عامة الناس .

أما في مصر فكان الفاطميون يقلدون الخلفاء العباسيين ، فكان منهم : المعز لدين الله والعزيز بالله والعاضد لدين الله .(٢٥)

ومن الأسماء التي تعاظمت في الدولتين المملوكية والأيوبية : عماد الدين ، ونور الدين ، وصلاح الدين ، وأسد الدين ، وتقي الدين ، وعصمة الدين ، وتاج الدين . وكلها أسماء تعبر عن السلطان والمنعة وحب خدمة الدين والبذل في سبيله .

ومما شاع أيضاً ألقاب اختص بها فقهاء الإسلام وعلماؤه ، فكان من ذلك حجة الإسلام ، وضوء الإسلام ، وشيخ الإسلام ، ومعز الإسلام ، وركن الإسلام .(٢٦)

أسماء العرب في الأردن (١٩٧٠-٢٠٠٠) : الدراسة التطبيقية

حدود البحث وإجراءاته

قام هذا البحث على عينة عشوائية من أبناء المجتمع الأردني ، توزعت مناطق المملكة ببيئاتها المختلفة البدوية والريفية والمدنية والمخيمات ، وقد حدّدت العينة ضمن الحدود التالية :

(١) أن يكون الأبناء ممن ولدوا بعد عام سبعين وتسعمائة وألف .

(٢) أن يقتصر الاشتراك في العينة على المسلمين العرب من الأردنيين ، فلم يدخل في نطاقه المسيحيون أو الأردنيون المسلمون من أعراق غير عربية (الشركس والشيشان) .

واعتمد البحث على أساليب اللسانيات الاجتماعية ومناهجها في جمع المُدَوَّنة (المادة اللغوية) إذ اعتمد على تقديم استبانة مكتوبة يملؤها رب العائلة أو ربة العائلة إن كان الوالد متوفى . كذلك اعتمد على المقابلات الشخصية

المسجلة مع أفراد عائلات متعددة ولا سيما عند الحديث عن ردود أفعالهم تجاه أسمائهم .

ولما اجتمعت للباحث عينة لغوية كافية ، حلَّلها وفق تحليلات لسانية اجتماعية تربط الاسم بالمتغيرات الاجتماعية كالجنس والبيئة والطبقة الاجتماعية ، ثم رصدت هذا التحليلات رصداً احصائياً يسجل الأسماء التي وقفت عليها العينة وتكرار كل اسم ومدى شيوعه وندرته مفسراً ذلك وفق مقاصد اجتماعية ودينية ولغوية وعقدية .

مقاصد التَّسْمية

قد اختلفت ظروف الناس وأحوالهم الآن عما كان عليه سابقوهم اختلافاً كبيراً . فقد كانت العرب تتخذ الاسم من لحظته وفقاً لمقتضيات المناسبة أو مُقتضيات البيئة ، ثم صاروا إلى عفوية أخرى في انتقاء الأسماء تفترق عن عفوية الأوائل . أما الناس في زمننا هذا فصاروا يحتشدون للتسمية من الأول ؛ فإذا ما عرفوا بوجود الحمل صاروا يُقلِّبون الأمر على وجوهه ، فيتخيرون قائمة من الأسماء لمولود ذكر ، ويتخيرون قائمة أخرى من الأسماء لمولودة أنثى ، ثم يعرضون القائمتين على بساط البحث والمداولة . وهم في انتقائهم تلك القائمة قد تأخذهم العفوية وقد يتوفَّرون على مقاصد متعددة .

وقد أظهرت نتائج هذا البحث أن الناس في الأردن يتوفَّرون على مقاصد خبيئة في نفوسهم(٢٧) ، قد تستعلن على التصريح ، وقد يشي الاسم ذاته بتلك المقاصد ، وقد وقف البحث على كثير من المقاصد التي تجمعها خطوط عامة ، هي :

١- المقاصد الدينية

لعل هذه المقاصد أكثر المقاصد التي يصدر عنها الناس أو يُصرِّحون بها عند التسمية ، فتراهم ينتقون من الأسماء ما كان ذا صبغة دينية بارزة يصِّرح بها الاسم ذاته ، وهم في ذلك إنما يُعَبِّرون عن عالمهم العقدي وتمسكهم بالعبودية

لله ، متخذين من مضمون حديث رسول الله ﷺ الناصّ على تفضيل ما عُبِّد وحمِّد من الأسماء نبراساً يسيرون على هديه ، فكان من أسمائهم : عبدالرحمن وعبدالله وعبدالخالق وعبدالرحيم وهبة الله وما شابه ذلك .

ثم تراهم يتوسّلون بأسماء الأنبياء الأكارم يتقدمهم سيدنا محمد - ﷺ - وهم في ذلك يترسّمون منهج الأوائل في التسمية بأسماء الأنبياء ، متخذين منهم قدوة واحتذاءً فكان اسم «محمد» الغاية في الانتشار ؛ إذ غلب على العينة فكان اكثرها تواتراً على الاطلاق ، وأكثرها دوراناً على الألسنة . ولم يكتف الناس بهذا الاسم الصريح حسب ، بل استعانوا بما حُمِل عليه من أسماء ولا سيما أحمد ومحمود . وسَمَّى بعضهم مما ورد من أسمائه ﷺ أو صفاته في القرآن العظيم . فكان من ذلك : بشير ومنذر وصادق وأمين وهادي ومصطفى . . .إلخ .

ثم استعاروا أسماء الأنبياء ، فكان من أشهر هذه الأسماء : عيسى وموسى وإبراهيم ويوسف ويعقوب واسحق . ولعلهم كانوا في ذلك يصدرون عن غاية دفينة ؛ أنّ يكون الاسم النبوي حِصْناً لصاحبه ، فلا ينحرف ولا يزل ، احتراماً وتقديراً للاسم الذي يستدعي صاحِبَه الأول بعفوية . بل لعلهم كانوا يدارون اعتقاداً بأن يكون الاسم حِصْناً من الأرواح الشريرة أو الشياطين وما يشبه ذلك .

ومثلما الحال في أسماء الرجال ، كانت أسماء النساء ؛ وذلك أنهم قد اتخذوا من بيوتات الأنبياء قدوة ، فاتخذوا أسماء زوجاتهم وبناتهم وأمهاتهم ، فكان من ذلك : عائشة وخديجة وفاطمة وسارة وآمنة ومريم .

ثم إنه لما كان الخلفاء الراشدون وصحابة الرسول مثالاً يحتذى في صفاتهم وطبائعهم وأخلاقهم ، انصرف الناس إلى التفاؤل بأسمائهم راغبين أن يكون الأبناء على ما عُرِفَ به الصحابة والخلفاء ، فكان أن برزت أسماء مثل : بكر ، ليكنى الوالد أبا بكر وعلي والحسن والحسين وعمر وعثمان وزيد وغير هذا كثير مما توفرّت عليه الدراسة .

والقول نفسه يجري على الخلفاء الأمويين والعباسيين ، من ذلك : معاوية

ومعتصم ومأمون . . . إلخ .

ولما كان الدين عنصر انتماء بارزاً ، انصرف كثير من الناس إلى قرن أسماء أبنائهم - الذكور على التعيين - بكلمة الدين ، محاكاة لأسماء القادة العظام من المماليك والأيوبيين ، وتفاؤلاً بأن يكون الولد على تدين وخلق قويم ، فكان من ذلك صلاح الدين وحسام الدين ونور الدين وعماد الدين ونصر الدين وناصر الدين ، وسيف الدين . .إلخ .

وقد يكتفي بعضهم بانتقاء أسماء لبناته - على التعيين- مما ورد لفظه في القرآن الكريم من مثل محتويات الجنات كـ : سلسبيل وتنسيم وياقوت . أو ما يدل على معان مقترنة بالدين الإسلامي مثل : هدى وهداية ورحمة ونور وحنان وإيمان وساجدة وآلاء وآية وآيات وإسلام وبشرى ودعاء وخلود وزينة وعُلا .

ومن ذلك أن يسمِّي الرجل ابنته باسم سورة من سور القرآن العظيم من مثل إسراء وبراءة وأنعام وكوثر .

ولعله مما يلابس هذا أن كثيراً من الناس يصدر في تسميته عن رؤيا رآها في المنام تتمثل في أن شيخاً جليلاً قد جاء الرجل أو زوجته في المنام يبشِّره بجنس المولود ويطلب إليه أن يسمّيه اسما على التعيين ، فإذا ما حدث ذلك يستحق المولود أو المولودة تلك التسمية ، فتصير علماً عليه . فكان مما جاء في استبانة البحث أن أحدهم سمَّى ثلاثة أبناء له وفق رؤى في المنام . فقد سمى ابنه محمداً ، لأن جارته السعودية - وكان يعيش في السعودية - قد رأت في منامها أن ما تحمله زوجه ولد ذكر وأنه سُمّي محمداً ، فكان ذلك . وأما الثاني فقد سماه «علاء» وذلك أن عمته قد رأته في المنام على يدي شيخ جليل طلب إليها أن تسميه هذا الاسم ، ثم رأى الوالد في المنام أن ما تحمله زوجه أنثى واسمها وئام ، فكان ذلك . ومثل هذا كثير .

٢-المقاصد اللغوية

ويتمثل ذلك في أن الناس يحتشدون ليكون الاسم على نسق لغوي ما ييسِّر التواصل ويحقق الغايات التي ينطوي عليها الوالدان ومن يشاركهما انتقاء

الاسم . وتتدافع الناسَ مقاصدُ لغويةٌ على نحو يتوافق ومعطيات الواقع الاجتماعي الذي يحياه الناس في الأردن ، فتتشعب تلك المقاصد لتستنفد معظم مستويات التحليل اللغوي الصوتية والصرفية والدلالية ، وأكثر ما يكون ذلك في الدلالة .

فمن الناس من يقصد إلى أن يكون الاسم على دلالة جيدة مستحبة تثير في نفوس الناس مشاعر الجمال والأحاسيس المرهفة وسواها من المعاني ؛ فيكون معنى الاسم المحركَ الأساسيَ والباعث الأوحد على تلك التسمية ، فكان من تلك الأسماء : جمال ووليد ورُواء ويمان وإياب وديمة ولمياء وحنان وشرف وفائق وبهجة وبهاء ووديع وجميل وفادي وسلافة وزينة وآمال وريم . . .إلخ .

ثم إنك تجد من الناس من يفضل أن يكون في الاسم دلالة على الشدة والبأس والشجاعة والقوة ؛ فيلجأون إلى اصطفاء أسماء الحيوانات المفترسة والجارحة لتكون علماً على أبنائهم الذكور على التعيين مثل : هيثم وأُسيد وليث .

ومن هذه المقاصد ما هو أدخل في المستوى الصوتي ؛ فقد حَرَصَ كثير من الناس الذين اشتركوا في البحث أن يكون الاسم سهل النطق والكتابة ؛ وذلك بأن يكون قليل الحروف ، متباعد مخارج الأصوات ؛ ليسهل نطقه وتلقيه سمعياً ، ومن ثمَّ يسهل مَيْزه من سواه من الأسماء ، وذلك مثل : أنس ويزن وسيف وشرف ومازن وعمر وفراس وآية ولُمى وهديل ومنى وهدى ولبنى وربا . . . إلخ .

ومنهم من أراد أن تكون أسماء أبنائه وبناته على نسق صوتي أو صرفي واحد ، فكان اسمُ الابن الأول العنصر اللغويَّ الذي يُحْتكم إليه في انتقاء التسمية ، من ذلك أن بعضهم قد سمَّى أولاده الذكور : جهاداً وزياداً وإياداً وعماداً ونهاداً ، فكان النسق الصرفي والصوتي على توحُّد في هذه الأسماء جميعاً .

ومن ذلك أن أحدهم قد انتقى صيغة اسم الفاعل (بناء فاعل) لينتظم

أسماء أبنائه وبناته مثل : سامر وناصر وياسر وشاكر وشادن وفاتن ، فاختلط الصوتي بالصرفي في هذا النسق التسموي .

ثم إنك تجد مَنْ جَعَل همَّه أن تتساوى الأسماء في الحرف الأول أو الأخير ، مثل : مُكَرَّم ومراد ومروان ومرام ومَرْوة . ورائد ورنا وريم ورشا وربا وعادل وعزَّة وعصام وعايدة وعلاء الدين .

ومن الأسباب اللغوية ما جاء ليتوافق وما جدَّ في حيوات الناس من ظروف سياسية واجتماعية ؛ وذلك أن كثيراً من الناس ينشدون لأبنائهم السفر إلى أمريكا أو أوروبا ، فينتقون أسماء لا تثير حفيظة أولئك الناس دينياً أو سياسياً ، كما انصرف كثير منهم إلى انتقاء أسماء معروفة في العربية وغيرها من اللغات ، ولا سيما اللغة الإنجليزية ، فكان من أسمائهم : جود وماري وماريان ولورين . وأكثر ما يكون ذلك في أسماء البنات .

ويقترن بالعامل الآنف عامل يتعلق بالرسم ؛ وذلك أن كثيراً من الناس يتوفّرون لأبنائهم وبناتهم على أسماء مما لا يختلُّ رسمه حين يُنْقَلُ إلى الأبجدية الإنجليزية أو غيرها من اللغات ، فيتحرّون أن تكون حروفه من غير الحروف التي تنفرد العربية بها دون سواها ، فيتحاشون أصوات الهمزة والحاء والخاء والضاد والطاء والظاء والعين والغين . . . هكذا . وظاهر أن هذا المقصد محتفلٌ به لدى الطبقات الثرية التي تسعى أن يحصِّل أبناؤها العلم خارج الأردن .

ثم نقف على جانب لغوي يتفاوت فيه الناس تفاوتاً لافتاً ، وهذا الجانب متعلق بترتيب الحروف الهجائية في العربية ، وقد انقسم المشتركون في استبانة البحث ثلاث فئات :

تفضل الأولى أن يبدأ الاسم بحروف الهجاء الأولى المتقدمة ، فيحصرونها بين الهمزة والحاء ، ويفضلون أن يكون مبدوءاً بالهمزة أو الباء ، قاصدين أن يحصِّل أبناؤهم ترتيباً متقدماً في سجلات المدارس والدوائر الرسمية ؛ ليكون لهم فضل التقدم والسبق على من يتأخرون عنهم في حروف الهجاء .

أما الثانية فتفضل أن يكون الاسم مبدوءاً بحرف متوسط ؛ لأن خير الأمور أوسطها ، فلا يقعون ضحية التجربة الأولى ، ولا يتأخرون إلى أسوأ المقسوم من الأسئلة أو السجلات أو توزيع الأدوار .

أما الثالثة فتفضل أن يكون الاسم مبدوءاً بحرف من الحروف المتأخرة ، ويحصرون ذلك في الميم والنون والهاء والواو والياء ؛ ليكون بإمكانهم أخذ العُدَّة لما هم قادمون عليه ، فيستفيدون تجارب سابقيهم ويتهيأون للطوارئ كلها .

ولعل من المقاصد اللغوية ما يبعث على الغرابة والإدهاش ؛ وذلك أن الوالد كان يدرس الطب في إحدى الدول الأوروبية وزار عدداً من تلك الدول ، وصار إلى الزواج من امرأة كندية ، فلما رزق أولاداً جعل مقصده الأساس أن يكون الاسم مزدوجاً يتركب من جزئين : أحدهما عربي صِرْف والثاني أجنبي (لعله كندي) يمثل ترجمة له ، فكانت الأسماء على النحو الآتي :

- جِسْتن عِلْمي Justin Elmy
- آمنة غريس Amneh Grace
- لَيْث الكسندر Laith Alexander

وهم يتداولون الشطر العربي من الاسم .

٣-المقاصد الاجتماعية

تكاد هذه المقاصد تشاطر المقاصد الدينية كثرة وتشعباً . وهي تكشف عن جانب هام من جوانب صلات القربى وعلاقات الناس في المجتمع الأردني ، وهي سمات تظهر في بلاد الشام ، وذلك أن العادات الاجتماعية والنظم الأسرية تتحكم إلى حد بعيد فيما سيكون عليه الاسم .

وأول ما تكشف عنه عملية الانتقاء الاحترام الشديد والتبجيل العظيم الذي يحظى به الوالدان في المجتمع الأردني ؛ وذلك أنه بات عُرْفاً - على التقدير

- أن يسمّى الحفيد الأول (البِكْر) من جهة الابن باسم جدِّه ، بل لعل العائلة الجديدة توزع ولاءها بين أهل الأب وأهل الأم ، فيسمون ابنين وابنتين على اسمي جديهما لأبيهما ولأمهما . وقد ظهرت هذه السمة ظهوراً لافتاً يرقى إلى مرتبة الظاهرة ، ولا سيما في القرى والأرياف والمخيمات والبادية التي بدأت تميل إلى التحضر ، في حين لا تكاد تظهر هذه السمة في الأحياء الغنية من مدينة عمان ، ولعل ذلك يرتد إلى النمط المعيشي الذي تحياه الأسرة في مدينة متحررة من كثير من الأعراف القبلية السائدة .

ولا يقتصر الأمر على الجدّين حَسْب ، فقد يتجاوزون ذلك إلى من يحبون من الأقارب ، أو من يكون على منزلة خاصة من صحبة الأب أو الأم ، بَلْه الجيران أو الممرضة أو الطبيب الذي كان أشرف على الولادة ، فاقترح الاسم وفضله ، ومما ظهر في عينة البحث :

-انشراح : اقترحته القابلة التي أشرفت على توليد الأم .
-حياة : وفقاً لاسم خالتها .
-وليد : تفاؤلاً بأن يكون كخاله .
-لُمى : اقتراح إحدى الممرضات في المستشفى الذي ولدت فيه .
-صفاء : وفقاً لاسم معلمة كان لها فضل على الأم .
-لبنى : وفقاً لاسم تلميذة من تلميذات الأم .
-ابتسام : وفقاً لاسم ابنة الجيران .
-توفيق : وفقاً لاسم صديق للوالد عزيز .
-ألْبرت : وفقاً لاسم خاله الكرواتي .

ومن تجليات المقاصد الاجتماعية لديهم أن يكون الاسم معاصراً ؛ أي أن يكون مما يكثر شيوعه في زمن الناس هذا . والحق أنّ أبناء المجتمع باتوا يصرفون اهتمامهم إلى انتقاء الأسماء ، وما عادوا يتركون ذلك للعفوية أو تحكم الأجداد . من ذلك أنهم بدأوا يتجافون عن أسماء توحي بكبر السن والقِدم مثل : خديجة وعائشة ومريم وصفية وفاطمة وكاملة ونعمة من النساء ، وجابر وخميس وجمعة

ونايف ورمّاح وخليف ونوّاش من الرجال .

وإذا كانت هذه الطائفة تبتغي اشتهار الاسم لتسمي به ، فإن ثمة طائفة ثانية تقف على النقيض من هذه ؛ إذ تبتغي لأبنائها وبناتها التميز والفرادة ، بل لعلهم يبتعدون حين يقررون أن يكون الاسم غريباً إمعاناً في التفرُّد والتميز . وهذه الطائفة إنما تعكس رؤى فكرية وبواعث نفسية كامنة في وعي أفرادها ، بل لعلهم يتفاءلون بتميز الاسم أن يكون موجِّهاً سلوك حامله ، ومن أبرز هذه الأسماء : شُبْرُمة ورواء ووحْدة وبنان وهُتاف ونازك ونشوة وهدير وريمان ورِماح وليانة ومُخْلِص و «محمد ولِيد» وثابت وواثق . . . إلخ .

ومن المقاصد الاجتماعية اللافتة ، أن تُردَّ التسمية إلى تاريخ الوالد قبل زواجه ؛ وذلك أن عدداً من الناس - ولا سيما في الطبقات المحترفة - يكتنون بكنية تكون علماً عليهم قبل أن يقترنوا بزوجاتهم ، فيعرفون بين الناس بأبي فلان ، فإذا ما تزوج الواحد منهم احتفظ بذلك الميراث ، كأنما يمثل له عهداً أو ميثاقاً لابد أن يلتزمه ، فتصير الكنية من عالم الافتراض والتفاؤل بالولد إلى عالم الشهادة والحقيقة .

ثم تكون المناسبة بما تكتنفها من ظروف مادية ومعنوية محدداً لما يكون عليه الاسم ، من زمن أو حالة صحية أو خِلْقة أو مناسبة ما أو تخليداً لشخص أو حادثة . من ذلك أن والدي سماني وِليداً ، إحياءً لذكرى شهيد صادف استشهاده يوم ولادتي وكان اسمه وليد أحمد .

ومن ذلك أن أحدهم سمّى ابنته «صبرا» لأنها ولدت يوم مذبحة صبرا وشاتيلاً ، فأراد أن تكون البنت شاهدة على تلك المجزرة البشعة . كما صادف أن اثنين من الآباء قد سمَّيا ابنتيهما إسراء لأنهما ولدتا ليلة الإسراء والمعراج . وسمى أحدهم ابنته ساجدة لأنها ولدت على هيئة سجود . وسمى أحدهم ابنته آيات لجمالها وصفاء وجهها . وسمى أحدهم ابنته رابعة لأن ترتيبها الرابع بين إخوانها . وسمى أحدهم ابنته سحر لأنها ولدت وقت السحر . وسمى أحدهم ابنته ابتسام لأنها ولدت مبتسمة . وسمى أحدهم ابنه عَدِيّاً لولادته

أثناء حرب الخليج . وسمى أحدهم ابنه مؤنساً لأنه الذكر الوحيد بين أخواته . وسمى د . ناصر شبانة ابنه وساماً لوسام قلّده إياه الملك عبدالله الثاني بن الحسين . وسمّى مزارع ابنته ندى لحبه الندى وما يحمله من علامات التفاؤل بموسم جيد . وسمّى أحدهم ابنه «رجب» لولادته في ذلك الشهر .

وقد يلابس هذه المقاصدَ الاجتماعيةَ مقاصدُ نفسية ؛ إذ يتغيّا كثير من الناس أن تتوافر في الاسم صفات تبعث على الراحة النفسية لحامل الاسم ولوالديه و لسامعه لتكون تعبيراً عن كثير مما يُداخِلُ الإنسان من مشاعر وعواطف وأحاسيس ورغبات ، فيختارون أسماء تبعث على التفاؤل والأمل والوداعة والضياء والإشراق من مثل : أمل ونور ومنار وأنوار وسناء ومصباح ومنير ونداء وإخلاص وآمال وندى ونجاح وحياة ووسام وأنس وعلاء وتيسير وهاني وفرح . . .إلخ .

ويتصل بهذا المقصد أن يكون الاسم مبعثاً على التفاخر والتباهي ، فينتقي الوالدان اسماً يقترن بدلالته اللفظية وتداعياته بشخصية مرموقة وذات أثر في مجرى التاريخ المحلي أو التاريخ العربي والإسلامي ، وكان مما أبرزه البحث التسميات التالية :

- طارق : وفقاً لاسم طارق بن زياد .
- خالد : وفقاً لخالد بن الوليد .
- نور : وفقاً لاسم الملكة نور وتفاؤلاً بأن يكون لها مثل نصيب الملكة .
- هيا : وفقاً لاسم الأميرة هيا بنت الحسين ، وتفاؤلاً بأن يكون لها مثل نصيب الأميرة .
- ديانا : وفقاً لاسم الأميرة ديانا .
- فيفيان : وفقاً لاسم الممثلة فيفيان لي .
- غادة : وفقاً لغادة الكاميليا .
- هنادي : وفقاً لاسم بطلة طه حسين في أحد أعماله .
- جمال : وفقاً لاسم جمال عبدالناصر .
- رجاء : وفقاً لاسم الفدائية رجاء عماشة .

- ليلى : وفقاً لاسم مناضلة فلسطينية مشهورة سنة ولادتها (١٩٧٦) .

ومما يلابس هنا القصد من زاوية خلافية مقصد نفسي اجتماعي لغوي ، أن يُتَحرّى التصحيف الصوتي بما يفضي إلى أن يصير الاسم موضع تندُّر واستهزاء ، فيتحاشون ذلك لئلا يؤذوا أولادهم وبناتهم نفسياً في مستقبل حياتهم ، فتراهم يبتعدون عن تسمية (ياسمين) مع ما تتضمنه من دلالة لطيفة ورائحة زكية ، لأن الاسم مظنة تحريف فيصير يا سمين بما يشبه السُّباب . ومن ذلك أن يجتنب كثير منهم التسمية بـ(أنور) مع ما في دلالته من النورانية والضياء ، وما ذلك إلاّ لأنه يستدعي ذكر (النَّوَر) .

ومنه أيضاً أن يتجنبوا - قدر الطاقة - الأسماء التي يشترك فيها الذكر والأنثى ، تجنباً للحرج الاجتماعي ، وذلك مثل : نور وجهاد ونضال وكفاح ونهاد وإحسان ورفعت . . .

ثم إنك تراهم يختارون لبناتهم -على التعيين- أسماء من عناصر الطبيعة التي تنبض بمعاني الجمال والرقة والعذوبة والرفعة والشرف والضياء ، وأكثر ما يكون ذلك في أسماء الورود و روائحها والكواكب وعلوها . فكان من ذلك : نسرين وياسمين ووردة وورود وأريج وشذى وعبير وسوسن وخزامى وأرجوان وكوكب وبدور وبتول وشروق وإشراق وزهرة وأزهار وزيزفون . . .إلخ .

ويتصل بهذا المقصد اختيار اسم يليق بأنثى ويتوافق وطبيعتها رقة وعذوبة ، فينتقون الأسماء ذات الأصوات المرققة البعيدة عن التفخيم والمقاطع القصيرة سهلة النطق والمعاني البعيدة عن الشدة والبأس .

ثم إن من الناس من يكون ثاقب النظر نافذ البصيرة ، فينتقي اسماً يتلاءم وكبر السن ، فيبتعد عن أسماء من مثل لؤي ورامي وفادي وشادي ، وأكثر ما يكون هذا في أسماء الأولاد لأنها تستعلن على الملأ بحكم وظيفة الرجل الاجتماعية ، ويكون أقل في أسماء البنات بحكم وظيفتهن الاجتماعية على التقريب .

وقد يصدر كثير منهم عن أصداء دفينة تعتمل نفوسهم ، فيطيب خاطرهم

بمولود جديد جاء بعد فقد أخ سابق له ، فيحمّلونه الاسم نفسه ، فكان من ذلك : عَوَض وخَلَف ومحمد وأحمد وجمال . ثم تراهم يصدرون عن شكوى مريرة من كثرة البنات ، فيلقون آمالهم إلى الله بالاسم ، فيكون من ذلك : رجاء ، رجاء أن يكون تاليها ولداً . وكفاية ، اكتفاء بما لديه من الإناث . ونهاية ، تعبيراً عن نفاذ صبره أو عزمه تحديد النَّسْل . وختام ، ختاماً للذرِّية ورغبة في التحديد ، أو أَنْ تكون وسيلة عند الله أن يعقبها بولد .

٤-مقاصد فكرية (اعتقادية وانتمائية)

وذلك أنهم يعبرون عن أفكار فلسفية أو عقدية أو حزبية يتبنونها ويسلكون في سلكها ، فينقلون ذلك الانتماء إلى حيز التوثيق والتعريف الاجتماعي ، وكان مما تضمنته استبانة البحث ما يلي : حماس ، تأييداً لحركة المقاومة الإسلامية حماس . وفتح ، انتماءً إلى حركة فتح الفلسطينية . وفلسطين ، اعتزازاً وولاءً . وعريب ويعرب ، تعبيراً عن فكر عربي قومي . ووِحدة ، تعبيراً عن الفكر الوحدوي العربي . و كفاح ونضال ومجاهد وثائر وثائرة وعاصف وعاصفة وهُتاف ، تمشياً مع أحوال الانتفاضة الأولى وقبل ذلك حرب لبنان . ولؤي وقيس وإياد وبكر ووائل وهوازن ، اعتزازاً بالقبائل العربية السالفة وتمسكاً بالقومية العربية .

قد أظهرت إجراءات البحث وأدواته أن جُلّ الناس تحركهم مقاصد على التعيين حين يختارون اسما لولدهم أو لابنتهم ، كما أظهرت أن شطراً يسيراً من هؤلاء الناس يسمي بعفوية أو تلقائية أو على نحو غير مضبوط ، من ذلك أن أحدهم سمى ابنته فادية بالانتخاب من عدة أسماء بالقرعة . وسمى أحدهم ابنته (صيتة) دون سبب هكذا ، وسمّى ثالث ابنته فيروز لأن فيروز كانت تغني لحظة الولادة وهكذا .

- الأنساق التسموية :

أقصد بالنسق أنْ ينتظم أسماءَ أفراد العائلة بناءً صوتي أو صرفي أو تركيبي

أو ضابط دلالي ، يبرز علاقة مشابهة أو مجانسة أو اشتراك أو ترادف أو تضاد .

وكانت نتيجة إنعام النظر في استبانات البحث أن فكرة النسق (النظام) والانتظام متحققة في انتقاء الأسماء . وأغلب ما يكون هذا التحقق تحققاً مقصوداً وليس عفو الخاطر ؛ وذلك أن الوالد قد يجعل اسمه أو اسم والده (الجد) محتكماً ومرجعاً في انتقاء الاسم . وقد يجعل اسم أول ولد له الضابط الذي يحتكم إليه في انتقاء الأسماء الأخرى ، ويخوِّله سلطة المرجع الذي يُحْتفى به وتُرد المشورة إليه .

وقد انجلى لنا هنا أن الأنساق التسموية التي أبرزتها عينة البحث تكون على مستويين مألوفين لدى المشتغلين باللسانيات الحديثة ، هما :

١- المستوى الخطي الأفقي . وهو يرصد وجه العلاقة بين الاسم الأول وسلسلته النسبية التي تتعداه إلى مقطعين ، أي العلاقة بين اسم الولد ووالده واسم جده . أما فيما يتعلق بالإناث فينشعب هذا النسق لديها شعبتين : الأولى من جهة الأب ؛ والثانية من جهة الأم ، ويقتصر فيها على الإناث حَسْب ، الأم والجدة .

٢- المستوى العمودي . وهو يرصد العلاقة بين اسم المولود وأسماء إخوانه وأخواته ، وذلك على النحو التالي :

١			
٢			
٣	الأب	الجـد	العائلة
٤			
٥			

فهذا المستوى يهتم بتفصيل العلاقة بين الولد (٣) وإخوانه (١ ، ٢ ، ٤ ، ٥) . وتاليا بيانُ هذه الأنساق وتفصيلها .

أولاً :الأنساق الأفقية الخطيّة

أظهرت الدراسة أن أسماء الأبناء - في الغالب - ترتبط ارتباطاً مباشراً باسم الوالد والجد ، وأن هذا الارتباط يكون على وجوه متعددة ، يبدو بعضها صدوراً واعياً ومقصوداً عن هدف معين عند انتقاء الاسم . وقد يبدو بعضها مصادفة أو من باب التوارد .

وأول هذه الأنساق وأبرزها وأدلُّها على غاية الوالد أن يتخير اسماً لابنه أو ابنته يؤلف مع اسمه (الوالد) عَلَمًا ذا دلالة في التاريخ الثقافي للأمة العربية والإسلامية ، تعبيراً عن احتفاء الوالد بهذا الاسم وإمعاناً منه في التفاؤل ؛ أن يغدو الاسم موجهاً الوَلَدَ ، أو حِرزاً له . وكان مما أفرزه البحث وجهان :

الوجه الأول : وهو يمثل شخصيات إسلامية ذات أثر واضح في الدعوة وانتشار الدين ، وهو ممثل في الجدول الأول .

الاسم	التكرار
محمد عبدالله	٤
قاسم محمد	٢
طارق زياد	٨
خالد وليد	٣
يوسف يعقوب	٢
نورالدين محمود	١
عقبة نافع	١
عمر عبدالعزيز	٢
عمار ياسر	١
حُباب منذر	١

الوجه الثاني : وهو يمثل شخصيات معاصرة من القادة والفنانين والأدباء وهو ممثل في الجدول الثاني :

الاسم	التكرار
محمد علي	٤
عبدالله حسين	٢
محمود درويش	٢
أحمد عرابي	١
منى واصف	١
حسين فهمي	١
ميرفت أمين	١
نجلاء فتحي	١
هاني شاكر	١
مصطفى محمود	١

وثاني الأنساق الخطية أنْ تَشترك الأسماء في مادة اشتقاقية واحدة وذلك مثل :

- محمد أحمد محمود
- محمد أحمد محمد محمود
- أمجد ماجد
- حامد أحمد
- أحمد حمدي
- سمر سمير
- باسم بسّام
- ابتسام بسام
- فاخر فخري
- سعيد سعد
- حسن حسين .

وثالثها أن يشترك الولد ووالده في اسم واحد ، وهذا قليل يقتصر على الذكور دون الإناث ، وقد ظهر في العينة في حالتين حَسْب هما : ياسين ياسين وأحمد أحمد .

ورابعها أن يشترك الاسمان في بناء صرفي واحد ، وهذا كثير يستوي فيه الذكور والإناث . من ذلك :

* ثامر ياسر	:	على وزن فاعِل
* ثامر خالد	:	على وزن فاعِل
* ساهر ماهر	:	على وزن فاعِل
* حاكم سامي	:	على وزن فاعِل
* أحمد أكرم	:	على وزن أفْعَل
* حنين نعيم	:	على وزن فعيل
* رفيف رفيق	:	على وزن فعيل
* رِهام إياد	:	على وزن فِعال .

وخامسها أن يتوافق الحرفان الأولان من الاسمين . من ذلك :

- مراد محمد	- منار محمد	- ميساء محمد	- مرام محمد
- أحمد أكرم	- أحمد أنور	- حاتم حسن	- سامي سالم
- زهراء زهير	- جميلة جبريل	- حاكمة حماد	- حنين حسن

وسادسها أن يتوافق الاسمان أو يقتربا في الدلالة ، كأن يترادفا ، أو يدلا على معنى واحد أو متقارب ، أو أن ينتميا إلى حقل دلالي واحد . وربما يبدو في هذا النوع شيء من التمحُّل ، ولكنه يظل احتمالاً تقريبياً . من ذلك :

- باسم جميل	- سوسن جميل	- ريما جمال
- زينات جميل	- نجاح توفيق	- علاء سامي
- شذى جميل	- نائل عزام	- رانية سهيل
- هيثم منجد	- نُهى جميل	- عائد سالم
- وئام خليل	- فرح باسم	- وفاء شريف
- فارس مسعود	- غادة حَسَن	- ياسر ناجي
- فراس ناصر	- غازي فارس	- سائد شريف
-إبراهيم خليل	- فارس مساعد	- صالح رشدي
- آلاء نعيم	- محمد بشير	- معتز خليفة

- محمد أمين	- محمد مصطفى	- مهند ناصر
- محمد هادي	- سعيد فرحان	- منار أمل
- مهند جهاد	- سعيد سعد	- مها أسامة

ثانيـا : الأنساق العموديـة

ويقصد بها تلك العلاقات التي يمكن التماسها وإقامتها بين اسم الفرد وأسماء إخوته الآخرين . وإذا كان سهلاً التوفُّر على كثير من الأنساق الأفقية ، فإنه صعب صعوبة بالغة التوفر على مُثُل قليلة من الأنساق العمودية ؛ ومرد ذلك إلى تعدد المقاصد التي تحفّز الأهل إلى انتقاء الأسماء ، والعفوية التي يصدرون عنها أحياناً في اختيارهم ؛ إذ إنهم لا يتقصدون أن ينسقوا الأسماء على نحو ما . وتزداد صعوبة إيجاد سلك ناظم لتلك الأسماء كلما زاد عدد الأولاد والبنات ولا سيما إذا فاق العدد ستة أفراد ، وتتعقد المسألة أكثر حين نأخذ بعين الاعتبار متغير الجنس (الذكر والأنثى) إذ يغدو البحث عن السلك الناظم محتاجاً إلى التأوُّل والتمحُّل والإقحام .

ورغم الصعوبات البحثية ، فقد تحصَّل الباحث على عدد قليل من الأنساق التي انتظمت أفراد العائلة الواحدة أو شطراً كبيراً منها .

وأول هذه الأنساق نسق بنائي مفاده : أن أسماء الذكور - دون الإناث - تقوم على نسق تركيبي يتألف من شقين : أولهما يدل في دلالته اللفظية المحضة على معنى جامع يتمثل في الشرف والرفعة والعلو والنور ، ويستدعي ظلال شخصيات مؤثرة في مجرى التاريخ الإسلامي . وثانيهما كلمة الدين ، وهذه الأسماء هي : عماد الدين ومحيي الدين وصلاح الدين ونور الدين وناصر الدين وعلاء الدين .

أما إناث هذه العائلة نفسها فيكاد ينتظمها نسق مختلف عن النسق الذكريّ ، وهو يتمثل في الدلالة على سمة من سمات الجمال رائحةً أو لوناً أو شكلاً وهي : غادة و نجلاء و عَبْلة ونسرين و فاتن . أما أسماء فخارجة عن النسق .

وثاني هذه الأنساق أن تبدأ الأسماء بحرف واحد ، كما في : محمد ومأمون ومكرم ومنير ومنى ومها . ورائد و رامي و رنا وريم ورشا و ربا . وعُلا وعلاء وعبير وعفاف وعمر .

وثالثها أن ينتظم الأسماء جميعاً سلكٌ ديني ، كأن يكون الأولاد على أسماء الأنبياء ، فكان من ذلك : محمد و عيسى و إبراهيم و يوسف وإسماعيل . أما إناث هذه العائلة فكانت اثنتان منهما أُمّين لنبيين . فآمنة أم سيدنا محمد ومريم أم سيدنا عيسى . أما ثالثة البنات فكانت رابعة ، لعلهم يريدون رابعة العدوية الزاهدة . ومثله أيضاً : محمد و يعقوب و داوود .

ورابعها أن توخذ الأسماء (ذكوراً وإناثاً) من مادة اشتقاقية واحدة ، مثل : باسم وباسمة وابتسام . ونور ونورا وأنوار ومنار .

وخامسها أن تكون جميع الأسماء على بناء صرفي واحد ، وذلك مثل : فاديةوشادية . وآمنة وفاتن وماهر . وجهاد وإياد وعماد ونهاد وزياد .

وسادسها أن تنتمي الأسماء إلى حقل دلالي واحد ، من ذلك : إخلاص وتقوى وهدى وإيمان وصلاح وصالح . وأريج وشذى وعبير . وآمال وأماني وأحلام . وتسنيم وسلسبيل وسندس وفردوس .

- الجِنْس وأثره في انتقاء الاسم :

لا يعدو التصنيف الطبيعي الحيوي (البيولوجي) للإنسان أن يكون واحداً من اثنين : الذكر والأنثى ، وهما يتقاسمان مجمل النشاط الإنساني ويشتركان في إرساء دعائم الحياة ، ضماناً للاستمرارية والبقاء .

ويتميز الذكر من الأنثى في هيئته وخِلقته وكثير من خصائصه البيولوجية ؛ إذ إن لكل واحد منهما وظيفته التي يؤديها لاستمرارية النوع وحفظ النسل . ولكلٍ وظيفته الاجتماعية التي يؤديها وتسهم في إعمار الكون وديمومة الحياة عليه . ولما كانت اللغة وسيلة الناس في التواصل والتعبير عن الأنماط الثقافية والاجتماعية ، كان طبيعياً أن تستجيب اللغة لهذه المقتضيات ، فتعبر عن

خصائص شكلية تميزالأنثى من الذكر .

ولما كانت الأسماء من مواد اللغة الجارية على ألْسُن الناس ومعبرة عن قضاياهم وآمالهم واحتياجاتهم ، جرى هذا العرف عليها فاختص الذكور بأسماء دالة ، واختصَ الأنثى بأسماء دالة دلالة شكلية أو معنوية على تأنيثها . وأحياناً كان العرف اللغوي أدلَّ على التأنيث أو التذكير . وكان ذلك استجابة لثقافة المجتمع ومنطوياته الثقافية والاجتماعية والدينية .

وقد وقف البحث على ملاحظ هامة تنماز بها أسماء الذكور من الإناث :

وأول هذه الافتراقات أن أسماء الذكور تختص بالتركيب دون الإناث ؛ وذلك أن أسماءهم تقوم على تركيب إضافي أو مزجي (حَسْب العينة) يكون على إحدى الهيئات التالية :

أ- تركيب مؤلف من كلمة (عبد) مضافة إلى كلمة (الله) أو أحد أسمائه الحسنى . وذلك مثل : عبدالله و عبدالكريم وعبدالرحمن وعبدالمجيد وعبدالحليم . . . إلخ .

ب- تركيب مؤلف من كلمة ذات دلالة معينة (القوة والنصرة والنور) مضافة إلى كلمة (الدين) ، وذلك مثل : علاء الدين و حسام الدين و سيف الدين وعماد الدين ونور الدين . . إلخ .

ج- تركيب مؤلف من عَلَمين ، أولهما محمد ، وذلك نحو : محمد نادر ومحمد سعيد ومحمد علي ومحمد خير ومحمد وليد ومحمد معتز ومحمد يزن . وقد ظهر هذا التركيب نفسه على هيئة أخرى تبدأ بأحمد مرة واحدة ، وهو أحمد عزيز .

د- تركيب مؤلف من علم مضافاً إلى ياء المتكلم ، وذلك نحو : وصفي و مجدي وصبحي وعدلي . وهذه الياء متأرجحة بين ياء النسب وياء الإضافة ، وبعضهم يذهب إلى القول : إنها على النمط التركي في التسمية(٢٩) . ولعل تأنيث بعض هذه الأسماء على : وصفية وصبحية وأمثالها يُرَجِّحُ النسبة .

أما التركيب في أسماء الإناث فهو نادر وقليل ؛ إذ لم تُظهر العينة سوى اسمين مركبين هما : نور الهدى وهبة الله .

ولعل مرد هذا الافتراق يتصل بالتراث منذ القدم ؛ وذلك أن انتقاء أسماء تعبدية للأنثى لم تعرف في القديم ، فلم نقف على مثل : عبدة الله و عبدة الرحمن . . . إلخ . ينضاف إلى ذلك أن اقتران الأسماء بالدين كان في الغالب رهين الدور الجهادي الذي كان مسنداً للرجل على نحو واضح ؛ ويظهر أن استئثار الرجل بهذه المهام ظل قائماً في ثقافتنا الراهنة .

والثاني أن أسماء الذكور أقل تنوعاً من أسماء الإناث ؛ فالمقارنة تدل على أن أسماء الذكور بلغت (٣١٢) اسماً ، في حين بلغت أسماء الإناث (٣٧٩) اسماً . وأغلب الظن أن الفرق بينهما هنا يرتد إلى عوامل سكانية ؛ وذلك أن نسبة الإناث تفوق نسبة الذكور في المجتمع الأردني .

والثالث أن استعارة الأسماء الأعجمية للإناث تفوق نظيرتها عند الذكور ، من ذلك : لورين ومادلين وهيلين وتولين وميلودي ونينا وإيفان . . . وغير ذلك مما توفرت عليه ملاحق البحث . أما أسماء الذكور فكانت : غاندي وألْبرت وروجيه ورستم .(٣٠)

فإذا نظرنا في المقاصد الكامنة وراء أسماء الذكور الأعجمية وجدناها تتصل بنوازع شخصية كانت تداخل الأب حَسْب . أما استعارة الأسماء الأعجمية للإناث فينبعث ببواعث لغوية ؛ إذ يقصدون إلى خفة هذه الأسماء ورقتها وموافاتها نعومة الأنثى ورقتها ، فيكون الاسم دالاً عليها . ولعلهم يعرفون بطريق العلم أو بطريق آخر دلالات هذه الأسماء في لغاتها الأصلية فيستحبون أن يستعيروها لبناتهم . بل لعل بعضهم أراد أن يخفي أصله القومي حين يسافر خارج الأردن .

والنظر في هذه الظاهرة يقفنا على بُعْد طبقي ؛ وذلك أن معظم هذه الأسماء تنتشر بين الطبقات المترفة التي تقطن عمان الغربية ؛ ويعاضد ذلك أن كثيراً من آباء هؤلاء تلقوا تعليمهم في أوروبا أو أمريكا ، أو يترددون كثيراً عليهما .

وقد يكون الباعث الأقوى على انتشار هذه الأسماء وسيرورتها الثورة التقنية الهائلة التي أصابت ناس هذه الطبقة أولاً ؛ إذ إن مثل هذه الأسماء كانت تتداول في الأفلام والمسلسلات التي تبثها القنوات الفضائية الغربية ولا تلتقطها المحطات الأرضية ، وهذا يتوافق ومدى انتشار الأطباق اللاقطة ؛ إذ إنها أول ما دخلت الأردن كانت قاصرة على الدوائر الإخبارية الرسمية والأثرياء جداً من الشعب . أما الآن فأصبحت في متناول كل من يريد حتى لو قطن البادية .

والرابع تكافؤ أسماء الذكور والإناث في استنفادهما معظم الأبنية الصرفية كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وصيغة المبالغة والمصادر . كما يتكافئان في دلالتهما العددية على المُفْرَد . غير أن أسماء الإناث تتفوق تفوقاً لافتاً من ناحية استخدام الدلالة الجمعية ، فكان من ذلك : ليالي ووديان وزينات و صابرين وشجون و غصون و رحاب وورود وبدور وتهاني وأفنان وأناهيد وهنادي وعهود ومعالي وأنوار وفِكَر ونُهى وأماني ورماح وأحلام ومنى ونبال وأسماء وأنعام وآلاء وآمال وآيات . أما من الذكور فلم يظهر إلاّ اسمان هما : معالي وأفنان .

أما صيغة المثنى فقد استخدمت علماً على مؤنث مرتين هما : نوران وريمان . ولم تستخدم على ظاهر الشكل علماً على مذكر ، ولكنها استخدمت في دلالاتها اللفظية مرة واحدة في (مُثنّى) .

وإذا اتخذنا أثر عامل الزمن في هذه الظاهرة (التسمية) وجدنا عدداً من الأعلام المستعملة في أيامنا هذه متنازعة بين التذكير والتأنيث ، وذلك كقولك : جهاد ونضال وأفنان . . .إلخ . وبعض هذه الأسماء أصلاً مصادر مذكرة لا تؤنث ، وقد تكون مجموعاً مفردها محمول على التذكير ، ثم نقلت إلى العلمية فدلَّت على مذكر ، وانتقلت في مرحلة لاحقة إلى التأرجح بين التذكير والتأنيث ، وقد تستقر على التأنيث أو قد تعود إلى ما كانت عليه من التذكير . أما الأسماء التي كانت مشتركة بين المذكّر والمؤنث في عينة البحث فينتظمها الجدول الثالث .

الجدول الثالث
الأعلام المشتركة بين الذكور والإناث

الرقم	الاسم	التكرار (مذكر)	التكرار (مؤنث)
١	جهاد	٥	١
٢	نضال	٥	١
٣	نهاد	١	١
٤	نور	١٠	٢٣
٥	معالي	١	١
٦	أفنان	١	٣
٧	مجد	٣	٢
٨	منار	٤	٨
٩	رأفت	٢	١
١٠	فرح	١	٥

أما بواعث هذا الاشتراك فيغلب أن تكون بواعث اجتماعية ، فلعل أحدهم أراد أن يسمي المولود بهذا الاسم لكي يُلْبس على الناس ، فلا يتبينون جِنْسه درءاً للحسد . أو قد تكون الرغبة في انتقاء الاسم بصرف النظر عن جنس المولود أكان ذكراً أم أنثى .

- أثر البيئة في انتقاء الاسم :

قد جرى العرف لدى علماء الجغرافيا البشرية أو لدى علماء الاجتماع على تقسيم المجتمعات إلى ثلاث بيئات : المدينة والريف والبادية . ومرد هذا التقسيم في أوله إلى البيئة الجغرافية والطبيعية التي يعيش فيها أفراد كلٍ ، مضافاً إلى ذلك عوامل اقتصادية واجتماعية وثقافية . وتتميز كل فئة من هذه الفئات

بنمط معيشي تفرضه البيئة ومعطياتها ، وهو يختلف عن نظيريه الآخرين تبعاً لاختلاف العوامل البيئية والجغرافية .

ثم استقر لدى اللسانيين المحدثين ولا سيما الاجتماعيين منهم أن عامل البيئة عاملٌ مهم في دراسة اللغات وتحققاتها في البيئات المتباينة ؛ وذلك أن كل بيئة تختص من غيرها بسمات لغوية صوتية ونحوية ودلالية وأسلوبية تفترق عما يمارس في بيئات أخرى وإن كانت البيئتان تستخدمان اللغة نفسها ، وكان أن اختص فرع من فروع اللسانيات بدراسة اللغات وفق هذا المتغير ، فكانت اللسانيات الجغرافية .

وهكذا باتت اللغة عامل ميز وتفريق بين بيئات المجتمع اللغوي الواحد ، بل صارت هيئة أداء اللغة ولا سيما التحقق النطقي علامة دالة على بيئة المتكلم .

وقديما كان سهلاً تمييز هذه البيئات الثلاث ، لبدائية وسائل النقل والاعتماد على مبدأ الاكتفاء الذاتي واقتصاد الكفاف ، وكذلك لانعدام وسائل الإعلام التي تربط بيئات الأردن . فإذا نظرنا إلى أحوال المجتمع الأردني الحديث وجدنا أن ثمة تحولات كبيرة جداً ؛ إذ بدأ أهل البادية يميلون إلى الاستقرار والتحضر ، وبدأ أهل الريف (القرى) ينتقلون إلى المدينة ولا سيما العاصمة عمان لشغل وظائف حكومية أو خاصة ، ساعدهم في ذلك إنشاء شبكة مواصلات ضخمة تجوب أرجاء البلاد كلها ، وصاحب ذلك تخليهم عن وسائل النقل التقليدية واستبدالهم بها الحافلات والسيارات الخاصة .

أما أهم عوامل التحول الاجتماعي فقد تأسس على قاعدة تعميم التعليم ونشره ، ثم كانت الثقافة الالكترونية يعاضدها جمع كبير من مصادر تلقي المعلومة ، وتعدد وسائل الإعلام المرئية والمسموعة . وهكذا لم تعد حدود فاصلة تقسم الناس حسب بيئاتهم ؛ وذلك أن البدوي سكن عمان أو غيرها من المدن الكبرى متسلحاً بتحصيله العلمي بعد أن كان أسير صحرائه وبيت شَعْره ، وصار المدني يسافر إلى أوروبا وأمريكا للتنزه ، وأخذ الحنين إلى الطبيعة يأخذه فصار يتخذ القرية ملاذاً يؤول إليه من ازدحام المدينة وصخبها .

وبالرغم من هذه التحولات الخطيرة وما ترتب عليها من تداخلات البيئات والسكان ، فإنه ممكن استشفاف أثر البيئة ومعطياتها في انتقاء الأسماء ؛ إذ تمكن الاستعانة باستبانة البحث وبالتاريخ الثقافي للبيئات الأردنية ومعرفة تراثها المتعلق بالأسماء .

فقد غلب على أسماء المدنيين العناية والدقة في انتقاء الأسماء بعيداً عن العفوية والتلقائية ، ولا سيما من حصَّل قدراً وافراً من التعليم العالي ؛ إذ ثبت أنهم يتحرون معاني الأسماء في المعجمات أو كتب الأسماء على التحقيق ، فكان من ذلك : إيفا وجيهان وماريا وديالا وروجيه ورستم . ولعل مرد ذلك إلى انفتاح أفراد هذه البيئة على النمط المعيشي الأمريكي أو الأوروبي الذي تمثله وسائل الإعلام التي تبث برامجها عبر الفضائيات وشبكات الإنترنت ، أو لعل ذلك مردود إلى استقرار كثير منهم في تلك الدول .

أما أسماء الريفيين (القرية والمخيم) فقد غلب عليها الأسماء التقليدية التي تشير إلى مقاصد هؤلاء الناس في الاقتداء بالسلف من الأئمة والصحابة أو الأجداد فكان من ذلك : فاطمة ومريم وخديجة وحليمة ومفيدة وسارة وعزيزة ومعزوزة ومحمد ومحمود وعبدالرحمن وأحمد . . . إلخ .

أما أسماء البدو فظاهرة لا تخفى على أحد ، وأغلب ما يميزها أنها تقوم على أبنية صرفية دالة على حياة البدوي وما يكتنفها من نشاط يومي ، وهذا البناء إما أن يكون اسم فاعل أو صيغة مبالغة أو وصفاً ، وذلك مثل : مناور ومنيف وكايد (بتسهيل الهمزة) وناجح ونايف وعايد ولافي وبادي وطعّان ورّماح وهزّار وطراد ونبهان وراكان ونوفان ودليوان وطعّان . . . من الذكور . أما أسماء الإناث فتبدو معالم البيئة البدوية واضحة جلية على المستوى الدلالي : وذلك مثل : شَتْوَة ووضحا وميرة وعنود وهنوف ونوف وشمّة وتِرفة وجزعة .(٣١)

والحق أن هذه الأسماء البدوية التي تنطق على نسق النطق البدوي تتوفّر على كثير من الخصائص الصوتية التي تميزها من نظيرتيها المدنية والريفية ، ومن ذلك – للتمثيل حَسْب– تسهيل الهمزة كما في : كايد ونايل وعايد وصايل ،

في حين تحقق الريفية والمدنية . ومن ذلك الميل إلى تفخيم الحروف في مقابل ترقيقها في الريفية والمدنية .

وأحياناً كثيرة يكون الاسم مضلّلاً ، فلا يدل على الانتماء البيئي ، وذلك لما طرأ على الأسرة من تطور وتغيُّر لانتشار وسائل الإعلام والتعليم الجامعي ، فلم يعد ثمة حواجز تمنع البدوي والريفي من استخدام الأسماء المدنية ، في حين لم نقف على حالة واحدة استخدم المدني فيها اسماً بدوياً .

وحين يكون الاسم مظنة لبس ، نفزع إلى التاريخ الثقافي للعائلة ؛ وذلك بالنظر في السلسلة النسبية التي تكشف عن التطور الثقافي والحضاري لتلك العائلة ، لننظر في السلاسل النسبية التاليـة :

* تمارة نوّاش علي .
* تمام جضعان مهاوش .
* رامي عصري عقلة .
* سحر عايد زعل .
* سمانا نواف نايف .
* شراري ماجد شراري .
* صقر متعب زعل .
* طراد عارف طراد .
* ظاهر متروك مسعر .
* فالح ضاحي مبارك .
* كايد هايل كايد .
* سحر خنيفر .
* مزيد باني دخيل .
* معالي حيدر معارك

ظاهر من هذه السلاسل أن أصحاب وصاحبات هذه الأسماء ينتمون إلى البيئة البدوية ، ولكن بعضهم خطا خطوات في مدارج التحضر والتمدن واحتفظ

بعضهم بالأسماء البدوية من باب الاعتزاز بالبداوة . هكـذا .

ظاهرة تغيير الأسماء

يعد الاسم أول توثيق يتلقاه المولود في حياته ؛ وذلك أنه يولد منكَّراً ، ثم يتعرف إلى الناس بالاسم الذي يطلقه عليه الوالدان ، فيصير الاسم السجل التاريخي والثقافي الذي يحفظ للمسمى كل ما يختص به من معلومات ، ثم تصير بطاقة الهوية رهينة بهذا الاسم ، ويصير ذلك المولود معروفاً لدى الناس والدولة والدوائر الرسمية باسمه المنتقى الذي لا يفارقه ، فيكون اسمه مفتاحاً لمخزن معلومات كامل يتعلق بنسبه وعمره وجنسه وتحصيله العلمي وسيرته الذاتية وانتماءاته الحزبية و . . . إلخ .

والوظيفة الرئيسية للاسم هي الوظيفة الاجتماعية ؛ إذ يُتخذ مفتاحاً للتواصل مع الآخرين ، ولذلك ترى كثيراً من الناس يجتهد الاجتهاد كله ليكون الاسم مقبولاً في المجتمع ومتداولاً فيه ، ويتحرى آخرون المعاصرة وذوق المجتمع وتجنب ما يبعث على الهزء والسخرية .

وقد دلت المقاصد الاجتماعية التي أوردناها في سياق البحث أن بعض الناس كان يرغب عن الأسماء التي لا تلائم كبر السن ، أو الاسماء ذات الدلالات المستقبحة . ومع كل هذا ، فإن بعض الناس قد وقعوا في ذلك ، فأورثوا أبناءهم حرجاً اجتماعياً لا قبل لهم بمقاومته ، فدفعهم ذلك إلى محاولة تغيير أسمائهم في الدوائر الرسمية ، أو أن يستبدلوا بها أسماء يتداولونها حَسْب . وكان من حصاد البحث أنْ : سمّى أحدهم ابنه عبداللطيف ، ولكنه اشتهر بين الناس بـ (لطفي) ، فقام الوالد بتغييرالاسم إلى (لطفي) ليتوافق الاسمان . وسمى أحدهم ابنه (إبراهيم) لأنه تعرض لضغط إخوته ووالده ، فهو أول حفيد من ناحية أبنائه الذكور . ولكن الوالد كان قطع على نفسه عهداً بتسمية ابنه الأول (إياد) فغير الاسم واستقر على إياد .

وقد سجل البحث حالة تبعث على الاستغراب ؛ وذلك أن الوالد كان

انتقى أسماءً يونانية لأبنائه موافقة لأسماء أصدقاء له ، وهذه الأسماء هي : مكسمليانوس وكبريانوس وأندراوس . ثم عدل عن هذه الأسماء إلى أخرى عربية ، وكانت بواعثه على التغيير :

١ . صعوبة نطق الأهل هذه الأسماء .

٢ . عجمتها وصعوبة التكنية بها .

٣ . الجهل بمعانيها .

٤ . حفظ الأبناء من السخرية في المستقبل .

ثم كان أن استبدل بهذه الأسماء اليونانية أسماء عربية صِرْفة ، وذلك على النحو التالي :

- مكسمليانوس : فاخر .
- كبريانوس : عيسى .
- أندراوس : بشير .

ومن ذلك أن أحدهم سمى ابنه رشاداً ، ولكن إيمان الجد بالحظ والضرب في الرمل جعلهم يتشاءمون بهذه التسمية ، فغيروه إلى إبراهيم وظل ينادى باسمه الأول .

ويندرج تحت الباب نفسه استخدام اسمين ؛ وذلك لدواع اجتماعية كالتمليح أو التخلص من الحرج الاجتماعي والأذى النفسي الذي يُسببه الاسم أحياناً ، فكان من ذلك أنَّ :

- وسيلة تكره اسمها ، لمعناه (الطريق) وترى أنه يجلب لها السخرية ، فاختارت أن يستعاض عنه بـ(أسيل) .
- هنادي تفضل أن تنادى (كاتي) وهو اختصار لكاتيوشا القذيفة المعروفة لارتباطها بمناسبة على التعيين ، وهو اسمها الحقيقي قبل أن يصير هنادي .
- نورا تستخدم اسماً آخر بين الناس هو قمر .
- خديجة تستخدم اسماً آخر مستعاراً (وفاء) .
- عماداً يستخدم اسماً شائعاً وهو محمد ويملّحُ بـ(حموده) .

٢- الأسماء والرضا النفسي

معلوم لدينا أن الوالدين يمتلكان سلطة انتقاء الاسم ، فلا يكون ، عندئذ ، للمولود أي تدخل أو وجهة نظر ؛ لأنه لا يملك العدة المعرفية والأدائية التي تمكنه له حق التعبير . وهكذا يكبر الوليد ويكبر معه اسمه دون أن يكون على علم بدلالته أو معناه ، فإذا ما صار الوليد إلى خبرة معرفية وسن كافية أمكن له أن يعبر عن رفضه أو قبوله أو استحسانه أو استقباحه الاسم الذي أريد لـه .

وكان أن وقف البحث على ردود أفعال متباينة تجاه الأسماء ، تتراوح بين الاستحسان والاستهجان والاستقباح مشفوعة بأسباب ذلك كلها . وتالياً حصادُ الردود تلك .

- هانم غير راضية عن اسمها ؛ لأنه نادر جداً في الأردن ، وهو مقترن بالمصريات أكثر .
- معاوية غير راضٍ عن اسمه ؛ لدلالته ولأن أصدقاءه يسخرون منه ويتندّرون به ، فيسمونه (عَوْعَوْ) .
- سوزان غير راضية عن اسمها لأنه أعجمي ، ولأنها تستحب أن يكون عربياً خالصاً يتوافق والتزامها الديني .
- مي كارهة جداً لاسمها ، لدلالته على القردة الشقيَّة .
- رزان راضية كل الرضا عن اسمها لأنها ترى أن لكل إنسان نصيباً من اسمه ، وهو يوجهها ويملي عليها سلوكها (الرزانة) .
- طراد غير راضٍ عن اسمه لغرابته . ويتمنى أن يكون مراداً .
- سلافة يكتب بعض الناس اسمها (سلامة) فيثير هذا (الجهل) استغرابها وتنعت هؤلاء بالجهلة والحمقى .
- فادية وآمنة لا تحبان اسميهما لأنهما قديمان وغير معاصرين .
- منار غير راضٍ عن اسمه لأنه مظنة التباس بأنثى .
- وحدة لا يعجبها اسمها لأنه غريب وغير متداول ، وهي محتاجة إلى وقت طويل لشرحه وبيان مناسبته وأسباب اختياره .

- حُباب غير راضٍ عن اسمه لدلالته على الثعبان .
- شُبْرُمَة ساخط علّى اسمه لندرته ورداءة معناه .

ظاهرة نَقْل الأعلام

وظاهرة النقل هذه واحدة من أوسع القضايا اللغوية الاجتماعية التي يمكن استشفافها من دراسة الأعلام الشخصية المعاصرة ؛ وذلك أنها صدور واعٍ عن التوجهات الثقافية والرؤى السياسية والتحولات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية التي تطرأ على المجتمع .

وليس الحديث عن هذه الظاهرة اجتهاداً محضاً ؛ إذ إن النحاة واللغويين المؤسسين قد أسرفوا في عرضها وتناول أسبابها وعللها وأحكامها وتجريد أمثلتها وقواعد ضبطها(٣٢) غير أن النظر بعين المقارنة يقفنا على اتساع ظاهر في ظاهرة النقل . وما ذلك إلاّ لاختلاف أذواق الناس وانتشار التعليم و الانفتاح الثقافي وإفرازات العولمة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية . يضاف إلى ذلك الثراء اللغوي الذي حصّلته العربية بفعل التطور الزمني .

ولا تفترق ظاهرة النقل حديثاً عنها قديماً سوى في الاتساع ؛ وذلك أن نقل الأعلام المعاصرة - في الأردن تحديداً - قام على المصادر القديمة التي عرفتها العربية ، وقد يكون أضاف مصدراً جديداً وهو النقل عن اسم البلد . وهذه المصادر هي :

(١) الصِّفــة

وهي أكثر مصادر النقل ، فيما وقف عليه البحث ، تتوزع هذه الصفة أبنيةٌ كثيرة أبرزها اسم الفاعل وصيغة المبالغة والصفة المشبهة وقليلاً اسم المفعول واسم التفضيل . فكان من أسماء الذكور : رائد وفارس وجابر وفايز ومجاهد ومخلص ومنتصر ونوّاف وطعّان ورمّاح ونبيل وكريم وسهل ونصوح ومشهور وأشرف وأسعد .

ومن الإناث : فادية وسامية وراوية ورابعة وعالية وأسيل وغيداء وعزيزة وشهلة ومعزوزة وسميحة . . . إلخ .

ولعل تفضيل النقل عن الصفات صدور عما يهجس به الوالدون من تفاؤل ورغبة فيما سيكون عليه الولد أو البنت .

(٢) المصدر

والنقل من هذا المصدر يكاد يضارع النقل من الصفة . فكان من ذلك : نضال وجهاد وتيسير وإسلام وشرف وكرم وعَوْدة للذكور . وهديل وإيمان وشروق وهناء وصفاء وعفاف وإباء وهُتاف ورحمة للإناث .

ويغلب نقل المصدر للإناث لما في ذلك من اتصاف بالحدث على وجه الملازمة ، فكأنما يريدون اتصاف البنت بهذا الاسم على وجه الاقتران ، وتكثر هذه الأسماء الملائمة للأنثى من معاني الشرف والعفاف والصون واللطف والرقة والنعومة .

(٣) اسم العين

وأصل ذلك أن يكون دالاً على حيوان أو نبات أو جماد ، ثم ينقل بفضل دلالته إلى العلمية . من ذلك : ليث وفهد ونمر وسيف وحسام وسنان ومهند ولولوة ومها ورِماح ولينة وديمة ورشا وريم . . . ألخ .

(٤) الفعل

وهذا قليل قلة ظاهرة . ومن ذلك أسعد ؛ إن لم يقصد به التفضيل . وسامح وحلا وزها وسما ، إن لم يقصد بها سماء . وصبا ، إن لم يقصد بها الريح المعروفة ، وأكرم ورنا وأحمد .

(٥) أسماء البلدان

وهذا نقل من علم إلى علم ، ولكن الأول مختلف في دلالته عن الثاني ؛

وذلك أنه كان يعرف به بلد ما ، فصار يعرف به شخص (علم شخص) . ولم يتوفَّر البحث إلا على علمين لاثنتين هما : فلسطين وصبرا .

(٦) الجار والمجرور

وذلك هو (لنا) إن لم يكن علماً أعجمياً . ويغلب أن يكون هذا الاسم محمولاً على تقدير محذوف يكمل جملة مفيدة ، كأن نقدِّر : هذه المولودة قرة عين لنا ، أو نصيبٌ لنا ؛ والله أعلم .

ويلفت النظر في ظاهرة النقل هذه الأيام أن الناس ما عادوا يركزون على المعطيات المحسوسة والشاخصة أمامهم أو الأشياء ذات الدلالة الاجتماعية في حيوات عرب الجاهلية والإسلام ؛ إذ كان أولئك الناس يتخذون من بيئتهم بحيواناتها ونباتاتها وصخورها ورمالها وفضائلها مادة لأسمائهم ، وذلك مثل : هيام ووفاء ومجد وإخلاص وبراءة ومنى وحياة وانشراح ونعمة وشفاء وخالد وهاني وشرف ويمان وتوفيق وفؤاد وعماد ورفعت وبهاء .

ثم إنَّ ظاهرة النقل تفعل فعلها في سيرة الكلمة المنقولة فتسلبها ما كان لها من حقوق وتصرفات لغوية واجتماعية بحكم وضعها الأول ، وتكسبها حقوقاً وخصائص جديدة بحكم الوضع الجديد .

من ذلك أن هذه الألفاظ المنقولة تكون في هيئة التنكير ، ويصح لنا نقلها إلى التعريف بأساليب التعريف المألوفة في العربية ، وأبرزها تحليتها بأل التعريف فنقول :

هذا رجل شريف

هذا الرجل الشريف .

جاءت الفتاة باسمة .

جاءت الفتاة الباسمة .

فإذا صارت كلمتا (شريف) و(باسمة) إلى العلمية تجردتا من أل التعريف ؛ لأنهما تضمنتا علامة تعريف معنوية (وهي العلمية) . فنقول :

جاء شريف إلى الجامعة .
غادرت باسمة المدينة .

ثم إنها إذا صارت إلى العلمية تعذرت إضافتها لأنها معرفة ، فيقبح أن تضاف إلى الضمائر بعد أن كان ذلك جارياً على نسق العربية ، وذلك أنك كنت تقول :

مررت بسلطان المدينة
لا أحب أن يعتدي أحد على سلطاني .
هذه حياتي الخاصة .
حياة المؤلف دالة على أسلوبه الأدبي .

فلما صارت (سلطان وحياة) إلى العلمية تعذر أن تجيء في انساق تركيبية كالمتقدمة .

ومن آثار النقل أيضاً الانتقال من جنس إلى جنس ؛ وذلك أن كثيراً من تلك الكلمات التي صارت أعلاماً كانت مذكرة أو مؤنثة ، ويجري عليها ما يجري على جنسها من أحكام المطابقة أو المخالفة . وقد نقل بعضها إلى الجنس نفسه فاحتفظت بما كانت عليه من أحكام ، وهذا ظاهر على التعيين في أسماء الذكور : منذر وخالد ووليد ومجاهد وبشير وسائد وهاني .

أما أسماء الإناث فقد انشعبت شعبتين :

الأولى :وكانت ألفاظها قد استخدمت مؤنثة قبل أن تصير أعلاماً مؤنثة ، فلم يتغير عليها شيء فيما يتعلق بالمطابقة وأحكامها ، وذلك أننا نقول :

- أفضِّل الوردة الحمراء .
- وردة صديقة أختي .
- غادرت الأميرة المملكة .
- عادت أميرةُ من سفرها .

ومن هذه الأسماء : أمينة وآيات ولمياء وساجدة وآمال وأميرة وديمة وحياة وآمنة وعلياء وأماني ونسيبة وهادية وورقاء وميساء ونجلاء . . . إلخ .

وأما الثانية فتحوي أسماء كانت في دلالتها الأولى قبل العلمية مذكرة ، فلما صارت أعلاماً مؤنثة احتاجت أن تجري عليها أحكام المؤنث في المطابقة والمخالفة ؛ إذ تقول :

- هذا الكوكبُ يسمى الأرض .
-كوكب مهندسة المشروع .
- ادعُ دعاءً خالصاً ليكون مستجاباً .
- هاتفت صديقتي دعاء .

وفي الباب نفسه تبرز ظاهرة التباين في النقل ، وذلك أن بعض الألفاظ كانت مذكرة في الأصل ، ثم نقلت إلى أعلام مذكرة ، فاحتفظت بسيرتها ، ونقلت كذلك إلى أعلام مؤنثة فتغيرت سيرتها بحكم الوضع الجديد ، فكان أن تأرجحت هذه الأعلام بين التذكير والتأنيث وأورثتنا وضعاً متبايناً مُلْبساً ، لا يفض لبسه إلا السياق ، أو القرينة الحضورية . انظر أحوال هذه الكلمات :

الكلمة في أصل الوضع	الكلمة علماً لمؤنث	الكلمة علماً لمذكر
- النضال واجبٌ مقدسٌ	تجاوز نضال امتحانه بتفوق	عادت نضال من سفرها
- نور الغرفة قويٌ	ناقش نور القضية بإسهاب	استعادت نور عافيتها

وهكذا في جهاد وأفنان ومعالي ومنار وفرح ونهاد وإحسان .

الخاتمة

اجتهد هذا البحث أن يدرس أسماء الأردنيين من الذكور والإناث ، محاولاً رصد وجوه العلاقة بين انتقاء الاسم والمتغيرات الاجتماعية كالجنس والطبقة الاجتماعية والبيئة والتحصيل العلمي .

وقد كان مستصفى القول في ذلك أن البيئة تؤثر تأثيراً فاعلاً في انتقاء الاسم وفي بنيته اللغوية والبواعث التي تكمن وراء انتخابه ، أكانت لغوية أم دينية أم اجتماعية أم سياسية . إذ غلب على الأسماء البدوية الأسماء المقترنة بالبادية وما يكتنفها من مضامين اجتماعية وثقافية وعُبِّر عنها بأبنية لغوية مخصوصة كاسم الفاعل وصيغة المبالغة والمصدر . في حين غلب على الأسماء الريفية النسق التقليدي من الأسماء ذات الطابع الديني كأسماء الأنبياء والصحابة وأزواجهم . أما البيئة المدنية ولا سيما الطبقة المترفة فقد غلب عليها الأسماء المقترضة من اللغات الأخرى ، إضافة إلى أسماء مستحدثة منقولة من المصادر والصفات لتتناسب ورقة الحياة المدنية .

كما درس البحث عدداً من الظواهر اللغوية اللافتة في الأسماء ، وذلك مثل : ظاهرة النقل والمطابقة والاشتراك والدلالات الاجتماعية لكل .

كما استقام للبحث أن ثمة أنساقاً لغوية أفقية وعمودية تحكم انتخاب الأسماء بعضها صوتي وبعضها صرفي وبعضها دلالي .

الهوامش

(١) ابن دريد، **الاشتقاق**، تحقيق عبدالسلام هارون، ط١ (بيروت: دار الجيل، ١٩٩١)، ص: ٥. وانظر أيضاً: عبد الله بن مسلم بن قتيبة، **أدب الكاتب**، ط. ١، تحقيق علي فاعور (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨)، ص ص ٥٦ – ٦٦؛ والجاحظ، **الحيوان**، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، جـ١، ص ص ٣٢٤ – ٣٢٦؛ والألوسي، **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، جـ٣، ص ص ١٩٣ – ١٩٤؛ والقلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، نسخة مصورة، جـ٥، ص ٤٢٥.

(٢) القلقشندي، المصدر المذكور، ج. ٥، ص ٤٢٥.

(٣) الموقع نفسه.

(٤) الموقع نفسه.

(٥) ابن قتيبة، المصدر المذكور، ص ٥٨.

(٦) أحمد بن علي القلقشندي، **قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**، ط ١، تحقيق إبراهيم الأبياري (القاهرة: دار الكتب الحديثة، مطبعة السعادة، ١٩٦٣)، ص: ٢١؛ وانظر أيضاً: **صبح الأعشى**، ج ٥، ص. ٤٢٤.

(٧) ومثل هذا الأمر ما يزال ممتداً في زمن الناس هذا؛ إذ إن مصر العربية مازالت تُعمل استخدام أسماء مثل: عتريس وشحاته وعويس. انظر: عباس كاظم مراد، **أسماء الناس معانيها وأسباب التسمية بها**، ج ١، ص ٣٠٢، والحال نفسه في بعض بلدان أوروبا؛ إذ يذكر ستيفان أولمان أن الناس في بلاد المجر الوسطى كانوا يسمون أطفالهم بأسماء وقائية، كأن يدعى الواحد: «الموت الصغير»، أو «ليس حياً» أو «القذارة» أو «الوسخ» وذلك لصرف الأرواح الشريرة عن هذه المخلوقات التي لا تساوي شيئاً في ادعاء أهليها. انظر: **دور الكلمة في اللغة**، ص ١٩٣.

(٨) القلقشندي، **قلائد الجمان**، ص ٢٢؛ وصبح الأعشى، ج ٥؛ والألوسي، المرجع المذكور، ج ٣، ص ص ١٩٣-١٩٤؛ والجاحظ، المصدر المذكور، ج ١، ص ص ٣٢٤-٣٢٦؛ وابن دريد، المصدر المذكور، ص. ٤.

(٩) أحمد بن فارس، **الصاحبي في فقه اللغة**، ط ١، تحقيق: عمر الطَّباع (بيروت: مكتبة المعارف،

١٩٩٣) ، ص : ٩٥ . وانظر : الجاحظ ، **المصدر المذكور** ، ج ١ ، ص ص ٣٢٤ - ٣٢٥ ؛ والثعالبي ، **فقه اللغة** ، ص ٤٤٢ ؛ والألوسي ، **المصدر المذكور** ، ج ٣ ، ص ص ١٩٣-١٩٤ .

(١٠) جلال الدين السيوطي ، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها** ، تحقيق محمد جاد المولى وآخرين (مصر : دار الفكر) ، ج ١ ، ص ٢٩٧ .

(١١) محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، **الأذكار من كلام سيد الأبرار** ، ط٦ (بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية ، ٢٠٠٠)ص ٢٤٨ .

(١٢) مسلم بن الحجاج القشيري ، **صحيح مسلم** ، شرح وتحقيق وتعليق محمد فؤاد عبدالباقي (القاهرة : مطبعة دار إحياء الكتب العربية ، د .ت) ، ج ٣ ، ص ١٦٨٢ ؛ وانظر أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه ، **سنن ابن ماجه** ، تحقيق وتعليق وشرح محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة : مطبعة دار إحياء الكتب العربية ، دت) ، ج ٢ ، ص ١٢٢٩ .

(١٣) مسلم بن الحجاج ، **المصدر المذكور** ، ج ٣ ، ص ص ١٦٨٢ - ١٦٨٣ .

(١٤) النووي ، **المصدر المذكور** ، ص ٢٤٨ .

(١٥) ابن ماجه ، **المصدر المذكور** ، ج ٢ ، ص ١٢٢٩ ؛ وانظر أيضا مسلم بن الحجاج ، **المصدر المذكور** ، ج ٣ ، ص ١٦٨٥ .

(١٦) مسلم بن الحجاج ، **المصدر المذكور** ، ج ٣ ، ص ١٦٨٧ ؛ وابن ماجه ، **المصدر المذكور** ، ج ٢ ، ص ١٢٣٠ ؛ والنووي ، **المصدر المذكور** ، ص ٢٥١ .

(١٧) مسلم بن الحجاج ، المصدر المذكور ، ج ٣ ، ص ١٦٨٧ ؛ والنووي ، **المصدر المذكور** ، ص ٢٥١ .

(١٨) مسلم بن الحجاج ، الموقع نفسه . وابن ماجه ، المصدر المذكور ، ج ٢ ، ص ١٢٣٠ ؛ والنووي ، **المصدر المذكور** ، ص ٢٥١ .

(١٩) المواقع نفسها .

(٢٠) النووي ، **المصدر المذكور** ، ص ٢٥١ .

(٢١) نفسه ، ص ٢٥٢ .

(٢٢) ابن ماجه ، **المصدر المذكور** ، ج ٢ ، ص ١٢٢٩ .

(٢٣) القلقشندي ، **صبح الأعشى** ، ج ٥ ، ص ٤٤٢ .

(٢٤) **الموقع نفسه** .

(٢٥) الموقع نفسه .

(٢٦) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٦ ، ص ١٠٤ .

(٢٧) ثمَّ بحوث وكتب عنيت بدراسة الأسماء العربية ، وقد كانت بعض هذه الدراسات عامة تناولت الأسماء ومعانيها الدلالية حَسْب ، وبعضها الآخر درس الأسماء في بلاد عربية على التعيين ، من هذه الدراسات دراسة : ابن جني ، **المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة** ؛

عباس كاظم مراد ، **أسماء الناس معانيها وأسباب التسمية بها** . وهو يتناول أشهر الأسماء العربية في كل بلد ، كما يتناول الأسماء الأعجمية والمعرَّبة التي دخلت إلى العربية وآراء علماء الاجتماع في هذه الظاهرة ، والبواعث التي تكمن وراء الأسماء ؛ **معجم أسماء العرب** ، وهو موسوعة لغوية تتضمن دراسة لسانية اجتماعية للأسماء العربية في عينة ضخمة مجموعة من البلدان العربية كلها ، ويهتم ببيان المعنى الدلالي ثم مدى شيوع الاسم ، ويعقد مقارنة بين مديات انتشار الاسم في الوطن العربي كلّه ؛حسين الدراويش ، **الأعلام العربية في فلسطين** ، وهو دراسة وصفية ؛ يوسف القعيد ، «أسماء المصريين و دلالاتها الاجتماعية» ، في مجلة **العربي** ، العدد ٢٦٥(١٩٨٠) ، ص ص ١١٨ – ١٢١ ؛ ظافرالقاسمي ، «أسماؤنا العربية تفيض بالمعاني الحية وتعكس بعض ما كان من تاريخ هذه الأمة» ، في مجلة **العربي** ، العدد ٥٤ (١٩٦٣) ، ص ص ٤٣– ٤٧ ، وتختص هذه المقالة بدراسة أسماء السوريين حَسْب ؛ القاضي إسماعيل بن علي بن الأكوع ، «الكنى والألقاب والأسماء عند العرب وما انفردت به اليمن» ، في **مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق** ، م ٥٣ جـ٢ (١٩٧٨) ، ص ص ٣٩٥ – ٤١٠ ؛ عبود أحمد الخزرجي ، **أسماؤنا أسرارها ومعانيها** ؛ حنا نصر الحتي ، **قاموس الأسماء العربية والمعربة وتفسير معانيها** .

(٢٨)عبود أحمد الخزرجي ، **أسماؤنا : أسرارها ومعانيها** ، ط٣ (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٩٠) ، ص ٣٥ . وانظر : ظافر القاسمي ، «أسماؤنا العربية تفيض بالمعاني الحية وتعكس بعض ما كان من تاريخ هذه الأمة» ، **مجلة العربي** ، العدد ٥٤(١٩٦٣) ، ص ٤٣ .

(٢٩) ولعلّه تحسن الإشارة الى أن مثل هذا التركيب وجد في اليمن ؛ إذ يسمّون : أمة الله ، وأمة الرحمن ، وأمة الرحيم ، وأمة اللطيف . انظر : اسماعيل الاكوع ، **المصدر المذكور** ، ص ص ٤٠٦ و٤٠٨ .

(٣٠) يمكن التماس أصول هذه الأسماء ودلالاتها في : **معجم أسماء العرب** ، **موسوعة السلطان**

قابوس لأسماء العرب ، وهي موزعة كل حَسْب ترتيبها الهجائي ؛ حنا نصر الحتي ، قاموس الأسماء العربية والمعربة وتفسير معانيها ؛ فَخر الدين فخر الدين ، أسماؤنا العربية الجميلة .

(٣١) تُلْتَمَس دلالات هذه الأسماء في المعاجم اللغوية الأصول والمعاجم الحديثة ويمكن التماسها – لادِّخار الوقت – في الكتب المختصة بالأسماء ، مثل الكتب المذكورة في الحاشية السابقة (٣٠) .

(٣٢) انظر مثلاً في باب النكره والمعرفة : العَلَم في الكتب التالية : سيبويه ، الكتاب ؛ ابن جني ، المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة ؛ ابن هشام الأنصاري ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ؛ ابن عقيل ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك .

الملحق الأول
استبانـــة البحث

اسم رب العائلة (من أربعة مقاطع) : ـــــــ ـــــــ ـــــــ ـــــــ

التحصيل العلمــــي :

المهنــــــــــة :

البلد الأصلي (غير الجنسية) :

مكان الـــولادة :

اسم الوالدة (من أربعة مقاطع) : ـــــــ ـــــــ ـــــــ ـــــــ

التحصيل العلمــــي :

المهنــــــة :

البلد الأصلي (غير الجنسية) :

مكـــان الولادة :

مسكن العائلة الحالي :

باديـــة مدينـــة قريـــة مخيـــم

مسكن العائلة السابق :

باديـــة مدينـــة قريـــة مخيـــم

- عدد أفراد العائلـة :
- عدد الأفراد الذكور :
- عدد الإنـــاث :

أسماء أفراد العائلة

الرقم	الاسم	الجنس	سنة الولادة	مكان الولادة	سبب التسمية

* الطبقة الاجتماعية / ما الطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها العائلة؟
* هل استشرت معجماً لغوياً عند التسمية ؟
* هل ثمة معايير خاصة عند انتقاء الاسم ؟
* هل لديك علم بأن ثمة كتبا مختصة بشرح معاني الأسماء ؟
* هل سبق أن غيرت اسماً من أسماء أبنائك ؟ لماذا ؟
* هل ثمة أحد من أبنائك يستخدم اسمين أحدهما رسمي مثبت في الأوراق الثبوتية الرسمية و الآخر متداول يعرف به بين الناس ؟
* ما ردود أفعال الأبناء على أسمائهم الآن وقد كبروا ؟

الملحق الثاني
أسماء الذكور الواردة في عينة البحث .

الاسم	التكرار
محمد	٢٠٨
أحمد	٦٩
محمود	٤٢
طارق	٣٧
مُهَنَّد	٣١
عبدالله ، إبراهيم	٢٩
رامـي	٢٧
علاء	٢٦
خالد	٢٥
علي	٢٣
أيمن ، فراس	١٩
عمر	١٨
أنس	١٥
حمزة ، زيد ، فادي	١٤
سامر	١٣
وليد ، عامر ، مصطفى	١٢
هاني ، إياد ، عمّار ، أشرف ، ياسر	١١
حسن ، نور ، إيهاب ، أسامة ، يوسف	١٠
هيثم ، زياد ، شادي ، سعيد	٩
سلطان ، مالك ، عبدالرحمن	٨
ماجد ، خليل ، جمال ، لؤي ، عماد ، بهاء ، حسين ، إسماعيل ،	٧

سامي ، حسام

عادل ، عصام ، مروان ، سائد ، سعد ، سالم ، بسّام ، عمرو ، ليث ٦

هشام ، رائد ، معتصم ، مازن ، نضال ، فارس ، بلال ، عدي ، جهاد ، ٥
باسم ، وائل ، سيف الدين ، معاذ ، وسيم ، عدنان ، باسل

مراد ، منار ، فؤاد ، مجدي ، خلدون ، معن ، غسّان ، مأمون ، ٤
صلاح الدين ، نور الدين ، معتز ، ناصر

تيسير ، وسام ، بشير ، عبدالكريم ، عزالدين ، أمين ، داوود ، أمجد ، ٣
فيصل ، صالح ، عبداللطيف ، ناصر الدين ، سمير ، مؤيد ، مجد ،
نائل ، نبيل ، طلال ، نوّاف ، حاتم ، رمزي

شريف ، منذر ، توفيق ، مصعب ، عاطف ، محيي الدين ، عبدالفتاح ، ٢
عبدالمجيد ، معاوية ، نزار ، فايز ، جابر ، سليمان ، موسى ، طراد ،
عبدالعزيز عبد القادر ، عبد المحسن ، جميل ، صلاح ، منير ، قَيْس ،
كامل ، ياسين ، يحيى ، كايد ، نايف ، هايل ، حامد ، راكان ، فهد ،
أسعد ، إسلام ، صبري ، صدام ، ثائر ، رأفت ، راني ، رُستم ، رشاد ،
رضا ، رجائي ، سنان ، عَوَضْ

زاهر ، عبادة ، إياب ، فائق ، عكرمة ، شُبْرمة ، محمد نادر ، مجاهد ، ١
حسام الدين ، يمان ، محمد سعيد ، كمال ، أدهم ، سعود ، محمد
علي ، حُباب ، حذيفة ، رفعت ، فاخر ، شرف ، بهجت ، مفيد ،
محمد أمين ، كريم ، راضي ، عبد الحليم ، محمد خير ، نعيم ،
يعقوب ، أحمد عزيز ، يَعْرب ، ألْبرت ، فوّاز ، مصباح ، صبحي ، بكر ،
رجب ، عبدالإله ، عبدالحميد ، عبد الستّار ، عبدالسلام ،
عبدالعظيم ، عبدالمعين ، عبدالمنعم ، عبدالوهاب ، عبدالرزاق ،
عبدالحليم ، فتحي ، غاندي ، وديع ، كرم ، قاسم ، عماد الدين ،
مُخْلِص ، جعفر ، اسحق ، محمد وليد ، محمد معتز ، محمد يزن ،

ضياء الدين ، صُهيب ،ضرار ، مناور ، منيف ، مشهور ، ناجح ، نبهان ، نشمي ، نصوح ، نمر ، هزَّار ، هلال ، همْلان ، هميان ، عايد ، بدوي ، شراري ، صايل ، حمد ، رعد ، فالح ، عودة ، فاظل ، طه ، عائد ، عبيدة ، عثمان ، عدلي ، عزمي ، أُسَيْد ، أفنان ، أمير ، أوْس ، أوَّاب ، أيهم ، أُبَيّ ، إحسان ، أكرم ، أنيس ، بِشْر ، سَهْل ، سَيْف ، صائل ، ثامر ، جواد ، حاكم ، حاشد ، خَيْر ، روجيه ، ربحي ، سامي ، سامح ، ساهر ، سفيان ، سلاَّم ، عُقْبة ، عميد ، عنان ، غازي ، غيْث ، فَرح ، فريد ، فهيم ، فَتْح ، عاصف ، بادي ، دَهَش ، طعَّان ، زعل ، لافي ، مخلد ، نوفان ، سند ، عظوب ، جروح ، جِسْتن عِلمي ، ليث الكسندر ، محمد عزمي ، مَكْرم ، بهاء الدين ، ثابت ، معالي ، معتز بالله ، ملحم ، منتصر ، مهتدي ، لطفي ، مؤنس ، ماهر ، مثنَّى ، نادر ، ناظم ، نافز ، ناهض ، نديم ، نصر الدين ، واثق ، وصِفي .

الملحق الثالث
أسماء الإناث الواردة في عينة البحث

الاســـم	التكرار
مها	٥٣
هبة	٤٢
أريج	٣٧
إيمان	٣٠
ريم ، رشا ، منى	٢٦
دانـا	٢٤
نور	٢٣
آلاء	٢٢
دينا / دينـة	٢١
أسماء ، فاطمة ، رُبا	٢٠
ديمة	١٨
مَيْس ، شيرين	١٧
زينة ، منال ، أماني ، عبير ، رنا	١٦
نسرين ، سحر ، أمل	١٥
سمر ، وفاء ، سناء ، عُلا ، ياسمين ، غادة ، هناء ، روان ، هدى ، سماح ، لينة ، مـي	١٤
ميَّادة	١٣
فاتن ، حنين	١٢
نداء ، لبنى ، ميساء ، ريما ، منار ، دالية ، لُمى	١١
ندى ، سوزان ، دعاء ، رزان ، سوسن ، رولا	١٠
حنان ، تمارا ، آمال ، هديل ، مريم ، نُهى ، نورا ، غديـر	٩

أميرة ، إسراء ، علياء ، سارة ، خلود ، ديانا ، سُهى ، هنادي ، لانا ٨

ليلى ، جميلة ، شروق ، هلا ، نادية ، إيناس ، رهام ، سامية ٧

صفاء ، فايزة ، ليندا ، زينب ، فداء ، شذى ، وجدان ، رندة ٦

مرام ، هالة ، فدوى ، دلال ، لميس ، ميرفت ، ميسون ، راوية ، نجـــلاء ، ٥
هيام ، آيات ، إلهام ، سيرين ، لارا ، ابتسام ، أحلام ، دارين ، دانية ،
آمنة ، خَوْلة ، بسمة ، فرح

بُشْرى ، نَوْف ، عهود ، رائدة ، بلقيس ، تسنيم ، هيا ، هند ، رجاء ، ٤
أنوار ، عالية ، مروة

سلافة ، باسمة ، شيماء ، ثَرْوت ، صفية ، إسلام ، ليانة ، ديـــالا ، ٣
ساجدة ، بيان ، خالدة ، فيروز ، آية ، رَوَند ، أفنان ، رغد ، يارا ، بتول ،
نوال ، رقية ، نجاح ، سهير ، بدور ، ندين ، حياة ، يسرا ، تهاني ، رويدة

أمينة ، كفاية ، أسيل ، فلسطين ، لنا ، زين ، عايدة ، شفاء ، عريـــن ، ٢
ريمان ، بثينة ، وسن ، سالي ، لمياء ، سلام ، سونا ، خديجة ، وسام ،
مجد ، عَبْلة ، تالا ، سُعاد ، شهيرة ، نرمين ، إخلاص ، وئام ، عائشة ،
إباء ، ضـحى ، ناريمان ، براءة ، نجـاة ، ورود ، وسـيلة ، عنود ، ناهد ،
عطاف ، نَهْلة ، أروى ، رحاب ، نايفة ، انشراح ، سُهاد ، كوثر ، إشراق ،
رغدة ، مِزْنة ، نجوان .

سميرة ، فريدة ، هانم ، نجوى ، ميرة ، حفيظة ، شِهناز ، شجون ، عـزَّة ، ١
مـجدولين ، مـعـالي ، غـزالة ، أمـيـمـة ، حكمت ، صـابرين ، عنان ،
رَهَف ، غـاليـة ، اكـتـمـال ، سلسبيل ،أناهيـد ، حلا ، صـبرا ، غانيـة ،
ميعاد ، نِبال ، سُندس ، إيفان ، صبا ، غـصون ، رُواء ، رِماح ، رشان ،
أرجوان ، ازدهار ، خنساء ، صيتـة ، غِنى ، بنان ، فيـفـيـان ، كـوكب ،
إكرام ، دارلين ، عاتكة ، غَيْداء ، نينا ، مجاهدة ، ميسم ، ماريًّا ، تماضر ،
رأفت ، عَروب ، فريدة ، رفيدة ، ماجدة ، ريجان ، رابعة ، تمام ، راقية ،
عُريب ، فـهيـمـة ، سُميَّة ، وِحـدة ، سمـاهر ، تولين ، رامة ، سـمـانا ،

فوزية ، أنعام ، سُلطانة ، نهاد ، تقوى ، تيما ، رامية ، سميحة ، رحمة ،
رفيف ، سِولَين ، راية ، ثائرة ، خُزامى ، روزا ، حليمة ، مفيدة ، فِكَر ،
الهنوف ، ميلودي ، جانيت ، رباب ، سِوار ، رماء ، فاتنة ، خضرة ،
روضة ، مُكَرَّم ، جيهان ، شريفة ، سيناريا ، رند ، نعمت ، عزيزة ،
جود ، معزوزة ،

١ حاكمة ، شَهْد ، شادن ، رنيم ، رواد ، روزانة ، نسيبة ، نادرة ، لطيفة ،
رونزا ، زينات ، وائلة ، نَشْوة ، نازك ، لجينة ، ريزان ، ساندرا ، هيفاء ،
نضال ، مريادة ، حماس ، زاهية ، سجا ، هيلان ، نهال ، مبروكة ،
عاصفة ، زريفة ، سديم ، هيلين ، نهيد ، مَنْعة ، فردوس ، زمزم ،
سكينة ، هدير ، نهيل ، مادلين ، هوازن ، زها ، سما ، زهراء ، هتاف ،
نور الهدى ، لولوة ، وديان ، هبة الله ، نوريَّة ، ليالي ، زهية ، وردة ،
هامة ، نوران ، لورين ، زيزفون ، ورقاء ، هادية ، نيفين ، لوجينة ، تِرفة ،
جزْعة ، مثايل ، فصايل ، عيدة ، صبحا ، منيفة شهلا ، شتوة ، آمنة
غريس ، حمدة .

الملحق الرابع
توزيع عينة البحث حسب المسكن

المسكن	عدد الاستبانات	النسبة المئوية
المدينة	١٥٠	٣٦٪
المخيم	١١٨	٢٨٪
القرية (الريف)	٧٥	١٨٪
البادية	٧٥	١٨٪
المجموع	٤١٨	١٠٠٪

خريجو
قسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس
العاملون في الإعلام الرسمي
(دراسة تقويمية)

د. أنور بن محمد الرواس
جامعة السلطان قابوس - قسم الإعلام

ملخص

يسعى هذا البحث إلى إجراء دراسة تقويمية لخريجي قسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس العاملين في الإعلام الرسمي .

وقد تحقق هذا الهدف من خلال معرفة آراء الخريجين في النظام الدراسي الذي اتبعوه في تحصيلهم الجامعي ، والتعرف على آرائهم في مستوى القائمين بالتدريس ، ورأيهم في التدريب الإعلامي في اثناء دراستهم . كذلك تعرف الباحث الحالي على آراء المسؤولين في الإعلام الرسمي في أداء هؤلاء الخريجين .

وفي ضوء ذلك خلصت الدراسة إلى نتائج بنى عليها الباحث جملة من التوصيات بشأن الارتقاء بمستوى خريجي قسم الإعلام وتطوير أدائهم العملي .

Graduates of the Mass Media Department of Sultan Qaboos University Working at the Official Media (An Evaluation Study)

Dr. Anwar Ben Muhammad Al-Rawwas

Faculty of Arts

Sultan Qaboos University

Abstract

The paper seeks to evaluate the graduates of the Department of Journalism and Mass Media in Sultan Qaboos University. The Study investigates the graduates' views concerning the educational program they followed, the efficiency of the faculty, and the effectiveness of their field training. It also examines the employers' views to evaluate the graduates' academic and practical preparation for carrying out the responsibilities of their jobs. Based on the results of the study, the paper concludes with a set of suggestions which emphasise the need to raise the graduates' competency standard, and develop their performance levels in the labor market to meet the employers' needs.

مقدمة

يمثل قسم الإعلام بكلية الآداب والعلوم الاجتماعية الذي أنشئ في عام ١٩٨٨ أحد التخصصات المهمة والهادفة إلى إعداد الكوادر العمانية المؤهلة علميا ومهنيا في المجال الإعلامي الذي يشهد تنافسا محموما في عصر أصبح الإعلام أحد أهم مرتكزات عصر العولمة . وفي ضوء ذلك يسعى قسم الإعلام إلى مواكبة التطورات المتلاحقة على الساحة التكنولوجية ، من خلال طرح برامج تتوافق وتقنيات الاتصال الحديثة ليكتسب الطلاب مهارات أساسية لممارسة العمل الإعلامي داخل الجامعة وخارجها ، وبخاصة في المؤسسات الإعلامية العمانية . ويهدف القسم أيضا إلى تدريب الطلاب على إجراء البحوث العملية التي يمكن تطبيقها على مجتمع الجامعة أو المجتمع العماني بشكل عام .

ويسعى القسم من خلال استراتيجية جامعة السلطان قابوس إلى إعداد الكوادر البشرية القادرة على الإنجاز والعطاء لتلبية حاجات المجتمع . وفي هذا الصدد يحرص القسم على تنوع طرق التدريس التي تشمل المحاضرات ، والدروس العملية في المختبرات الصحفية ، والمناقشات وحلقات البحث لتنمية القدرات العقلية للطالب وتأكيد مشاركته الإيجابية .

ويتجه قسم الإعلام من خلال كلية الآداب والعلوم الاجتماعية إلى توثيق الصلة بخريجيه وبالقيادات الإعلامية المسؤولة عن القطاعات التي يعملون فيها ، للإفادة من تجربتهم العملية حتى يتمكن القسم من خلال الدراسات الميدانية من تقييم خططه وبرامجه ، والعمل على تطويرها بما يتناسب وروح العصر .

المبحث الأول

أهمية موضوع البحث والإجراءات المنهجية

١- أهمية الدراسة وتحديد مشكلتها :

يشهد العالم مع بداية الألفية الجديدة تطورا ملحوظا في الاهتمام بتكنولوجيا الإعلام والمعلومات ، نظرا للدور الخطير الذي يلعبه الإعلام في حياة المجتمعات . وقد أصبح القائم بالاتصال عنصرا مهما في العملية الاتصالية . فدون التدريب الجيد على الوسائل التكنولوجية وصقل مهاراته الاتصالية ، تصبح العملية الاتصالية عديمة الجدوى . وفي ظل هذه التطورات المتلاحقة يحاول المجتمع العماني اللحاق بهذا الركب وتطوير إعلامه من خلال النهوض بمراحل العملية الاتصالية كافة . وتتحدد مشكلة البحث الراهن في التركيز على تقييم خريجي قسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس العاملين في الإعلام الرسمي .

٢- تساؤلات البحث :

يسعى هذه البحث إلى الإجابة عن سؤال رئيسي يتمثل في تقييم أداء خريجي قسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس العاملين في الإعلام الرسمي .
وللإجابة عن هذا السؤال الرئيسي توجد أسئلة فرعية أخرى أهمها :

١- ما هي آراء الخريجين في النظام الدراسي بالقسم؟
٢- ما هي آراء الخريجين في التدريب الإعلامي أثناء الدارسة؟
٣- ما هي آراء الخريجين في مستوى أداء أعضاء الهيئة التدريسية؟
٤- ما هي آراء القيادات الإعلامية في أداء خريجي قسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس؟

٣- الدراسات السابقة :

١- محمد سعد أحمد إبراهيم عن «الاتجاهات الحديثة في دراسات القائم بالاتصال»[١] ، حيث سعت هذه الدراسة إلى رصد وتحليل الاتجاهات الحديثة في بحوث القائم بالاتصال سواء من حيث الإشكاليات البحثية أو المداخل النظرية والمنهجية أو الأساليب والأدوات البحثية بما يسهم في توسيع دائرة المعرفة العلمية . وقد حاولت الدراسة الإجابة على مجموعة من الأسئلة أهمها :

١- ما هي المجالات والإشكاليات البحثية الجديدة التي تناولتها بحوث القائم بالاتصال؟

٢- ما هي المداخل النظرية التي استخدمتها البحوث الجديدة؟

٣- ما هي الجوانب المنهجية والإجرائية الجديدة التي اعتمدت عليها تلك البحوث في تقييم عيناتها وجمع بياناتها؟

وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها :

١-استئثار الدراسات الأمريكية بالنصيب الأكبر في دراسات القائم بالاتصال ومن ثم توالت الدراسات في هذا المجال في أوروبا والعالم العربي وآسيا .

٢- تمثلت المجالات البحثية الجديدة في دراسات القائم بالاتصال في :

أ - القائم بالاتصال الإليكتروني .

ب- التوجهات المهنية للقائم بالاتصال .

ج- تتناول القائم بالاتصال في سياق اجتماعي سياسي وأيديولوجي .

د- تتناول القائم بالاتصال في سياقات سيكولوجية وقانونية وعرقية .

٢- منى الحديدي «اختراق القائم بالاتصال»[٢] ، حيث تناولت الباحثة التركيز على أسباب ظاهرة الاختراق الإعلامي في الوطن العربي مثل

ضعف الإمكانات المادية وندرة الإمكانات الفنية ومحدودية الكوادر الإعلامية المؤهلة والرغبة في المنافسة رغم ضعف القدرات الإنتاجية الفعلية . وقد خلصت الدراسة الميدانية التي أجرتها الباحثة إلى مجموعة من النتائج التي تؤكد حدوث اختراق للقائم بالاتصال في المؤسسات الإعلامية العربية ، إذ جاءت آراء المبحوثين متضمنة ما يلي :

١- مناهج دراسة الإعلام في الجامعات العربية لا تساعد على تكوين إعلامي معاصر .

٢- الدراسة بالجامعات الأجنبية تنمي اهتمامات الفرد وتثري معارفه وتطور مفاهيمه .

٣- تؤدي الدراسة بإحدى الجامعات الأجنبية حتما إلى تكوين عنصر أفضل على مستوى الممارسة المهنية والبحث العلمي .

٤- خريجو الجامعة الأميركية في القاهرة (تخصص إعلام) أفضل من خريجي أقسام الإعلام العربية .

٥- المؤهلون محليا (عربيا) فقط ليسوا على مستوى إعداد كوادر إعلامية متميزة ومعاصرة .

٦- بعض المقررات الدراسية الإعلامية لا يستطيع تدريسها بكفاءة إلا المؤهلون بالجامعات الأجنبية .

٧- الإعلام علم غربي ولا يجدي تعلمه إلا في المجتمعات الغربية أو بنظمها وباللغات الأجنبية .

٨- الاعتماد على الخبراء والأجانب ضروري لتدريب الكوادر الإعلامية بكفاءة في الداخل .

٩- محاكاة النمط الغربي في التليفزيونات العربية ضرورة لنجاحها .

٣- بركات عبد العزيز عن : «التدريب الإذاعي والتليفزيوني بدول العالم الثالث- دراسة في الأبعاد المحلية والدولية»[٣] . وقد هدفت هذه الدراسة

إلى التعرف على واقع التدريب وخصائصه في عدد من دول العالم الثالث . وركز الباحث على دراسة مؤسسات إعلامية بأوغندا وتنزانيا وزامبيا وزيمبابوي والسودان وسوزيلاند ونيجيريا وإندونيسيا وباكستان والفليبين والبرازيل وبيرو . وقد خلصت نتائج الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها نقص التمويل الذي يعتبر من أهم المشكلات التي تواجه التدريب في المؤسسات الإذاعية والتليفزيونية . أما بالنسبة لإدارة التدريب ، فتبين أن الاتجاه الغالب يعكس ضعف مستوى التخطيط والتنفيذ والمتابعة والتقييم . وقد أكدت الدراسة أيضا أنه رغم قلة البرامج التدريبية في المؤسسات المعنية (عينة الدراسة) ، إلا أن هناك تكثيفا ملحوظا لوقت التدريب سواء من حيث عدد أيام التدريب في الأسبوع أو عدد ساعاته .

٤- **حسين أبو شنب عن «دور القائم بالاتصال في مؤسسات الإعلام الفلسطيني في مواجهة متغيرات الألفية الثالثة»(٤)** ، حيث تحاول هذه الدراسة التعرف على ماهية القائم بالاتصال وإعداده وتدريبه ومستواه التعليمي وخبرته الإعلامية وإمكاناته العلمية والفنية ، والتعرف على مدى الرضا الوظيفي والعلاقة بين العاملين وإدارة المؤسسات الإعلامية والسياسية العامة ، والعلاقة مع مصادر الأخبار والمعلومات ، والإفادة من التقنيات والصعوبات التي تواجه القائمين بالاتصال والمؤسسات الإعلامية . وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها :

١- كشفت الدراسة عن واقع القائم بالاتصال في المؤسسات الإعلامية الفلسطينية ، وافتقاد عدد كبير منهم للتأهيل الجامعي والعلمي والتأهيل التدريبي والإشراف والمتابعة ، وعدم وضوح الخطة الإعلامية أو الدور الذي يقوم به ، وانعكس ذلك على الرضا الوظيفي الذي جاءت نسبته متدنية .

٢- كشفت الدراسة أيضا عن الرغبة في الخصخصة ، وتشجيع الإذاعات الخاصة ، وهو الأمر الذي جعل عددا من البارزين في المواقع الإعلامية

ينادون بذلك ويشرفون على محطات خاصة .

٥- **أنور الرواس وطه نجم عن «واقع عمل المرأة العمانية العاملة في وسائل الإعلام- دراسة استطلاعية على القائمات بالاتصال»**(٥) ، حيث سعت هذه الدراسة إلى التعرف على واقع عمل القائمات بالاتصال في المؤسسات الإعلامية العمانية . وقد حاولت الدارسة التركيز على خصائص القائمات بالاتصال في المؤسسات الإعلامية العمانية ، والتعرف على طبيعة عمل المرأة الإعلامية العمانية . واهتمت الدارسة أيضا ببحث دور المؤسسات الإعلامية في رفع كفاءة القائمات بالاتصال ، وكذلك الرضا الوظيفي الذي يشعرن به ، وأخيرا بحث التحديات التي تواجههن في أداء أعمالهن .
وقد خلصت نتائج الدارسة إلى القول بأن واقع المرأة العمانية العاملة في وسائل الإعلام العمانية تتشابه بدرجة ملحوظة مع نظيراتها في كثير من الدول العربية من خلال الخصائص التي تميز القائمات بالاتصال وعمليات التأهيل والتدريب وكذلك الرضا الوظيفي للقائمات بالاتصال والتحديات التي تواجههن .

٦- **محمد معوض عن «رؤية مستقبلية لدور أقسام الإعلام بكليات الآداب في تكوين الكوادر الإعلامية في دول مجلس التعاون الخليجي»**(٦) ، حيث ركزت هذه الدراسة على إلقاء الضوء على مجموعة من القضايا التي تهم أقسام الإعلام بكليات الآداب في دول مجلس التعاون الخليجي . إذ تناول الباحث أهداف إنشاء أقسام الإعلام وصحف التخريج فيها ، وقبول الطلاب بها ، ومناقشة عملية التدريب والإمكانات اللازمة لأقسام الإعلام متضمنة أعضاء هيئة التدريس والمدربين والفنيين والأجهزة والمعدات والمختبرات اللازمة للتدريب . وناقش الباحث أيضا مجالات العمل المتوفرة لخريجي الإعلام .

وقد خلص الباحث في نهاية الدراسة إلى وضع مجموعة من التوصيات والمقترحات لتطوير أقسام الإعلام بكليات الآداب في دول مجلس التعاون الخليجي وأهمها :

١- دعم أقسام الإعلام بجميع الإمكانات اللازمة لتأهيل الكوادر الإعلامية في دول مجلس التعاون ، ومن أهمها أعضاء هيئة التدريس والمدربون والفنيون مع ضرورة توفير الأجهزة والمعدات التي تحتاجها للتدريب .

٢- الاهتمام بمتابعة خريجي الإعلام مع الاهتمام بتقويم صحف التخرج فيها وضرورة مراجعتها حتى تساعد الخريجين على مواجهة التطورات الإعلامية باستمرار .

٣- دعم مراكز المعلومات التي تخدم أقسام الإعلام بكليات الآداب لأهمية دورها في بناء المجتمعات وتطويرها وربطها بقواعد وشبكات المعلومات العالمية كالإنترنت وغيرها لمواكبة علوم الاتصال العصرية .

٤- الاهتمام بالتدريب العملي لطلاب الإعلام وتنظيم البرامج التدريبية الخاصة والقصيرة في مختلف المجالات الإعلامية ، وذلك في ضوء احتياجات وزارات دول المجلس والمؤسسات الإعلامية .

٥- تبادل أعضاء هيئة التدريس والمطبوعات والإكثار من زيارات طلاب أقسام الإعلام فيما بين دول المجلس ، وعقد الندوات المتعلقة بتطوير عمل هذه الأقسام من خلال دراسة مناهجها وتخصصاتها وصحف التخرج بها لتطوير الدراسات الإعلامية .

٧- كلية الإعلام بجامعة القاهرة ، «خريجو كلية الإعلام المشتغلون في الإذاعة التليفزيون-دراسة تقويمية»(٧) ، وقد هدفت هذه الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف أهمها :

١- إعداد سجل معلومات واف عن خريجي الكلية منذ نشأتها وتخريج أول دفعة بها سنة ١٩٧٥ وحتى ١٩٩٥ ، مما يساعد على تقوية العلاقة

بين الكلية وخريجها .

٢- التعرف على آراء الخريجين في نظام الدراسة بالكلية ومدى فعاليتها في إعدادهم للحياة العملية .

٣- التعرف على آراء مجموعة من الخبراء والمسؤولين باتحاد الإذاعة والتليفزيون وتقييم هؤلاء الخبراء ومتخذي القرار بالاتحاد لدور الكلية في إعداد الكوادر الإعلامية المطلوبة للخدمات الإعلامية المختلفة .

وقد خلصت الدراسة إلى تحقيق مجموعة من النتائج أهمها :

١- أوضحت النتائج أن الخريجين من مختلف الأقسام العلمية بالكلية يلتحقون بالعمل بالاتحاد سواء أمام الميكروفون أو الكاميرا أو خلفهما . وهذا مؤشر على تعدد مجالات التخصص المطلوبة من خريجي الكلية بصفة عامة ومن خريجي قسم الإذاعة بصفة خاصة .

٢- ارتفاع نسبة المشتغلين في الإخراج البرامجي من خريجي الكلية يدعو إلى ضرورة تخصيص مقرر دراسي نظري وعملي بقسم الإذاعة في الإخراج البرامجي الإذاعي والتليفزيوني مما يتيح للخريج فرصة أكبر في حصوله على حق التعيين في وظيفة مخرج مع بداية عمله .

٣- انخفاض نسبة المشتغلين بالاتحاد في مجال الإعداد من خريجي الكلية يلفت الانتباه إلى أن هذه التخصص لم يأخذ الاهتمام الكافي سواء في المقررات النظرية أم على مستوى التدريب العملي بقسم الإذاعة أم على مستوى التكوين الثقافي للطلاب وتدريبهم على التعامل مع مصادر المعلومات المختلفة وخاصة الحديثة منها .

٤- اتفق طرفا الدراسة ، الخريجون والخبراء ، على أهمية الاهتمام بالجانب العملي في مجال التخصص بالإضافة إلى الجانب النظري وصولا إلى تخريج ممارس متمكن مستند على أحدث النظريات الحديثة وعلى التفكير المنهجي .

ويبدو من تحليل الدراسات السابقة أنها كانت تدور حول ثلاثة محاور

أساسية هي الاتجاهات النظرية الحديثة في دراسة القائم بالاتصال ، وبحث واقع عمل القائم بالاتصال في بعض الدول العربية ، وأخيرا تقييم دور أقسام الإعلام في بعض الجامعات في تطوير مهنة القائم بالاتصال . وقد برزت إسهامات دراسة محمد سعد إبراهيم في رصد وتحليل الاتجاهات الحديثة في بحوث القائم بالاتصال ، وخلصت إلى سيطرة التوجهات الغربية على التنظير في هذا المجال بالنسبة للدراسات العربية ، وأبرزت أيضا تنوع المجالات البحثية في دراسة القائم بالاتصال . أما دراسة منى الحديدي فقد أكدت نتائجها على سيطرة التوجهات الغربية في بحوث الإعلام ، وقدرتها على اختراق القائم بالاتصال في العالم العربي من خلال المناهج الدراسية وغيرها من المتغيرات الأخرى .

أما المحور الثاني ، فقد تناول واقع عمل القائم بالاتصال في بعض المجتمعات ، حيث أشار النموذج الأول في نتائج دراسة بركات عبد العزيز إلى المشكلات التي تواجه التدريب في المؤسسات الإذاعية والتليفزيونية في بعض دول العالم الثالث . أما النموذج الثاني والذي تمثله دراسة حسين أبو شنب فيبرز افتقاد عدد كبير من العاملين في المؤسسات الإعلامية الفلسطينية إلى التأهيل الجامعي المطلوب وكذلك التأهيل في مجالات التدريب والإشراف والمتابعة . وأخيرا يهتم النموذج الثالث بدور المؤسسات الإعلامية في المجتمع العماني بالنسبة لرفع كفاءة القائمات بالاتصال .

ويهتم المحور الثالث والأخير بدور كليات الإعلام وكذلك الأقسام المتخصصة في الدراسات الإعلامية في تكوين الكوادر الإعلامية . حيث اهتمت دراسة محمد معوض بمناقشة بعض الموضوعات التي تتعلق بعملية التدريب في أقسام الإعلام والإمكانات اللازمة من خلال نموذج قسم الإعلام بجامعة الكويت ، وخلصت نتائج الدراسة إلى ضرورة الاهتمام بالتدريب العملي لطلاب الإعلام وتنظيم البرامج التدريبية المختلفة لهم . أما الدراسة الثانية والتي اعتمدنا في دراستنا الراهنة على فروضها العلمية وإجراءاتها المنهجية (استمارة الاستبيان بعد تعديلها بما يتناسب مع المجتمع العماني)

لتقييم آراء الخريجين في نظام الدراسة بالكلية ، وكذلك التعرف على آراء مجموعة من الخبراء بهذا الصدد . وخلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج الهامة التي تشير في مضمونها إلى ضرورة الاهتمام بالجانب العملي والتدريبي للطلاب بالنسبة لمصادر المعلومات المختلفة .

ويستدل من الدراسات السابقة أن هناك بعض المشكلات التي تواجه القائم بالاتصال في الوطن العربي من خلال النتائج التي استعرضها الباحثون أعلاه ، ولذا كان من الضروري دراسة التجربة العمانية لمقارنة نتائج الدراسات السابقة والاستفادة منها في دراستنا الراهنة .

المبحث الثاني
دراسة ميدانية على خريجي قسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس العاملين في الإعلام الرسمي

تنتمي هذه الدراسة إلى البحوث الاستطلاعية ، إذ تعد أول دراسة علمية على خريجي قسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس العاملين في الإعلام الرسمي . وقد حاول الباحث الاستفادة من الدراسات السابقة من حيث التعرف على موضوعاتها وإجراءاتها المنهجية والنتائج التي توصلت إليها . وقد قام الباحث بتطبيق استمارة استبيان قد أعدت سلفا من قبل كلية الإعلام بجامعة القاهرة ، في الدراسة التي أجريت على خريجي الكلية المشتغلين في الإذاعة والتليفزيون المصري . وقد قام الباحث بتطويرها بما يتناسب مع موضوع دراسته . وطبقت الاستمارة على جميع العاملين في الإعلام الرسمي من خريجي قسم الإعلام ، حيث بلغت مفردات العينة ٢٨ مفردة هي مجتمع الدراسة . وبالإضافة إلى ذلك تم تصميم نموذج دليل مقابلة طبق على عينة من القيادات الإدارية والفنية في الإذاعة والتليفزيون وجريدة عمان ووكالة الأنباء العمانية ووزارة الإعلام ، لكي يمكن تقييم أداء مستوى الخريجين .

أولا : عينة الدراسة وخصائصها :

١- خصائص عينة البحث من حيث النوع :

بلغت عينة الدراسة ثماني وعشرين مفردة هي مجموع عدد الخريجين العاملين في وسائل الإعلام المحلية في وزارة الإعلام وكل من إذاعة وتليفزيون سلطنة عمان ومؤسسة عمان للصحافة والأنباء والنشر والإعلان (صحيفة عمان ووكالة الأنباء العمانية) . وقد شكلت فئة الذكور نسبة ٧٨,٦٪ ، فيما بلغت نسبة الإناث ٢١,٤٪ من مجموع عينة الدراسة . وخلال السنوات العشر الماضية ١٩٩١-٢٠٠١ بلغ عدد خريجي قسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس من الطلاب الذكور ١٤٨ مشكلين ما نسبته ٧٧,٩٪ ، فيما بلغ عدد الطالبات الخريجات ٤٢ خريجة بنسبة ٢٢٪(٨) . وربما يكون تمثيل الذكور والإناث في هذه الدراسة منطقيا إي يتعلق بالمستوى التعليم للذكور والإناث في المجتمع العماني ، فلقد أشار وكيل وزارة الإعلام في محاضرة بجمعية المرأة العمانية إلى أن الأرقام ترشدنا إلى حقائق أكبر من الكلام حيث نجد المرأة تمثل أقل من ١٠٪ بوزارة الإعلام فثمة ٨٢ امرأة مقابل ١١١٨ رجلا . وأضاف : «إن هذه النسبة نحن غير راضين عنها في وزارة الإعلام فهناك ٣٩ إعلامية و١٨ إعلامية فنية و٢٥ إدارية وتتواجد المرأة في التلفزيون بنسبة أقل عن الإذاعة (٧٪ مقابل ١٠٪)» ، وأكد وكيل وزارة الإعلام أن تواجد المرأة في الحقل الإعلامي دون ما يطمح إليه الإعلام العماني وهو دون الواقع الذي تستوجبه مسيرة المرأة ودون عطاء الدولة حيال المرأة وتعليمها وإنتاجها(٩) .

جدول رقم (١)

خصائص عينة البحث من حيث النوع

الفئات	التكرارات	٪
ذكور	٢٢	٧٨,٦
إناث	٦	٢١,٤
المجموع	٢٨	١٠٠

وتلقي الأسباب السابقة عبئا على قسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس لتحمل مسؤولياته -بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر- من خلال المواد التنموية التي تدرس فيه والتي تدعو إلى تغيير الاتجاهات السلبية ، ليغرس في أذهان الطلاب والطالبات ضرورة مشاركة المرأة العمانية في العمل الإذاعي والتلفزيوني والصحفي وتقبل ذلك تغيير النظرة التقليدية إلى المرأة ودورها في المجتمع سواء نظرتها إلى نفسها أم نظرة الرجل إليها من ناحية ، ومن ناحية أخرى تطالب القسم بإعادة النظر في المواد التي تدرس وتطويرها بما يلبي احتياجات المؤسسات الإعلامية من خلال إنشاء شعبة للإذاعة والتلفزيون ، وشعبة للصحافة ، وشعبة للعلاقات العامة والإعلان .

٢-خصائص عينة الدارسة من حيث مكان العمل :

وأما بالنسبة للمواقع التي يعمل بها خريجو قسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس فقد حظي تلفزيون سلطنة عمان بالنصيب الأوفر من الخريجين حيث بلغت نسبتهم ٣٩,٣٪ ، فيما بلغت نسبة الخريجين العاملين في وزارة الإعلام ٢٥٪ ، وجاءت إذاعة سلطنة عمان في المرتبة الثالثة حيث بلغت نسبة الخريجين العاملين فيها ١٧,٩٪ ، وبلغت نسبة الخريجين العاملين في وكالة الأنباء العمانية ١٠,٧٪ ، واحتلت صحيفة عمان المرتبة الأخيرة في توظيفها للخريجين حيث بلغت نسبتهم ٧,١٪ .

ويبدو من بيانات الجدول رقم (٢) أن نسبة الخريجين العاملين في الإعلام الرسمي كانت مرتفعة في أوائل التسعينات ، حيث بلغت ستة (١٩٩٢-١٩٩٣) ، ووصلت النسبة إلى ٢٥٪ من مجموع نسب تمثيل الخريجين العاملين في الإعلام الرسمي على مدار السنوات العشر . ويلاحظ أيضا انخفاض هذه النسبة بدرجة ملحوظة وصلت أدناها ٣,٦٪ في السنتين ١٩٩٨ ، ١٩٩٩ .

ويمكن تفسير ذلك بأن ارتفاع النسبة في أوائل التسعينات كانت لها

ما يبررها ، والتي تتمثل بنمو المؤسسات الإعلامية عموما وحاجة الإعلام الرسمي إلى مؤهلين جامعيين في مجال الإعلام هذا من جانب ، أما الجانب الآخر فيتمثل في رفد قسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس سوق العمل بأوائل الدفعات من الخريجين في المجال الإعلامي . أما سبب انخفاض هذه النسبة في السنوات التالية فيرجع إلى قرب اكتمال العجز في الوظائف من المتخصصين .

جدول رقم (٢)

خصائص عينة البحث من حيث مكان العمل الحالي

الفئات	التكرارات	٪
تليفزيون سلطنة عمان	١١	٣٩,٣
وزارة الإعلام	٧	٢٥
إذاعة سلطنة عمان	٥	١٧,٩
وكالة الأنباء العمانية	٣	١٠,٧
صحيفة عمان	٢	٧,١
صحيفة الأوبزيرفر	-	-
مجلة نزوى	-	-
العمانية للعلاقات العامة والإعلان	-	-
المجموع	٢٨	١٠٠

٣-خصائص عينة البحث من حيث سنة التخرج :

وفيما يتعلق بسنوات التخرج للخريجين العاملين في الإعلام الرسمي ، فتوضح نتائج الدراسة أن عدد الخريجين ممن يعملون في تلك الوسائل الإعلامية في سنة (٩٢-٩٣) هم سبعة خريجين بلغت نسبتهم ٢٥٪ ، وتساوت أعداد الخريجين العاملين في الإعلام الرسمي أعوام (٩٠-٩١ ، و٩٤-٩٥) بنسبة

٢١,٤٪ في كل عام ، وبلغ عدد العاملين في الوسائل الإعلامية الرسمية من الخريجين في سنة (٩٦-٩٧) خمسة بنسبة ١٧,٩٪ ، وفي سنة (٩٨-٩٩) ٣,٦٪ . وتعتبر هذه السنة هي الأقل من حيث توظيف خريجي قسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس العاملين في الإعلام الرسمي ، فيما بلغت نسبة الخريجين العاملين في وسائل الإعلام الرسمية سنة (٢٠٠٠) ١٠,٧٪ .

ويبدو من تحليل البيانات السابقة أن هناك تناقصا تدريجيا في أعداد الخريجين الذين يلتحقون بالعمل في مؤسسات الإعلام الرسمي ، حيث بلغت النسبة أعلاها عند خريجي سنة ١٩٩٢-١٩٩٣ ووصلت إلى ٢٥٪ ثم بدأت النسبة في الانخفاض حتى وصلت أدناها لخريجي سنة ١٩٩٩ ٣,٦٪ من الذين التحقوا بالعمل خلال سنوات الدراسة .

وبالنسبة إلى بداية التحاق خريجي قسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس للعمل في المؤسسات الإعلامية ، أشارت بيانات الدراسة إلى أن سنة ١٩٩٣ كانت الأعلى بين سنوات الالتحاق ، وربما كانت هذه الزيادة تتعلق بالسياسات الإعلامية والخطط البرامجية خلال تلك الفترة إذ التحق بالعمل خلال تلك السنة سبعة خريجين بنسبة ٢٥٪ ، فيما تساوى عاما ١٩٩١ ، ١٩٩٧ من حيث بدايات عمل الخريجين في وسائل الإعلام الرسمي ، فقد التحق بتلك الوظائف ستة خريجين بنسبة ٢١,٤٪ ، وفي عام ١٩٩٨ التحق ثلاثة أشخاص بالوظيفة بنسبة ١٠,٧٪ ، وكذلك تساوى عاما ١٩٩٩ ، ٢٠٠٠ في التحاق خريجي قسم الإعلام في الوظائف الإعلامية بنسبة ٧,١٪ ، وفي عامي ١٩٩٤ ، ٢٠٠١ كانت النسبة ٣,٦٪ ، فيما خلا عاما ١٩٩٥ ، ١٩٩٦ من توظيف خريجي قسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس ، مع العلم أن أعداد الخريجين في تلك الفترة بلغت ٣٥ خريجا .

جدول رقم (٣)

خصائص عينة البحث من حيث سنة التخرج

الفئات	التكرارات	٪
٩٠-٩١	٦	٢١,٤
٩٢-٩٣	٧	٢٥
٩٤-٩٥	٦	٢١,٤
٩٦-٩٧	٥	١٧,٩
٩٨-٩٩	١	٣,٦
٢٠٠٠	٣	١٠,٧
المجموع	٢٨	١٠٠

٤-أسلوب التحاق الخريجين بالمؤسسة الإعلامية :

أما عن أسلوب التحاق الخريجين العاملين بالمؤسسات الإعلامية الرسمية فقد تنوعت عملية قبول طلبات الخريجين للعمل في تلك المؤسسات . وجاء أسلوب الالتحاق بالعمل في الإعلام الرسمي عن طريق التعيين من خلال وزارة الخدمة المدنية في مقدمة الأساليب ، فقد توظف بهذا الأسلوب ١٣ شخصا بنسبة ٤٦,٤٪ من إجمالي العينة ، يليه الإعلان عن وظائف شاغرة بنسبة ٣٥,٧٪ ، ومن خلال التعامل بالقطعة ثم التثبيت في العمل بنسبة ١٧,٩٪ . ويشير أسلوب التعيين أكان عن طريق وزارة الخدمة المدنية أم الإعلان عن وظائف شاغرة بأنه الأمثل ، حيث يعتمد على أسلوب المسابقة أو الاختبار بين المتقدمين بناء على أسس موضوعية ، تشمل الاختبار التحريري والمقابلة الشخصية . ويعد اختبار الصوت هو الأسلوب السائد في مؤسسات الإعلام الرسمي ، وهو أسلوب للتصفية يتيح -كما ثبت في العديد من الدول- اختيار أفضل المتقدمين على أسس ومعايير علمية .

جدول رقم (٤)

أسلوب التحاق الخريجين بالمؤسسة الإعلامية

الفئات	التكرارات	٪
الإعلان عن وظائف شاغرة	١٠	٣٥,٧
وزارة الخدمة المدنية	١٣	٤٦,٤
التعيين بالقطعة	٥	١٧,٩
أخرى تذكر	-	-
المجموع	٢٨	١٠٠

٥-توزيع الوظائف التي يشغلها الخريجون :

أما بالنسبة لتوزيع الوظائف التي يشغلها الخريجون العاملون في وسائل الإعلام الرسمية فتشير النتائج إلى أن وظيفة محرر أخبار جاءت في مقدمة الوظائف ، إذ شغلها ٧ أشخاص بنسبة ٢٥٪ ، وهي وظيفة تناسب أسلوب التأهيل بقسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس حيث لا يوجد تخصصات فرعية في الإذاعة والتليفزيون والصحافة والعلاقات العامة والإعلان . ويركز أسلوب التدريب داخل المؤسسات الصحفية ووكالة الأنباء العمانية في المقام الأول على معالجة الأخبار وطرق تحريرها . وجاءت وظيفة مراقب مطبوعات بدائرة المطبوعات والنشر بالمديرية العامة للإعلام في المرتبة الثانية بنسبة ١٧,٩٪ ، وينحصر مهام عمل المراقب في مراقبة المطبوعات التي ترد إلى داخل السلطنة ، حيث يتم مراقبتها قبل توزيعها في الأسواق المحلية . فيما تساوت وظائف الإعداد والتقديم والإخراج في النسبة إذ بلغت ١٠,٧٪ وهي من الوظائف الفنية في الإذاعة والتليفزيون ، ويخضع العامل فيها إلى تدريب وهو على رأس عمله . وتوزعت مسميات الوظائف الأخرى على خريجي قسم الإعلام على النحو التالي : منسق برامج ورئيس قسم الموسيقى والغناء وأخصائي إعلام وأخصائي علاقات عامة وأمين مكتبة فنية وأخصائي مطبوعات ورئيس قسم الإنتاج

الخارجي ومنسق برامج تليفزيونية .

جدول رقم (٥)

توزيع الوظائف التي يشغلها الخريجون

الفئات	التكرارات	٪
محرر	٧	٢٥
مترجم	-	-
معد	٣	١٠,٧
مقدم	٣	١٠,٧
مساعد مخرج	-	-
مخرج	٣	١٠,٧
موظف إداري	-	-
باحث	-	-
مندوب أخبار	١	٣,٦
مصمم إعلانات	-	-
مندوب إعلانات	-	-
مراقب مطبوعات	٥	١٧,٩
مسؤول علاقات عامة	١	٣,٦
أخرى تذكر	٥	١٧,٨
المجموع	٢٨	١٠٠

ويبدو من تحليل بيانات جدول رقم (٥) أن وظيفة محرر أخبار تعتبر من الوظائف المهمة التي يقبل عليها خريجو قسم الإعلام ، وربما يعد ذلك من الأمور الطبيعية نظرا لتناسب هذه الوظيفة مع المقررات التي درسها الطلاب كما أشرنا ، وفي الوقت نفسه خلت بعض التخصصات من وجود الخريجين في وظائف

مصمم إعلانات ومندوب إعلانات على الرغم من أن هذه الوظائف إعلامية ويدرس الطلاب مواد مرتبطة بهذه التخصصات ، إلا أنها تبدو غير كافية حيث تحتاج مثل هذه الوظائف تخصصا فرعيا في مجال العلاقات العامة والإعلان لكي يتمكن الخريج من إتقان هذه الوظائف .

ثانيا :علاقة خريجي قسم الإعلام بالمؤسسات الإعلامية :

١-أسلوب التحاق الخريجين بالمؤسسات الإعلامية

تشير النتائج إلى أن ١٤,٣٪ من عينة الدراسة سبق لهم الالتحاق بأعمال أخرى قبل عملهم الحالي بالمؤسسات الإعلامية الرسمية . وجدير بالذكر أن ٥٠٪ منهم عملوا بجهات غير إعلامية تركزت في القطاع الخاص ، فيما عمل ٥٠٪ بجهات إعلامية تركزت في وكالة الأنباء العمانية . ويلاحظ اختلاف نتائج دراستنا عن نتائج دراسة كلية الإعلام بجامعة القاهرة على خريجيها الذين يعملون باتحاد الإذاعة والتلفزيون حيث حرص ٤٩,٤٪ على العمل بجهات أخرى قبل التحاقهم باتحاد الإذاعة والتلفزيون ، مما يشير إلى حرص الخريج في مصر على العمل فور تخرجه حتى ولو لم يكن العمل مرتبطا بتخصصه الأكاديمي (١٠) .

جدول رقم (٦)

هل سبق للخريج العمل بجهات أخرى قبل الالتحاق بالمؤسسة الإعلامية

الفئات	التكرارات	٪
نعم	٤	١٤,٣
لا	٢٤	٨٥,٧
المجموع	٢٨	١٠٠

٢-طبيعة الجهات التي عمل بها الخريجون قبل التحاقهم بالمؤسسات الإعلامية :

يبدو من الجدول رقم (٧) أن أربعة أشخاص قد التحقوا بوظائف قبل الحصول على وظائف في المؤسسات الإعلامية التي يعملون بها حاليا ، فقد أشار شخصان بأنهم التحقوا بوظائف إعلامية بنسبة ٥٠٪ في كل من مجلة نزوى ووكالة الأنباء العمانية ، والتحق شخصان آخران بوظائف غير إعلامية بنسبة ٥٠٪ في الأعمال المصرفية والتجارة الحرة .

جدول رقم (٧)

طبيعة الجهات التي عمل بها الخريجون قبل التحاقهم بالمؤسسات الإعلامية

الفئات	التكرارات	٪
إعلامية	٢	٥٠
غير إعلامية	٢	٥٠
المجموع	٤	١٠٠

٣-الفترة الزمنية التي قضاها الخريج في العمل قبل الالتحاق بالمؤسسة :

وتشير النتائج إلى أن شخصين بنسبة ٥٠٪ عملا في كل من مجلة نزوى ووكالة الأنباء العمانية ، وقد تراوحت سنوات العمل من سنة إلى سنتين ، وشخصين بنسبة ٥٠٪ قضياها في الأعمال المصرفية والتجارة الحرة وقد تراوحت سنوات العمل بين سنة وست سنوات ، مما يشير إلى حرص الخريج على العمل فور تخرجه لاكتساب خبرة عملية وإن كان ذلك غير مرتبط بتخصصه الأكاديمي ، مما يجعل حظوظه أوفر عند حصوله على الوظيفة المراد امتهانها ، نظرا لخبرته العملية في الحصول على الوظيفة المراد تحقيقها .

جدول رقم (٨)

الفترة الزمنية التي قضاها الخريج في العمل قبل الالتحاق بالمؤسسة الإعلامية

الفئات	التكرارات	٪
سنة	١	٢٥
سنتان	١	٢٥
ثلاث سنوات	–	–
أخرى تذكر	٢	٥٠
المجموع	٤	١٠٠

ثالثا :التحاق الخريجين بدورات تدريبية خلال العمل بالإعلام الرسمي :

١-التوزيع التكراري والنسبي لعينة الدراسة ممن حصلوا على دورات تدريبية :

تدل النتائج كما هو موضح في (جدول رقم ٩)على حصول ٦٧,٩٪ من خريجي قسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس المعينين في الإعلام الرسمي على دورات تدريبية في مجال عملهم ، مما يشير إلى حرص المؤسسات الإعلامية الرسمية على تأهيل العاملين بها وتطوير إمكانياتهم . وقد تم التدريب داخل السلطنة وخارجها ، وتنوعت الدورات التي حصل عليها خريج قسم الإعلام طبقا للوظائف التي يشغلها حاليا وهي كالتالي :

١-المعهد الدبلوماسي في وزارة الخارجية

٢-اللغة الإنجليزية في المعهد البريطاني ومعهد العاصمة

٣-الطباعة والحاسب الآلي في معهد بوليغوت

٤-اللغة العربية في كل من مسقط وصلالة

٥-الإعداد والتقديم في مسقط

٦-تنسيق البرامج والأخبار وكتابتها في نادي الصحافة

٧-الكتابة للراديو والتليفزيون في وزارة الإعلام

٨-إعداد وإصدار المطبوعات في وزارة الإعلام
٩-دورة المذيعين في وزارة الإعلام
١٠-التحرير الإخباري في دائرة الإذاعة بصلالة
١١-الإنترنت في مسقط
١٢-إعداد التقارير الإعلامية بمعهد الإدارة العامة

وهناك دورات حصل عليها خريج قسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس خارج السلطنة وتركزت على النحو التالي :

١-الملكية الفكرية في جنيف واستكهولم
٢-البرامج المباشرة ، إعداد وإخراج البرامج ، وبرامج الحوار في سوريا
٣-الأخبار ومصادرها في دولة الكويت
٤-التحرير الإخباري في الأردن
٥-كتابة الأخبار الاقتصادية في وكالة الأنباء الكويتية
٦-تغطية الأخبار الاقتصادية في بيروت

جدول رقم (٩)

هل سبق للخريج الالتحاق بدورات تدريبية في مجال عمله الحالي؟

الفئات	التكرارات	٪
نعم	١٩	٦٧,٩
لا	٩	٣٢,١
المجموع	٢٨	١٠٠

ويستدل من تحليل بيانات جدول رقم (٩) على أن وزارة الإعلام حريصة على تدريب أبنائها من خلال إشراكهم في دورات تدريبية في مجال العمل الإعلامي ، وإن غلب على هذه الدورات الطابع المحلي أكثر من الخارجي . وربما

كانت نسبة ٦٧,٩٪ كافية لعدد الخريجين الذين التحقوا بالإعلام الرسمي وحصلوا على دورات تدريبية . أما عن نوعية الدورات التدريبية فقد تركزت على عملية تحرير الأخبار وإعدادها بالإضافة إلى بعض الدورات في مجال اللغة والعمل الإداري . وخلت مثل هذه الدورات تماما من تنظيم دورات للخريجين في مجال الإخراج الإذاعي والتليفزيوني على الرغم من أهمية هذا المجال .

٢-التوزيع التكراري والنسبي لعينة الدارسة ممن حصلوا على درجات علمية أعلى بعد شغلهم الوظيفة :

تشير الإحصاءات إلى عزوف المبحوثين عن الإقبال على الحصول على درجات علمية تلي درجة الليسانس بين خريجي قسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس ، حيث تشير النسبة إلى أن الذين واصلوا دراساتهم العليا بلغت ١٠,٧٪ فقط من مجموع عينة الدراسة . فيما بلغت نسبة الحاصلين على درجات عليا بين خريجي كلية الإعلام بجامعة القاهرة ٢٤,٢٪ من إجمالي عينة الدراسة(١١) . ويعكس هذا العزوف مدى انشغال الممارسين بعملهم من ناحية ، وعدم وجود الوقت الكافي للاستمرار في استكمال الدراسات العليا من ناحية أخرى ، على الرغم من أهمية هذا التأهيل للمتميزين منهم ، حيث يشهد الإعلام تطورات متلاحقة تستدعي المتابعة والدراسة . ويدعو عدم الإقبال أو انخفاض نسبة استكمال الدراسات العليا للعاملين في مؤسسات الإعلام المختلفة إلى ضرورة تنظيم دورات متخصصة قصيرة وعلى جرعات حتى يتمكن المتدرب من التوفيق بين الجانبين النظري والتطبيقي ، وكذلك العمل على تأهيلهم بحصولهم على دبلومات متخصصة لا تتعدى السنة الدراسية الواحدة بما يتفق وظروف هؤلاء الممارسين وبما يجعلهم يطورون معلوماتهم خلال فترة الممارسة العملية .

جدول رقم (١٠)

مدى حصول الخريجين العاملين في وسائل الإعلام الرسمية على درجات علمية أعلى بعد شغلهم للوظيفة .

الفئات	التكرارات	٪
نعم	٣	١٠,٧
لا	٢٥	٨٩,٣
المجموع	٢٨	١٠٠

٣-التوزيع التكراري والنسبي لعينة الدارسة للمواد التي درسوها :

ويبدو من مجموع عينة الدراسة أن الثلاثة الذين أكملوا دراساتهم بعد درجة الليسانس كان منهم شخصان فقط أكملا درجة الماجستير بنسبة ٦٦,٧٪ في تخصصات فن الإعلان ، والعلاقات العامة . فيما أكمل خريج واحد تمهيدي ماجستير بنسبة ٣٣,٣٪ .

جدول رقم (١١)

تصنيف الدرجات العلمية التي حصل عليها الخريجون

الفئات	التكرارات	٪
دبلوم غير إعلامي	-	-
دبلوم إعلامي	-	-
تمهيدي ماجستير	١	٣٣,٣
ماجستير	٢	٦٦,٧
دكتوراه	-	-
أخرى	-	-
المجموع	٣	١٠٠

رابعا :آراء الخريجين في النظام الدراسي بقسم الإعلام :

١- اتجاهات عينة الدراسة حول النظام الحالي للالتحاق بقسم الإعلام :

يتضح من نتائج الدراسة أن ٤٦,٥٪ يعارضون النظام المتبع الحالي للالتحاق بقسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس والذي يتمثل في توزيع الطلاب المقبولين بالجامعة ضمن مجموعات تحددها كلية الآداب والعلوم الاجتماعية ، حيث يدرس الطالب أربعة مداخل في الفصل الأول يكون من ضمنها مادة مدخل إلى الإعلام ، ومن ثم يتم توزيعهم على الأقسام في الكلية التي حددت مسبقا عدد الطلاب المقبولين في كل قسم بحيث لا يتجاوز ٣٠ طالبا . ولهذا قد يكون الطالب مرغما على دراسة تخصص قد لا يرغب فيه وبالتالي يقل عطاؤه ونتاجه العلمي .

جدول رقم (١٢)

آراء المبحوثين حول النظام الحالي للالتحاق بقسم الإعلام

نظام الالتحاق	النظام الحالي		الاختبارات الشفوية أفضل نظام		المواد المؤهلة والاختبارات	
رأي المبحوثين	التكرارات	٪	التكرارات	٪	التكرارات	٪
يوافق بشدة	٢	٧,١	٤	١٤,٣	٩	٣٢,١
يوافق	٧	٢٥	١٠	٣٥,٧	١٣	٤٦,٤
لا يوافق	١٠	٣٥,٧	١١	٣٩,٣	٥	١٧,٩
لا يوافق على الإطلاق	٣	١٠,٨	١	٣,٦	-	-
لا رأي له	٦	٢١,٤	٢	٧,١	١	٣,٦
المجموع	٢٨	١٠٠	٢٨	١٠٠	٢٨	١٠٠

أما فيما يتعلق بالاختبارات الشفوية والمقابلات الشخصية كأفضل نظام للقبول فقد أيد ٥٠٪ من أفراد عينة الدراسة هذا الأسلوب . ويفضل البعض

إجراء اختبارات شفهية أو تحريرية إلى جانب المجموع لاختيار الأشخاص الذي يلتحقون بدراسة الإعلام ، واعتبر المبحوثون هذا الإجراء ضروريا لاختبار القدرات والمهارات الشخصية لتأهيل وإعداد إعلامي شامل . واتجهت آراء نسبة ٧٨,٥٪ من المبحوثين إلى الجمع بين بعض المواد المؤهلة والاختبارات الشخصية كأفضل نظام ممكن للالتحاق بأي قسم للإعلام .

يستدل من الجدول رقم (١٢) على أن هناك رفضا واضحا من قبل الخريجين للنظام المتبع في التحاق الطلاب بقسم الإعلام . في المقابل هناك تأكيد واضح على طريقة الجمع بين بعض المواد المؤهلة والاختبارات الشخصية . ونحن نميل إلى هذا التوجه أيضا ، إذ تواجهنا مشكلات عديدة أثناء التدريس في التعامل مع بعض الطلاب الذين اضطروا للالتحاق بالقسم ، حيث تقل نسبة استيعابهم للمواد الإعلامية .

٢- اتجاهات عينة الدراسة حول بعض القضايا التي تتعلق بخريج قسم الإعلام أثناء الدراسة والواقع العملي حاليا في المؤسسات الإعلامية :

يبدو من الجدول رقم (١٣) أن أكثر من نصف عينة الدراسة يوافقون على وجود فجوة بين ما درسوه بقسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس والواقع العملي الذي وجدوه في المؤسسات الإعلامية التي يعملون بها ، حيث يوافق بشدة على هذه العبارة ٢٥٪ ، ويوافق عليها ٣٢,١٪ من المبحوثين مقابل ٢٥٪ من خريجي قسم الإعلام الذين يعملون في مؤسسات الإعلام الرسمي لا يوافقون على وجود فجوة بين ما درسوه بالقسم والواقع العملي ، حيث لا يوافق ١٤,٣٪ ، ولا يوافق على الإطلاق ١٠,٧٪ .

ويمكن القول أن ما يدعم ذلك ما لاحظه الباحث من قلة توظيف الخريجين من قسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس في مؤسسات الإعلام الرسمي ، فمن مجموع ١٩٠ خريجا طوال العشر سنوات الماضية لم يتم توظيف سوى ٢٨ خريجا في الوظائف الإعلامية بواقع ١٤,٨٪ . ويمكن اكتشاف ذلك من خلال المنافسة الشديدة بين المؤسسات الإعلامية التي تسعى لاستقطاب كوادر

الخريجين من أقسام الإعلام المختلفة ، وهذا يلقى عبئا كبيرا على قسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس في الارتقاء بأسلوب التدريس والتركيز على الجوانب التطبيقية إلى جانب التأهيل الأكاديمي للطالب الخريج . ومما يدعم ذلك إجابات المبحوثين على بعض العبارات الأخرى مثل :

* الشعور بنقص في الجانب العملي مقارنة بالجانب النظري حيث يوافق على ذلك ٨٥,٧٪ وتعتبر هذه النسبة كبيرة جدا في تأهيل إعلامي قادر على التعامل مع معطيات العصر الحديث في الجوانب الإعلامية والتكنولوجية .
* عدم كفاية الوقت المخصص لدراسة اللغات الأجنبية حيث يوافق على هذه العبارة ٧١,٤٪ .

وأما فيما يتعلق بشعور خريج قسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس بوجود نقص في الجانب العملي مقارنة بالجانب النظري فقد وافق ٨٥,٨٪ من مجموع أفراد العينة على هذه العبارة ، حيث تساوت النسبة بين الذين يوافقون بشدة والذين يوافقون ٤٢,٩٪ . فيما لا يوافق على هذه العبارة ١٠,٦٪ توزعت هذه النسبة على من لا يوافق ٣,٦٪ ، و لا يوافقون بشدة ٧٪ ، بينما كانت نسبة من لا رأي لهم ٣,٦٪ .

ويستدل من المؤشرات السابقة على أن قسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس يركز في غالبية تدريسه على المواد النظرية في مجال الإعلام مع العلم أن القسم يحتوي على استديو للتليفزيون وآخر للإذاعة . وفي المقابل لا يوجد تأهيل عملي للطلبة في مجالي الإعداد والإخراج الصحفي على الرغم من وجود معمل صحفي يفتقر إلى برامج النشر الإلكترونية ، والمعمل يحتوي على أكثر من ثلاثين جهاز حاسب آلي يستخدمه الطلاب لكتابة تقاريرهم الأكاديمية .

وفيما يتعلق بشعور خريج قسم الإعلام بوجود قصور في الوسائل التعليمية ، فقد أجابت عينة الدراسة بعدم موافقتها على هذه العبارة بنسبة ٤٦,٤٪ ، حيث لم يوافق ٣٥,٧٪ ، فيما لم يوافق على الإطلاق بنسبة ١٠,٧٪ من مجموع أفراد العينة . وامتنع عن تقديم الرأي في هذه العبارة ٢٨,٦٪ ، فيما

وافق بشدة على هذه العبارة ٣,٦٪ ، ووافق على وجود قصور في الوسائل التعليمية بنسبة ٢١,٤٪ .

وربما يمكن تفسير هذه النتائج السلبية بأن قسم الإعلام بالجامعة لم يستعن منذ إنشائه بممارسين في الحقل الإعلامي لتدريس الطلاب الجوانب الفنية والتقنية ، ولم ينتبه القائمون على القسم إلى ضرورة الاستعانة بمهنيين لديهم الخبرة العملية لإعطاء دروس عملية تساعد الخريجين على التأهيل العملي ليكون مكسبا إضافيا لما درسوه في الجوانب النظرية الأكاديمية . وتأكيدا على ذلك فقد وافق ٨٥,٧٪ من أفراد عينة الدراسة على ضرورة الاستعانة بممارسين لتدريس بعض الجوانب العملية ، حيث وافق على هذه العبارة ٣٢,١٪ ، ووافق بشدة ٥٣,٦٪ ، فيما لم يوافق على هذه العبارة شخص واحد بنسبة ٣,٦٪ ، وأجاب ثلاثة أشخاص بأن لا رأي لهم بنسبة ١٠,٧٪ .

جدول رقم (١٣)

القضايا التي تتعلق بخريج قسم الإعلام

حاليا في المؤسسات الإعلامية أثناء الدراسة والواقع العملي

حالياً في المؤسسات الإعلامية

القضايا	هناك فجوة بين الدراسة والواقع العملي		النقص في الجانب العملي		قصور في الوسائل التعليمية		الاستعانة بممارسين في الحقل الإعلامي	
رأي المبحوثين	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪
يوافق بشدة	٧	٢٥	١٢	٤٢,٩	١	٣,٦	٩	٣٢,١
يوافق	٩	٣٢,١	١٢	٤٢,٩	٦	٢١,٤	١٥	٥٣,٦
لا يوافق	٤	١٤,٣	١	٣,٦	١٠	٣٥,٧	١	٣,٦
لا يوافق على الإطلاق	٣	١٠,٧	٢	٧	٣	١٠,٧	-	-
لا رأي له	٥	١٧,٩	١	٣,٦	٨	٢٨,٦	٣	١٠,٧
المجموع	٢٨	١٠٠	٢٨	١٠٠	٢٨	١٠٠	٢٨	١٠٠

٣- اتجاهات عينة الدراسة حول بعض المواد التي درسوها

يتضح من الجدول رقم (١٤) والخاص بمعرفة آراء عينة الدراسة بشأن اتجاهات خريجي قسم الإعلام العاملين في الإعلام الرسمي تجاه بعض المواد التي درسوها أن هناك أكثر من ثلثي عينة الدراسة يؤكدون على ضرورة اقتصار دراسة المواد العامة على عام واحد ، وقد وافق على هذه النسبة ٧١,٤٪ من عينة الدراسة ، حيث يوافق بشدة على ذلك ٣٥,٧٪ ، ويوافق ٣٥,٧٪ ، بينما لا يوافق على ذلك ١٧,٩٪ ، فيما أجاب ثلاثة مبحوثين من عينة الدراسة بأن لا رأي لهم بنسبة ١٠,٧٪ .

وتشير بيانات الجدول أيضا إلى أن ٨٩,٢٪ من عينة الدراسة يرون وجود مواد يدرسونها وتحتاج إلى الحذف حيث يوافق بشدة على ذلك ٥٧,١٪ ، ويوافق ٣٢,٥٪ مقابل ٧,١٪ لا يوافقون وشخص واحد بنسبة ٣,٧٪ لا رأي له . وتعكس هذه النتائج شعور خريجي قسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس بضرورة تطوير المواد الدراسية بحيث تنصب عملية الإعداد الأكاديمي على المفيد لهم ثقافيا وعمليا . فيما أجمعت عينة الدراسة على أن محتوى مادة اللغة العربية يفيد الإعلامي في مجال العمل بالمؤسسة الإعلامية ، حيث يوافق بشدة ٧٨,٦٪ ، ويوافق ٢١,٤٪ .

أما فيما يتعلق بعدم كفاية الوقت المخصص لدراسة اللغات الأجنبية ، فقد أوضحت عينة الدراسة أن ٧١,٤٪ منها يوافقون على أن هناك نقصا في هذا الجانب ، وعليه فإن قسم الإعلام مطالب بتعديل خطة القسم وإدخال مادة اللغة الإنجليزية ضمن المواد المقررة على الطالب ، وليكن تدريس هذه المواد في السنة الأولى بالتعاون مع مركز اللغات بالجامعة . ولم يوافق على هذه العبارة ١٧,٩٪ ، وثلاثة أشخاص لا رأي لهم بنسبة ١٠,٧٪ .

جدول رقم (١٤)

اتجاهات خريجي قسم الإعلام العاملين في المؤسسات الإعلامية نحو بعض المواد التي درسوها

القضايا	دراسة المواد العامة والواقع العملي		مواد تحتاج الحذف العملي		محتوى مادة اللغة العربية التعليمية		الوقت المخصص لدراسة اللغات الأجنبية الحقل الإعلامي	
رأي المبحوثين	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪
يوافق بشدة	١٠	٣٥,٧	١٦	٥٧,١	٢٢	٧٨,٦	١٠	٣٥,٧
يوافق	١٠	٣٥,٧	٩	٣٢,١	٦	٢١,٤	١٠	٣٥,٧
لا يوافق	٥	١٧,٩	٢	٧,١	-	-	٥	١٧,٩
لا يوافق على الإطلاق	-	-	-	-	-	-	-	-
لا رأي له	٣	١٠,٧	١	٣,٧	-	-	٣	١٠,٧
المجموع	٢٨	١٠٠	٢٨	١٠٠	٢٨	١٠٠	٢٨	١٠٠

٤- اتجاهات عينة الدراسة حول بعض القضايا التي تتعلق بتأهيلهم ونظام الامتحانات

أبرزت بيانات جدول رقم (١٥) بشأن اتجاهات خريجي قسم الإعلام العاملين في الإعلام الرسمي تجاه القضايا التي تتعلق بتأهيلهم ونظام الامتحانات أنه فيما يتعلق بالمواد التي تؤهل لتخريج إعلامي ناجح ، أن الذين يوافقون على هذه العبارة بلغت نسبتهم ٧١,٤٪ ، حيث يوافق بشدة ١٧,٨٪ ، ويوافق ٥٣,٦٪ ، فيما رفض ٢٨,٦٪ العبارة القائلة بأن المواد التي درسها خريج قسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس تؤهله ليكون إعلاميا ناجحا .

وفيما يتعلق بنظام الامتحانات التي يعتمدها قسم الإعلام ، فقد أشارت عينة الدراسة إلى أنهم يؤيدون تطوير نظام الامتحانات ، حيث كانت نسبة

الموافقة ٦٠,٧٪ ، والمعارضة ٣٥,٧٪ ، (لم يوافق على ذلك ٢٥٪ ، فيما لا يوافق على الإطلاق ١٠,٧٪) . ويعتمد نظام الامتحانات أساسا على الدرجات التقديرية التي يحصل عليها الطالب في المواد النظرية والتي تقيس بصفة أساسية قدرات الحفظ والتذكر ، وفي ظل التطورات التقنية في مجال الإعلام والاتصال لا بد من تطوير الامتحانات بحيث تركز على قياس قدرات أخرى لتفكير طالب الإعلام كالنقد والتحليل والابتكار .

جدول (رقم ١٥)

اتجاهات خريجي قسم الإعلام العاملين في الإعلام الرسمي حول بعض القضايا التي تتعلق بتأهيلهم ونظام الامتحانات

القضايا	المواد تؤهل لتخريج إعلامي ناجح		نظام الامتحانات	
رأي المبحوثين	ك	٪	ك	٪
يوافق بشدة	٥	١٧,٨	–	–
يوافق	١٥	٥٣,٦	١٧	٦٠,٧
لا يوافق	٨	٢٨,٦	٧	٢٥
لا يوافق على الإطلاق	–	–	٣	١٠,٧
لا رأي له	–	–	١	٣,٦
المجموع	٢٨	١٠٠	٢٨	١٠٠

٥- اتجاهات عينة الدراسة حول توافر المراجع الضرورية في كل من مكتبة الكلية والمكتبة الرئيسية بجامعة السلطان قابوس

يبدو من بيانات الجدول رقم (١٦) بشأن اتجاهات خريجي قسم الإعلام العاملين في الإعلام الرسمي بشأن توافر الوسائل التعليمية بالجامعة أن هناك اتفاقا تاما على أن كلا من مكتبة كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والمكتبة الرئيسية بجامعة السلطان قابوس تتوافر فيهما المراجع الضرورية العربية والأجنبية . فقد أشار ٦٤,٣٪ من أفراد عينة الدراسة إلى أن مكتبة الكلية تتوافر

فيها المراجع العربية والأجنبية ، ووافق بشدة على هذه العبارة ٧,١٪ ، فيما وافق فقط على ذلك ٥٧,٢٪ . ولم يوافق بعض أفراد العينة على أن مكتبة الكلية لا تتوافر فيها المراجع الضرورية بنسبة ٢٥٪ ، حيث لم يوافق على هذه العبارة ٢١,٤٪ ، ولم يوافق على الإطلاق ٣,٦٪ ، وأجاب ثلاثة أشخاص بأن لا رأي لهم ١٠,٧٪ .

وأجمع ٨٥,٧٪ من المبحوثين على أن المكتبة الرئيسية بجامعة السلطان قابوس تحتوي على المراجع الضرورية ، حيث وافق بشدة على هذه العبارة ٥٠٪ ، فيما يوافق على ذلك ٣٥,٧٪ . ورفض ١٠,٧٪ الموافقة على العبارة القائلة بأن المكتبة الرئيسية بالجامعة تحتوي على المراجع الضرورية ، حيث لا يوافق ٧,١٪ ، ولا يوافق على الإطلاق ٣,٦٪ ، وهناك شخص واحد بنسبة ٣,٦٪ أجاب بأن لا رأي له في تلك العبارة . ويستدل من بيانات الجدول أن غالبية أفراد العينة يوافقون على توافر المراجع الضرورية بالمكتبة الرئيسية بالجامعة ومكتبة الكلية .

جدول (رقم ١٦)

اتجاهات خريجي قسم الإعلام العاملين في الإعلام الرسمي حول توافر المراجع الضرورية في كل من مكتبة الكلية والمكتبة الرئيسية بجامعة السلطان قابوس

القضايا	مكتبة الكلية والمراجع الضرورية		مكتبة الجامعة والمراجع الضرورية	
رأي المبحوثين	ك	٪	ك	٪
يوافق بشدة	٢	٧,١	١٤	٥٠
يوافق	١٦	٥٧,٢	١٠	٣٥,٧
لا يوافق	٦	٢١,٤	٢	٧,١
لا يوافق على الإطلاق	١	٣,٦	١	٣,٦
لا رأي له	٣	١٠,٧	١	٣,٦
المجموع	٢٨	١٠٠	٢٨	١٠٠

٦- اتجاهات خريجي قسم الإعلام العاملين في الإعلام الرسمي حول القائمين بالتدريس

أجمعت عينة الدراسة على أن بعض القائمين بالتدريس في قسم الإعلام بكلية الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة السلطان قابوس لا يستطيعون توصيل المعلومات للطلاب ولا يتمتعون بمهارات الاتصال المطلوبة ، إذ يوافق بشدة على هذه العبارة ٧٥٪ ، ويوافق على ذلك ٢٥٪ . وفي هذا الصدد يجب إعادة النظر في أسلوب التدريس ليتم من خلالها تقييم إنتاجية أعضاء هيئة التدريس في قسم الإعلام كما وكيفا من قبل مجلس القسم ، وأن يشكل هذا المعيار أحد معايير تقييم عضو هيئة التدريس عند الترقية لدرجة أعلى . والجدير بالذكر أنه لا بد من الاستعداد الكافي ودراسة جميع المتغيرات المحيطة بإعداد الأكاديمي العماني بجامعة السلطان قابوس أكان معيدا أم اختير من خارج القسم ، وإيجاد برنامج عماني مدروس لإعداد المدرس الجامعي وإكسابه مهارات التدريس والتقييم .

وفيما يتعلق بأفضلية أهمية جمع القائم بالتدريس بين الجانبين النظري والعملي فقد أشارت عينة الدراسة إلى أن ٩٦,٣٪ يوافقون على هذه العبارة (٦٤,٣٪ يوافقون بشدة ، و٣٢,١٪ يوافقون على ذلك) ورفض شخص واحد بنسبة ٣,٦٪ على العبارة القائلة بأن يجمع القائم بالتدريس بين الجانبين النظري والعملي .

وبالنسبة لأسلوب الأساتذة في التدريس فقد لوحظ أن ٦٠,٦٪ من أفراد عينة الدراسة يؤيدون تلك العبارة ، حيث يوافق بشدة ٣,٥٪ ، و٥٧,١٪ يوافقون على تلك العبارة . ويرى الباحث أن أسلوب التلقين لا يمكن أن يؤهل إعلاميا ناجحا ، فالساحة الإعلامية مليئة بالمنافسة القوية بين الإعلاميين العاملين بها ، ولهذا إذا لم يتنبه قسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس إلى تغيير منهجية التدريس عن طريق التركيز على بناء شخصية الطالب والعمل على صقل مواهبه ، وجعل الطالب يعيش المتغيرات السياسية والاقتصادية التي تشهدها

الساحة الدولية فسوف ينعكس ذلك بالسلب على مستوى الخريجين وأدائهم في المؤسسات الإعلامية بعد ذلك . وقد رفض العبارة القائلة بأن أسلوب الأساتذة في التدريس يعتمد على التلقين ٣٢٪ ، حيث لا يوافق على ذلك ٢٨,٥٪ ، ولا يوافق على الإطلاق ٣,٥٪ . فيما أجاب شخصان بأن لا رأي لهم بنسبة ٧,٤٪ .

ومن خلال المؤشرات الإحصائية يبدو أن هناك تناقضا أبداه خريجو قسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس حول تشجيع الأساتذة على التفكير ، وحول غرس الأساتذة روح الابتكار والإبداع للطالب الخريج . ففي مسألة التشجيع على التفكير فقد رفض هذه العبارة ٥٣,٦٪ من أفراد عينة الدراسة ، حيث لم يوافق عليها ٥٠٪ ، ولم يوافق على الإطلاق ٣,٦٪ . ووافق على العبارة القائلة بأن الأساتذة يشجعون على التفكير ٤٦,٤٪ ، وقد توزعت بين من يوافقون بشده ٧,١٪ ، ويوافقون على هذه العبارة ٣٩,٣٪ . وبالنسبة لدور الأساتذة في غرس روح الابتكار والإبداع فقد وافق على هذه العبارة ٥٠٪ من أفراد عينة الدراسة ، توزعت نسبتها بين من يوافق بشدة ٧,١٪ ، ويوافق على ذلك ٤٢,٩٪ ، ورفض ٣٩,٣٪ الموافقة على العبارة القائلة بأن الأساتذة يغرسون في الخريج روح الابتكار والإبداع ، حيث لم يوافق ٢٥٪ ولم يوافق على الإطلاق ١٤,٣٪ . فيما أجاب ثلاثة أشخاص بأن لا رأي لهم بنسبة ١٠,٧٪ . ويستدل من تحليل هذه البيانات أن هناك انقساما في رأي الخريجين بشأن علاقة الطالب بالأستاذ في الجامعة . ففي حين وافق ٤٦,٤٪ على دور الأساتذة في التشجيع على التفكير ، رفض ٥٠٪ هذا الدور .

جدول (رقم ١٧)

اتجاهات خريجي قسم الإعلام العاملين في الإعلام الرسمي حول القائمين بالتدريس

القضايا	بعض القائمين بالتدريس وتوصيل المعلومات		القائم بالتدريس والجمع بين الجانبين النظري والعملي		الأساتذة وأسلوب التدريس يعتمد على التلقين		الأساتذة يشجعون على التفكير		الأساتذة يغرسون في الخريج روح الابتكار	
رأي المبحوثين	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪
يوافق بشدة	٢١	٧٥	١٨	٦٤,٣	١	٣,٥	٢	٧,١	٢	٧,١
يوافق	٧	٢٥	٩	٣٢,١	١٦	٥٧,١	١١	٣٩,٣	١٢	٤٢,٩
لا يوافق	-	-	-	-	٨	٢٨,٥	١٤	٥٠	٧	٢٥
لا يوافق على الإطلاق	-	-	١	٣,٦	١	٣,٥	١	٣,٦	٤	١٤,٣
لا رأي له	-	-	-	-	٢	٧,٤	-	-	٣	١٠,٧
المجموع	٢٨	١٠٠	٢٨	١٠٠	٢٨	١٠٠	٢٨	١٠٠	٢٨	١٠٠

٧- اتجاهات عينة الدراسة حول المواد التي درسوها وأفادتهم في عملهم الحالي

يتضح من بيانات الجدول رقم (١٨) بشأن آراء الخريجين حول المواد التي درسوها أن ٧٠,٤٪ من خريجي قسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس العاملين في المؤسسات الإعلامية الرسمية يرون أن هناك مواد درسوها أفادتهم في عملهم الحالي .

وتبين أن أهم هذه المواد التي درسوها وأفادتهم في أعمالهم الحالية مرتبة نسبة إلى جملة من أجابوا بذلك وعددهم ٢٠ شخصا والمواد التي استفاد منها خريج قسم الإعلام مرتبة حسب أهميتها :

أ-المواد التطبيقية وتشمل

١- التحرير الصحفي
٢- الإخراج الصحفي
٣- الصحافة المتخصصة
٤- الإعلان
٥- البرامج التعليمية والتسجيلية
٦- مشروع التخرج
٧- الكتابة للراديو والتليفزيون
٨-العلاقات العامة
٩- الأخبار والبرامج الإخبارية
١٠-التدريب العملي
١١- التصوير التليفزيوني والمونتاج

ب-أهمية اللغة

١-الترجمة
٢-مادة إعلامية بلغة أجنبية

ج-الجوانب النظرية

١-النظريات الإعلامية
٢-الإعلام والتنمية
٣-إدارة المؤسسات الإعلامية
٤-الإعلام الإسلامي
٥-الإعلام الدولي
٦- علم النفس الاجتماعي
٧-الرأي العام

ويستدل من آراء المبحوثين على أن المواد التي أكدوا أهميتها في عملهم توزعت على مجالات الصحافة والإذاعة والتليفزيون والعلاقات العامة . وقد خلت قائمة المواد التي ذكروها من مواد متطلبات الكلية أو الجامعة على الرغم من أهميتها في تكوينهم الثقافي ولعل ذلك يرجع إلى طبيعة بعض المواد المطروحة التي لا يتم تدريسها بطريقة ملائمة .

جدول (رقم ١٨)

المواد التي أفادت الخريج

الفئات	التكرارات	٪
نعم	٢٠	٧١,٤
لا	٨	٢٨,٦
المجموع	٢٨	١٠٠

٨- : اتجاهات عينة الدراسة حول الإفادة من المواد التي درسوها ولكنها تحتاج إلى مزيد من التطوير

يبدو من بيانات الجدول رقم (١٩) بشأن آراء الخريجين العاملين في الإعلام الرسمي نحو تطوير المواد التي درسوها أن ٥٧,١٪ من أفراد العينة يرون أنها مفيدة ولكنها تحتاج إلى تطوير ، وتعكس هذه الإجابات أن المواد الدراسية كأسماء أو مجالات ذات أهمية ومفيدة في إعداد الكوادر الإعلامية ، إلا أنها تحتاج إلى تطوير في مضمونها بما يجعلها مفيدة على المستوى العملي . في المقابل نجد أن ٤٢,٩٪ من المبحوثين يرون أن المواد التي درسوها مفيدة ولا تحتاج إلى تطوير ، وبالتالي فهي مؤهلة لتخريج إعلامي ناجح يستطيع أن يتحمل أعباء المسؤولية في الوظيفة التي يمارسها حاليا . وقد أشار خريجو قسم الإعلام إلى أن المواد التي درسوها وتحتاج إلى تطوير هي على النحو الآتي :

١- زيادة عدد ساعات التدريس في مادة الترجمة .

٢- عدم الاكتفاء بالجانب النظري في تدريس مادة الإعلان والاهتمام بالجانب العملي .

٣- إتاحة الفرصة للطلاب للمشاركة في التدريب على تحرير الأخبار .

٤- زيادة عدد ساعات تدريس اللغة الإنجليزية .

٥- التركيز على اللغة الإنجليزية في تدريس مادة إعلامية بلغة أجنبية .

٦- التركيز على البرامج الحديثة في مجال الكمبيوتر .

٧- فصل الكتابة للراديو والتليفزيون عن العمل الفني مع مراعاة ضرورة التدريب المكثف لكل منهما .

٨- تكثيف ساعات تدرس مواد إدارة المؤسسات الإعلامية والكتابة للراديو والتليفزيون ونظريات الإعلام والإعلام الخليجي ، مع مراعاة تغيير أسلوب دراستها .

٩- ضرورة الاهتمام بالمواد الإعلانية مثل تدريس مادة فن الإعلان والتسويق والترويج .

١٠- الاهتمام باللغة العربية كما هو الحال بالنسبة للغة الإنجليزية .

١١- التركيز على كتابة السيناريو في مادة البرامج الإذاعية والتليفزيونية .

١٢- تطوير مضمون دراسة مادة الإعلام الدولي بما يتناسب وروح العصر .

١٣- الاهتمام بتكنولوجيا الإذاعة التليفزيون في مساقات الإذاعة والتليفزيون .

ويستدل من آراء الخريجين على أن مجالات التطوير تركزت على المواد العملية بشكل واضح ، مما يؤكد حاجة القسم إلى الاهتمام بالجوانب التطبيقية في دارسة الإعلام جنبا إلى جنب مع الاهتمام بالجوانب النظرية .

جدول (رقم ١٩)

رأي الخريجين بمدى الاستفادة من المواد التي درسوها .

الفئات	التكرارات	٪
نعم	١٦	٥٧,١
لا	١٢	٤٢,٩
المجموع	٢٨	١٠٠

خامسا :آراء خريجي قسم الإعلام في التدريب العملي أثناء الدراسة :

١- اتجاهات عينة الدراسة نحو التدريب العملي

وفيما يتعلق بحصول الخريج على تدريب عملي كاف نظمه قسم الإعلام

بجامعة السلطان قابوس أثناء سنوات الدراسة يرى ٥٣,٦٪ من أفراد عينة الدراسة أنهم لم يحصلوا على التدريب الكافي في مجال اهتماماتهم ، وبالتالي فهم يجدون صعوبة عند التحاقهم في الوظائف الإعلامية التي تركز على الجانب التطبيقي . ومن خلال ذلك فإن التدريب الإعلامي يفرض واقعا جديدا يقود إلى التخصص الدقيق والتدريب الجيد في تخصصات ثلاثة هي الصحافة والإذاعة والتليفزيون والعلاقات العامة . وعليه فإن قسم الإعلام معني بتخصيص ساعات محددة للتدريب العملي في التخصصات الثلاثة . أما النسبة الباقية والتي بلغت ٤٦,٤٪ فقد رأت برنامج التدريب العملي الذي حصلوا عليه كافيا .

جدول (رقم ٢٠)

رأي الخريج في مدى كفاية التدريب العملي الذي ينظمه قسم الإعلام

الفئات	التكرارات	٪
نعم	١٣	٤٦,٤
لا	١٥	٥٣,٦
المجموع	٢٨	١٠٠

٢- اتجاهات عينة الدراسة نحو مكان التدريب

يتضح من بيانات الجدول رقم (٢١) ، والخاص باتجاهات عينة الدراسة نحو مكان التدريب العملي الذي تلقوه أثناء الدراسة ، حصول كل من وكالة الأنباء العمانية والصحف العمانية على نسب متساوية حيث بلغت في المؤسستين ٢٤,٤٪ ، من جملة من تلقوا تدريبا عمليا في المؤسسات الإعلامية ، وهذا يعطي دلالة على أن الخريج يجد فرصة كبيرة في المؤسسات التي تعتمد في المقام الأول على تحرير الأخبار والتغطيات الإخبارية وبالتالي يتم نشر أعماله في الصحافة المحلية بعد مرورها على سكرتارية التحرير في كلتا المؤسستين . ويتضح أيضا أن هناك ضعفا في التدريب العملي الإذاعي والتليفزيوني لخريج قسم

الإعلام حيث تشير نسبة من أجابوا بأنهم تلقوا تدريبا عمليا في إذاعة وتليفزيون سلطنة عمان ٢٦,٨٪ فقط من مجموع نسبة اهتمام العينة ، ويرجع ذلك إلى أن العمل الإذاعي والتليفزيوني يحتاج إلى ساعات عمل طويلة لإعداد المواد البرامجية ، بسبب تعدد مراحل عملية الإنتاج التليفزيوني حيث تتطلب كتابة النص ، والتقديم ، والإخراج ، والمونتاج . ولهذا قد لا يجد الخريج فرصته في المشاركة . هذا من جانب ، ومن جانب آخر قد يجد طلاب قسم الإعلام عدم الاهتمام من قبل المشرفين على التدريب في الإذاعة التليفزيون بعكس ما هو حاصل في المؤسسات الصحفية ووكالة الأنباء العمانية التي تقوم عادة بإرسال المتدرب من القسم في مهام التغطية الصحفية للأحداث المحلية . وقد يعود تفاوت النسب في مواقع التدريب إلى عدم وجود تخصصات فرعية في قسم الإعلام ، وبالتالي نجد أن خريج قسم الإعلام يمر على المؤسسات الإعلامية كافة لتلقي التدريب العملي حتى وإن لم تكن ضمن اهتمامات الخريج الرئيسية .

وعلى الرغم من أن العملية التدريبية تسير في العديد من المجتمعات المتقدمة وفق استراتيجية مدروسة تحدد مجالات التدريب ، ففي فرنسا(١٢)- على سبيل المثال - تحدد المؤسسات الاذاعية والاعلامية احتياجاتها من الخريجين الاكاديميين وتخصصاتهم وبناء على ذلك تتحدد المجالات التدريبية لهم أثناء الدراسة ، وهذا ما يجب اتباعه عند رسم سياسات التدريب في المرحلة القادمة . وقد حصل خريج قسم الإعلام على تدريب عملي داخل استديوهات الجامعة بنسبة ٢٢٪ من جملة من حصلوا على تدريب عملي أثناء سنوات الدراسة . وعادة ما يركز التدريب في استديوهات القسم على تحضير الطالب مهنيا من خلال التدريب في المجال الإذاعي والتليفزيوني على الإخراج والتصوير والمونتاج وتقديم البرامج وإجراء المقابلات الإذاعية التليفزيونية مع الأساتذة والطلاب في مختلف القضايا داخل أسوار جامعة السلطان قابوس ، ويظل هذا التدريب محصورا ضمن أطر الحياة الجامعية ، ومدى تعاون الجميع مع

طلاب قسم الإعلام في التدريب العملي .

جدول (رقم ٢١)

مكان التدريب العملي الذي تلقاه الخريج أثناء دراسته .

الفئات	التكرارات	٪
في تليفزيون سلطنة عمان	٥	١٢,٢
في إذاعة سلطنة عمان	٦	١٤,٦
في وكالة الأنباء العمانية	١٠	٢٤,٤
في الصحف العمانية	١٠	٢٤,٤
في استوديوهات الجامعة	٩	٢٢
أخرى لم تذكر	١	٢,٤
المجموع	٤١	١٠٠

٣- توزيع الخريجين على مجالات التدريب

يبدو من الجدول رقم (٢٢) سيطرة التحرير الإخباري على مجالات تدريب الخريجين حيث تلقى ٤١,٩٪ من خريجي القسم تدريبا عمليا في وكالة الأنباء العمانية ودور الصحف ، مما جعل النسبة الأكبر تتدرب على تحرير الخبر مقابل ٣٨,٨٪ تلقوا تدريبا في إذاعة وتليفزيون سلطنة عمان في مجالات إعداد وتقديم البرامج وإخراجها ، وتضاءلت نسبة الذين تلقوا تدريبا عمليا في مجالات الترجمة ، وتصميم الإعلانات حيث بلغت النسبة٦,٥٪ في كل منهما ، وإعداد المطبوعات ٣,٢٪ . فعادة ما يكلف القسم الطلاب المتوقع تخرجهم بالذهاب إلى مواقع التدريب في المؤسسات الإعلامية وفي ضوء ذلك يتم التنسيق بين المشرف على التدريب من قسم الإعلام والجهة التي يتدرب بها الطالب الخريج .

جدول (رقم ٢٢)

مجالات تدريب الخريج في المؤسسات الإعلامية

الفئات	التكرارات	٪
إعداد البرامج	٦	١٩,٣
التحرير الإخباري	١٣	٤١,٩
تقديم البرامج	٤	١٢,٩
الإخراج	٢	٦,٥
الترجمة	٢	٦,٥
تخطيط الحملات	-	-
تصميم الإعلانات	٢	٦,٥
إعداد مواد مطبوعة	١	٣,٢
أخرى تذكر	١	٣,٢
المجموع	٣١	١٠٠

٤- اتجاهات عينة الدراسة حول جدوى التدريب العملي

يبرز من بيانات جدول رقم (٢٣) والخاص باتجاهات عينة الدراسة نحو جدوى التدريب العملي أثناء الدراسة أن هناك استفادة ولكن محدودة ، حيث كانت نسبة من ذكروا ذلك ٨٣,٤٪ من مجموع أفراد العينة ، فيما يرى شخص واحد وبنسبة ٨,٣٪ أنه استفاد من التدريب العملي بطريقة مرضية ، وأجاب شخص واحد وبنسبة ٨,٣٪ أنه لم يستفد من التدريب العملي الذي حصل عليه أثناء فترة الدراسة . وقد أثبتت الإحصائيات أن هذا النوع من التدريب غير مجد خاصة وأن العمل الإعلامي يحتاج إلى استراتيجية مدروسة للتدريب العملي تقوم على أساس من التشاور بين القسم والمؤسسات الإعلامية بما يحقق تلبية احتياجات القطاعات المختلفة للإعلام في الدولة .

جدول (رقم ٢٣)

مدى إفادة التدريب الذي حصل عليه الخريج أثناء فترة الدراسة

الفئات	التكرارات	٪
نعم	١	٨,٣
إلى حد ما	١٠	٨٣,٤
لا	١	٨,٣
المجموع	١٢	١٠٠

سادسا : اقتراحات الخريجين لتطوير قسم الإعلام :

١- رأي الخريجين في الطريقة الملائمة للالتحاق بقسم الإعلام

يرى خريجو قسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس أن أفضل طريقة للالتحاق بالقسم تتمثل في تحديد مواد مؤهلة للالتحاق به ، إذ بلغت نسبة من أجابوا بأنهم يفضلون أسلوب تحديد المواد ٢٧,٩٪ ، فيما يفضل المقابلة الشخصية ٢٣,٣٪ ، والأسلوب الحالي الذي يتبعه القسم في قبول الطلاب والمقابلة الشخصية ١٦,٣٪ ، وتساوت نسبة من يفضلون طريقة الالتحاق بالقسم في الأسلوب الحالي وإجراء اختبار تحريري ١٣,٩٪ ، فيما يفضل شخصان طرقا أخرى بنسبة ٤,٧٪ ، تمثلت في الميول الواضحة للطالب مع ضرورة توفر المقومات الشخصية والثقافية واجتيازه للاختبار التحريري والمقابلة إضافة إلى معدل الطالب .

جدول (رقم ٢٤)

طريقة التحاق الطالب بقسم الإعلام

الفئات	التكرارات	٪
الأسلوب الحالي	٦	١٣,٩
مقابلة شخصية	١٠	٢٣,٣
الأسلوب الحالي ومقابلة شخصية	٧	١٦,٣
تحديد مواد مؤهلة للالتحاق بالقسم	١٢	٢٧,٩
إجراء اختبار تحريري	٦	١٣,٩
أخرى تذكر	٢	٤,٧
المجموع	٤٣	١٠٠

٢- طرق إعداد الكوادر الإعلامية

من الواضح أن خريجي قسم الإعلام قد اكتسبوا مهارات عملية منذ التحاقهم بالوظائف الإعلامية ، وقد تشكلت لديهم آراء حول أنسب الطرق لإعداد الكوادر العمانية المستقبلية التي ما زالت تتلقى تعليمها الجامعي في قسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس . وتشير نتائج عينة الدراسة من ذكروا الطرق لإعداد الكوادر الإعلامية العمانية المستقبلية طبقا لما أحرزته من تكرارات هي :

١- اختيار الطالب لبعض المواد للتخصص الدقيق ١٦,٥٪ : حيث يتاح للطالب اختيار تخصص دقيق ، فما هو معمول به في قسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس يقتصر على تأهيل خريج القسم في تخصص الإعلام العام . والمؤسسات الإعلامية في عصر التقنية تحتاج إلى مفهوم التخصصية في كوادرها الإعلامية ، فما كان يحدث في السابق بالنسبة لخريج القسم الذي كان يحصل على وظيفة إعلامية أيا كانت ومن ثم يتم تدريبه وتأهيله على رأس العمل ، أصبح اليوم غير مقبول لدى العديد من المؤسسات

الإعلامية . ولهذا على قسم الإعلام إيجاد البدائل العملية لتخريج الطالب وفق متطلبات العصر الحديث . وحسب علم الباحث فإن جميع كليات الإعلام في الوطن العربي التي لديها التخصصات الدقيقة تتيح للطالب اختيار الأنسب له طوال فترة دراسته .

٢- تدعيم هيئة التدريس بالممارسين العمليين ذوي الخبرة ١٥,١٪ : لا يستعين قسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس بممارسين عمليين من ذوي الخبرة في المجالات الإعلامية كما يجري في العديد في أقسام الإعلام ، ويقتصر القسم في تدريس الطلاب على الهيئة التدريسية مع العلم بأنه يمكن الاستفادة من ذوي الخبرة من الممارسين في المجالات الإعلامية المختلفة .

٣- الاستعانة بالخبرات الأجنبية في تدريس المواد الإعلامية باللغة الأجنبية ١٣,٧٪ : والمقصود بالخبرات الأجنبية هي الخبرات المتخصصة في هذا المجال من الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأميركية على غرار تجارب بعض كليات الإعلام في الوطن العربي ، حيث يشارك في مرحلة من مراحل تكوينها أساتذة أميركيون وأوروبيون في تدريس المادة الإعلامية بلغة أجنبية .

٤- تدعيم أسلوب المحاضرة بالمناقشات ١٣,٧٪ : حيث يطالب خريج قسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس بتدعيم أسلوب المحاضرة بالمناقشات بحكم أنها تغرس فيهم روح المشاركة والتواصل مع أستاذ المادة ، إضافة إلى أن هذا الأسلوب يساعد الطالب على بناء شخصية الكادر الإعلامي عند التحاقه بالمؤسسة الإعلامية .

٥- التركيز على الجوانب العملية ١٠,٨٪ : على الرغم من وجود التدريب العملي في المؤسسات الإعلامية والمقررات التطبيقية إلا أنه لم يبتدئ العمل بالتدريب الصيفي المستقل إلا منذ سنوات قريبة . ويبدي بعض أفراد العينة ١٠,٨٪ ، وبعضهم من الذين يتدربون في المؤسسات الإعلامية خلال الفترة الصيفية ، أنهم يقضون فترات طويلة دون أن يسند

إليهم أية مهام عملية ، وهي حسب وصفهم زيارات ومجاملات فقط . وهذا يعود إلا أن المؤسسات الإعلامية لم تأخذ موضوع التدريب الصيفي بالجدية المناسبة خصوصا أن القائمين عليها لم يلتزموا بتعيين هؤلاء كما هي التجربة الفرنسية مثلا .

٦- إعداد مشروع للتخرج ١٠,٨٪ : بحيث يكون هذا المشروع إحدى المواد التي تحدد النجاح والرسوب من ناحية ، والاستفادة من تجارب كليات الإعلام في الجامعات العربية من ناحية أخرى . وعلى ضوء ذلك يعقد قسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس مهرجانا سنويا لمشروعات تخرج لطلابه وتتكون لجنة التحكيم من الممارسين العاملين في المؤسسات الإعلامية بالسلطنة .

٧- استخدام الوسائل التعليمية المساعدة ١٠,١٪ : فقد أشار المبحوثون إلى وجود نقص في هذا المجال وطالبوا بالاهتمام بتوفير الوسائل التعليمية المساعدة بالإضافة إلى ضرورة تدعيم مكتبة الكلية بالمراجع الضرورية في المجالات الإعلامية وغيرها من المجالات التي لها علاقة مباشرة بالإعلام .

٨- وثمة مقترحات أخرى منها : زيارات تعريفية إلى بعض المؤسسات الإعلامية خارج السلطنة ، والتركيز على بناء الشخصية الإعلامية القادرة على المواجهة والحوار ، والخروج من المحاذير التي يضعها الإعلام الرسمي في أداء رسالته الإعلامية .

وقد خلصت نتائج الدراسة الميدانية إلى بعض المقترحات التي تتعلق بتطوير الدراسة بقسم الإعلام ، ويمكن تقسيمها على النحو التالي :

أ- التدريب العملي داخل القسم :

١- كيفية إعداد البرامج وصياغة وتحرير الأخبار بشكل مكثف .

٢- كيفية التعامل مع الميكروفون أو الكاميرا .

٣- زيادة المواد المتعلقة بإعداد البرامج .

٤- وجود استوديوهات مشابهة لاستوديوهات التليفزيون والإذاعة وكذلك

الحال في المعمل الصحفي لتحرير الأخبار وإخراجها .

٥- إدارة البرامج الحوارية .

ب-التدريب الميداني في المؤسسات الإعلامية :

١- زيادة الوقت المخصص للجانب العملي .

٢- الاختلاط بالكادر الإعلامي لمدة زمنية لاكتساب الخبرة العملية .

ج-الكتابة الإعلامية :

١- كتابة التقارير التي يكلف بها الطلاب بلغة عربية سليمة .

٢- التدريب على الكتابة (البرامج والمواد الإخبارية) .

٣- كتابة وتغطية الأخبار والأحداث اليومية .

٤- ضرورة تعليم الطلاب الكتابة الإعلامية .

د-المقررات :

١- التوسع في دراسة مواد العلاقات العامة والرأي العام وطرق قياسه .

٢- مادة فن الإلقاء .

٣- تخصيص مواد خاصة بالجانب الفني (الإخراج والتعامل مع الأجهزة) .

٤- مجال التسويق الإعلامي والإعلانات .

٥- المزيد من الاهتمام بتدريس أساليب إدارة المؤسسات الإعلامية .

٦- الإخراج الإعلامي والصحفي .

٧- نظريات الإعلام المعاصرة مع دراسة أدبيات الإعلام الغربي المعاصر .

٨- الاهتمام بالمواد العملية أكثر من النظرية ، منها عمليات التنفيذ والإخراج والتصوير التليفزيوني .

٩- تركيز الطلاب خلال سنوات الدراسة على تخصص معين من بين

تخصصات الإعلام .

١٠- دراسة مادة المونتاج والتصوير التليفزيوني .

١١- الاهتمام بدراسة مفاهيم الاقتصاد والعلوم السياسية .

١٢- الاهتمام بدراسة علم النفس السيكولوجي .

١٣- دراسة قانون المطبوعات والنشر وقوانين دول الخليج وبعض الدول العربية .

١٤- دراسة القنوات الفضائية .

١٥- الاهتمام بدراسة تخطيط الحملات الإعلانية والتصميم .

هـ-أعضاء هيئة التدريس :

- ضرورة تدعيم هيئة التدريس بالممارسين الإعلاميين من ذوي الخبرة في مجال الإعداد والتقديم والإخراج .

و-اللغات :

١- اللغات وبالأخص العربية والإنجليزية .

٢- ضرورة تدريس بعض المواد باللغة الإنجليزية .

٣- قواعد اللغة العربية .

٤- الاهتمام بالنحو والصرف .

ز-التفاعل مع المجتمع العماني والخارجي :

١- التركيز على واقع الإعلام العماني وتحديد ميزاته وعيوبه .

٢- تفعيل العلاقة مع مؤسسات العمل الاتصالي والإعلامي المختلفة من جانب القسم في السلطنة .

٣- الإعلام العماني الماضي والحاضر .

٤- مواد تهتم بدراسة قوانين الإعلام في دول مجلس التعاون الخليجي

وكذلك الدول العربية والأجنبية .

٥- مادة حول كيفية الحصول على الخبر من مصادره حسب الواقع العماني .

٦- الإعلام والعولمة .

٧- الإعلام السياسي .

٨- الاهتمام بشخصية الإعلامي الناجح .

جدول (رقم ٢٥)

رأي الخريج في طرق إعداد الكوادر الإعلامية العمانية المستقبلية

الفئات	التكرارات	٪
استخدام الوسائل التعليمية المساعدة	١٤	١٠,١
التركيز على الجوانب العملية	١٥	١٠,٨
اختيار الطالب لبعض المواد للتخصص الدقيق	٢٣	١٦,٥
تدعيم هيئة التدريس بالممارسين العمليين ذوي الخبرة	٢١	١٥,١
إعداد مشروع للتخرج واعتباره مادة مستقبلية بالسنة النهائية	١٥	١٠,٨
الاستعانة بالخبرات الأجنبية في تدريس المواد الإعلامية باللغة الأجنبية	١٩	١٣,٧
تدعيم أسلوب المحاضرة بالمناقشات	١٩	١٣,٧
أخرى تذكر	١٣	٩,٣
المجموع	١٣٩	١٠٠

٣- اقتراحات الخريجين لتطوير قسم الإعلام

أشار خريجو قسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس العاملون في الإعلام الرسمي إلى أن لديهم مقترحات لتطوير القسم ، حيث بلغت نسبتهم ٧٥٪ ،

وتتمثل أهم هذه المقترحات فيما يلي :

أ-التدريب العملي داخل القسم :

١- التركيز على تكليف الطالب بإعداد مشروع للتخرج يختاره بنفسه .
٢- الاهتمام بتكثيف الجانب العملي في التخصصات الرئيسية .
٣- يجب تطوير استوديوهات الإذاعة والتليفزيون في الجامعة .
٤- ضرورة توافر معمل صحفي مجهز بأحدث الأجهزة .
٥- التركيز على التدريب الصيفي لطلاب القسم .
٦- ضرورة الاهتمام بالتدريب العملي على الإخراج الصحفي باستخدام الحاسب الآلي .
٧- التدريب العملي حول كيفية تصميم الإعلانات .
٨- الاهتمام بجوانب التدريب في مجالات المونتاج ، وتحرير الأخبار وإعداد التقارير الإخبارية .

ب-التدريب الميداني في المؤسسات الإعلامية :

- تقديم برامج مشتركة بين طلاب قسم الإعلام وكل من إذاعة وتليفزيون سلطنة عمان .

ج-الكتابة الإعلامية :

- حث الطلاب على الإبداع والابتكار من خلال الكتابة الصحفية والبرامج الحوارية .

د-المقررات :

١- تحديد ميول ورغبات الطلاب في التخصص من خلال التخصصات الرئيسية للإذاعة والتليفزيون ، الصحافة ، والعلاقات العامة والإعلان . ويجب أن يتنبه قسم الإعلام إلى ضرورة تفعيل خطة

التشعيب خاصة وأن سوق العمل يسعى إلى الحصول على الكوادر المتخصصة .

٢- الابتعاد عن أسلوب التلقين وتشجيع الطلاب على النقاش والحوار من خلال استضافة شخصيات إعلامية وسياسية من خارج الجامعة ، لأن ذلك يثري شخصية الإعلامي عند التحاقه بالعمل في المؤسسات الإعلامية .

٣- إدخال مادة الناشر الصحفي وبرامج التصميم لصحيفة أو مجلة بواسطة استخدام الكمبيوتر ضمن المقررات الدراسية .

٤- إدخال مواد الإعلام الاقتصادي والإعلام الرياضي والإعلام السياحي ضمن خطة قسم الإعلام .

٥- تكثيف المواد الفنية في جوانب الإخراج التليفزيوني والصحفي .

٦- دراسة تاريخ الإعلام والاتصال ونظرياته بشكل واسع ومكثف .

٧- الاهتمام بجوانب الحوار والمناقشة بدلا من الحفظ والتلقين .

٨- ضرورة تغيير نمط الاختبارات بحيث تركز على الفهم وليس التلقين .

٩- ضرورة الاهتمام بالاختبارات العملية في التصوير والإخراج والتقديم والتحرير والتصوير الضوئي .

١٠- إلغاء بعض المواد غير المفيدة .

١١- الاهتمام بتحديث المواد الإعلامية لتتماشى ومعطيات العصر الحديث .

١٢- الاكتفاء بتدريس أربعة مقررات تدريسية في الفصل الواحد كحد أقصى .

هـ-أعضاء هيئة التدريس :

١- ضرورة تدعيم القسم بالممارسين العمليين في الوظائف الفنية في الإذاعة والتليفزيون والصحافة والعلاقات العامة والإعلان .

٢- الاستعانة بالخبرات العربية والأجنبية في دراسة التخصصات الإعلامية .
٣- عدم محاباة أساتذة القسم للطلاب عند وضع الدرجات .
٤- يتوجب على القائمين بالتدريس إعطاء صورة حقيقية للطالب عن واقع الإعلام المحلي والعربي والعالمي .
٥- حسن اختيار أساتذة القسم .

و-اللغات :

١- زيادة دراسة المواد الإعلامية باللغة الإنجليزية .
٢- الاهتمام بتدريس اللغة العربية إلى جانب لغة أخرى تدعم حصيلة الطالب المعرفية .
٣- الاهتمام بقواعد اللغة العربية .
٤- ضرورة زيادة ساعات مادة الترجمة .

ز-التفاعل مع المجتمع العماني والخارجي :

١- ربط الطالب مع ما يدور في المجتمع من خلال المشاركة في تغطية الفعاليات المحلية .
٢- إقامة الندوات والورش الإعلامية بالتنسيق مع المؤسسات الإعلامية .
٣- غرس مفهوم الحس الإعلامي للطلاب .
٤- العناية الفائقة في اختيار طلبة القسم .
٥- تبادل الزيارات الإعلامية بين أقسام الإعلام في منطقة الخليج .
٦- ضرورة إصدار صحيفة في الجامعة يشرف عليها القسم مباشرة ، إضافة إلى إصدار مجلة علمية محكمة تنشر فيها البحوث والدراسات حول واقع المجتمع العماني ، وإنشاء إذاعة داخلية في الجامعة .
٧- تحويل قسم الإعلام إلى كلية للإعلام نظرا للتطورات التي يشهدها

العالم في مجالات الإعلام والاتصال .

٨- دراسة السير الذاتية لمشاهير الإعلام عربيا وعالميا .

٩- تعديل اسم القسم ليكون قسم الاتصال الجماهيري .

١٠- ضرورة توفير مكتبة إعلامية .

١١- فتح قنوات للحوار للتعبير عن الآراء بحرية ودون قيود .

١٢- استضافة الصحفيين العرب لتقديم محاضرات في القسم .

١٣- إقامة ملتقيات إعلامية بين طلبة القسم وذوي الخبرة في الحقول الإعلامية وغيرها .

جدول (رقم ٢٦)

اقتراحات الخريجين لتطوير قسم الإعلام

الفئات	التكرارات	٪
نعم	٢١	٧٥
لا	٧	٢٥
المجموع	٢٨	١٠٠

المبحث الثالث

تقييم نخبة من القيادات الإعلامية لمستوى خريجي قسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس العاملين في الإعلام الرسمي

يشمل هذا المبحث نتائج دليل المقابلة مع القيادات الإعلامية العاملة في مؤسسات الإعلام الرسمي والبالغ عددهم ثمانية من المسؤولين ، بهدف تقييمهم مستوى أداء خريجي قسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس من خلال استمارة دليل مقابلة قام الباحث بتطبيقها على بعض القيادات الإعلامية في مواقع عملهم ، وقد ناقشت الاستمارة خمسة محاور أساسية تركزت حول

التقييم لأداء الخريجين ، وممارسة العمل الإعلامي ، وشخصية خريج قسم الإعلام ، وعلاقة قسم الإعلام بالمؤسسات الإعلامية ، إضافة إلى التوصيات والمقترحات التي أبدتها القيادات الإعلامية لتطوير أداء خريج قسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس .

المحور الأول : تقييم أداء خريج قسم الإعلام العاملين في الإعلام الرسمي

جاءت إجابات القيادات الإعلامية على هذا السؤال معبرة عن عدم رضاهم عن مستوى اللغتين العربية والإنجليزية ، حيث أشاروا إلى ضعف أداء خريجي قسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس في هذا الخصوص في جانب اللغة الإنجليزية ومتوسطا إلى حد ما في اللغة العربية . وهم يعزون ذلك إلى أن قسم الإعلام لا يعير أهمية لتأهيل خريجي القسم بمواد كافية في اللغتين العربية والإنجليزية . وهذا صحيح نظرا لارتباط القسم بخطط تدريسية متغيرة بحيث تدرس كل دفعة خطة مختلفة ، وتنصب على تأهيل الخريج بمواد عامة في الإعلام فقط ، دون التركيز على تخصص دقيق رئيسي ، ويلاحظ في الخطط التدريسية خلوها من مواد مكثفة في اللغتين العربية والإنجليزية .

أما فيما يتعلق بالتدريب العملي والزيارات الميدانية ، فقد عبرت الآراء عن ضرورة التركيز على الجانب العملي باعتباره عاملا مهما لأداء خريج قسم الإعلام عند التحاقه بالوظيفة الإعلامية ، على اعتبار أن الممارسة العملية الإعلامية للخريج تساعده على تطوير قدراته العملية ، وطالبوا بتكثيف الزيارات الميدانية لخريجي قسم الإعلام للاطلاع عن قرب على كيفية أداء الرسالة الإعلامية في صورتها النهائية . وطالبوا أيضا بأن يقتصر التدريب العملي على التخصصات الرئيسية كالإذاعة والتليفزيون ، والصحافة ، والعلاقات العامة والإعلان لكي يمكن ممارسة التدريب في المكان الذي سوف يلتحق به الطالب بعد تخرجه .

المحور الثاني : ممارسة العمل الإعلامي

تشير آراء القيادات الإعلامية إلى رضاهم عن أداء خريجي قسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس فيما يتعلق بالتعامل مع الأجهزة والمعدات ، إذ عبروا عن سهولة اكتساب الخريج الخبرة عند التعامل مع الأجهزة ، خاصة بعد تدريب قصير عليها . وطالبوا بضرورة إعطائهم جرعات تدريبية داخل الجامعة ، ومن خلال المؤسسات الإعلامية التي يتدرب فيها الخريج خلال فصل الصيف . وبالنسبة لآراء القيادات الإعلامية في حضور الخريج الندوات والمؤتمرات فقد أبدوا تحفظات حول مشاركة خريجي قسم الإعلام في الندوات والمؤتمرات بعد توظيفهم مباشرة نظرا لعدم وجود الخبرة الكافية في هذا الجانب بالذات ، إذ يحتاج الخريج إلى جرعات تثقيفية سواء من القسم قبل تخرجه أو من خلال مؤسسته التي يفترض أن تؤهله وتدربه على المشاركة في الندوات والمؤتمرات ليكتسب خبرة ومهارة إضافية . أما فيما يتعلق بالدورات التدريبية التي يتلقاها الخريج فقد أشارت النتائج إلى أن المؤسسات الإعلامية تلحق الخريجين بدورات داخلية وخارجية في مجالات العمل الإعلامي لمواكبة التطور التقني والمعرفي ، وبالأخص في جوانب التعامل مع الحاسب الآلي واللغة الإنجليزية واللغة العربية . وحول اتجاهات القيادات الإعلامية حول البعثات العلمية فقد أشار المبحوثون إلى ضرورة توافر الإمكانيات التي تقدمها المؤسسة الإعلامية لكوادرها لمواصلة مشوارهم التعليمي . وحول الحفاظ على سرية المهنة فقد أظهر خريج قسم الإعلام أنه نموذج يحتذى به في الحفاظ على سرية المهنة .

المحور الثالث : شخصية خريج قسم الإعلام

أبرزت آراء القيادات الإعلامية أن شخصية خريج قسم الإعلام جيدة جدا في علاقاته برؤسائه وزملائه ، وكذلك الانضباط في العمل ، وهذا مرده إلى تركيز قسم الإعلام على بناء شخصية الخريجين . أما فيما يتعلق بالثقافة العامة فقد أشارت عينة الدراسة إلى أن هناك تفاوتا في مستوى الثقافة لدى

الخريجين . وهذا بالطبع يعود إلى تفاوت قدراتهم في الاستمرار في الاطلاع على الجديد في حقل الإعلام والميادين العلمية الأخرى . وطالبوا بأن يقوم الخريج بالتركيز على القراءة المستمرة واتباع القراءة النقدية في التحليل الإعلامي للمواضيع كافة .

المحور الرابع : علاقة قسم الإعلام بالمؤسسات الإعلامية

أشارت اتجاهات القيادات الإعلامية بشأن علاقة قسم الإعلام بالمؤسسات الإعلامية إلى اتسامها بالضعف في مسألة تدريب الطلاب ، وقد طالبوا بالتنسيق المشترك بين قسم الإعلام والجهات الإعلامية التي يتلقى الخريج التدريب فيها ، وربما يرجع ذلك إلى عدم مد جسور التواصل بين قسم الإعلام والمؤسسات الإعلامية التي تعتبر سوق العمل للخريجين ، ولم يتعرف القسم على احتياجات السوق الإعلامية وإنما اكتفى بتدريس المواد التي تعتمد على الأسلوب النظري . ونجد هذه العلاقة معدومة خاصة في الاستعانة بالخبرات المهنية في الحقل الإعلامي ، وعن طريق عقد ندوات مشتركة ، وإجراء بحوث مشتركة ، إضافة إلى توظيف خريجي قسم الإعلام . وقد أكدت الآراء أيضا على ضرورة تفعيل علاقة قسم الإعلام بالمؤسسات الإعلامية لما لها من مصلحة تخدم الطرفين في المقام الأول .

المحور الخامس : التوصيات المقترحة

قدم ستة من القيادات الإعلامية توصيات مقترحة لتطوير آلية التدريس بقسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس وتتمثل هذه التوصيات في الآتي :

أ-التدريب العملي داخل القسم :

١- الاهتمام بالجانب العملي وربطه بالمنهج الدراسي الأكاديمي .

٢- الاهتمام بالبحوث الميدانية بحيث يقوم بها طلاب قسم الإعلام في السنة الرابعة ، وذلك بإجراء استبيانات تتركز حول وسائل الإعلام المحلية

لاكتساب خبرة منهجية في طريقة إجراء البحوث والدراسات .

ب-التدريب الميداني في المؤسسات الإعلامية :

١- الاهتمام بالدورات التدريبية العملية ، والاحتكاك بالخبرات المهنية ، ويفضل أن يبدأ التدريب العملي في السنة الأولى على أن يكثف سنويا في أجهزة الإعلام .

٢- استمرار تدريب طلبة قسم الإعلام في المؤسسات الإعلامية كل حسب التخصص والمجال الذي يجده مناسبا سواء أكان في الإذاعة والتليفزيون ، أم الصحافة ، أم العلاقات العامة والإعلان ، لكي يجد الطالب نفسه أثناء التدريب من حيث الإبداع والممارسة العملية في مجالات الإعداد ، والتقديم ، والتحرير والإخباري ، والتصميم الإعلاني ، والإخراج (إذاعة- تليفزيون- صحافة) .

٣- قيام طلبة قسم الإعلام بعمل برنامج خاص بالتنسيق مع إدارة التليفزيون بحيث يشرف على البرنامج الأساتذة وفق التوجه الإعلامي للمؤسسة ، على أن يقوم الطلاب بمهام الإعداد والتقديم والإخراج والمتابعة والتنسيق والتنفيذ .

ج-الكتابة الإعلامية :

١-التركيز على جوانب الكتابة وفنونها .

٢- إدخال نظم المعلومات وتكنولوجيا الاتصال واستخدام الكمبيوتر في طباعة التقارير والدراسات ، إضافة إلى إدخال البيانات واسترجاعها .

٣-تعميق المواد الأدبية للتدريب والتمرس على الكتابة .

د-المقررات :

-التأكيد على أهمية التخصص في المجال الإعلامي ، وإعطاء أهمية أكبر للمقررات الدراسية والعملية التي تواكب متطلبات العصر والثورة المعلوماتية .

هـ-اللغات :

١- التركيز على اللغة العربية .

٢- الاهتمام بتدريس اللغة الإنجليزية ولغات أخرى .

ز-التفاعل مع المجتمع العماني والخارجي :

١-الاهتمام بالثقافة العامة .

٢-تحديث مناهج التدريس وربطها بالحياة العملية .

٣-قيام الجامعة بدراسات ميدانية في الحقل الإعلامي والحقول الأخرى .

٤-التنسيق بين الجامعة والأجهزة الإعلامية فيما يتعلق بتوظيف طلبة قسم الإعلام مباشرة بعد تخرجهم .

٥-ضرورة تكثيف الندوات الإعلامية وورش العمل والدراسات والبحوث بين قسم الإعلام والمؤسسات الإعلامية ، وضرورة مشاركة الخبرات المهنية في الأجهزة الإعلامية في التدريب العملي داخل الجامعة .

٦-وضع برامج لخدمة احتياجات المجتمع العماني ومتطلباته مع ايلاء أهمية خاصة لاحتياجات سوق العمل ، والاهتمام بقضايا الإعلام التنموي خاصة وأن سلطنة عمان كدولة نامية تعتبر التنمية الشغل الشاغل لها .

٧-ضرورة اندماج قسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس في المجتمع المحلي .

خاتمة الدراسة : النتائج العامة والمقترحات

سعت هذه الدراسة منذ البداية إلى تحقيق هدف رئيسي تمثل في تقييم أداء خريجي قسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس العاملين في الإعلام الرسمي . وقد تحقق هذا الهدف من خلال معرفة آراء الخريجين في النظام الدراسي ، والتعرف على آرائهم في مستوى أداء القائمين بالتدريس ، والتدريب الإعلامي أثناء الدراسة ، وكذلك التعرف على آراء المسؤولين بالإعلام الرسمي في أداء خريجي قسم الإعلام . ويمكن تلخيص النتائج التي توصلت إليها الدراسة في النقاط التالية :

أولا : اتجاهات آراء الخريجين في النظام الدراسي بالقسم :

تركزت آراء الخريجين في النظام الدراسي بقسم الإعلام على النظام الحالي للالتحاق بقسم الإعلام ، وكذلك اتجاهاتهم حول بعض القضايا التي تتعلق بالخريج أثناء الدراسة والواقع العملي حاليا في المؤسسات الإعلامية ، ومعرفة آرائهم في المواد التي درسوها ونظام الامتحانات والتأهيل العلمي . ويمكن إبراز هذه الآراء في النقاط التالية :

١- أبرزت نتائج الدراسة بالنسبة لآراء الخريجين في النظام الحالي للالتحاق بقسم الإعلام أن هناك رفضا واضحا من قبل الخريجين للنظام المتبع في الوقت الراهن بالقسم ، حيث يعتمد هذا النظام على توزيع الطلاب ضمن مجموعات تحددها الكلية ويدرس الطلاب خلالها أربعة مداخل ، يكون من بينها مدخل إلى الإعلام ، ثم يتم توزيعهم على أقسام الكلية بطريقة تبتعد عن الالتفات إلى قدرات الطلاب ومواهبهم . وقد بلغت نسبة المعارضين لهذا النظام من المبحوثين ٤٦,٤٪ . وتأكيدا لذلك أيد ٥٠٪ من مجموع أفراد العينة الأسلوب الذي يعتمد على إجراء اختبارات شفهية أو تحريرية إلى جانب المجموع لاختيار الطلاب الذين يلتحقون بدراسة الإعلام .

٢- أكدت نتائج عينة الدراسة بشأن آراء الخريجين العاملين في الإعلام الرسمي على وجود فجوة بين ما درسوه في الجامعة والواقع العملي في المؤسسات الإعلامية .

٣- ركزت نتائج عينة الدراسة حول آراء الخريجين من العاملين في الإعلام الرسمي بشأن المواد التي درسوها على تأكيد أكثر من ثلثي العينة ضرورة اقتصار دراسة المواد العامة على عام واحد .

٤- أكدت نتائج الدراسة أن هناك مواد درسها الخريجون وأفادتهم في عملهم الحالي ، وتركزت هذه المواد في مجال التحرير الصحفي والإخراج الصحفي والكتابة للراديو والتليفزيون والأخبار والبرامج الإخبارية والبرامج التعليمية والتسجيلية وكذلك مواد العلاقات العامة والرأي العام والإعلان والتصوير

التليفزيوني والمونتاج والصحافة المتخصصة والإعلام والتنمية وإدارة المؤسسات الصحفية والترجمة ونظريات الإعلام . وقد خلت قائمة المواد التي ذكروها من مواد متطلبات الكلية أو الجامعة ، وتركزت في معظمها على مواد التخصص .

وحول آراء الخريجين بشأن تطوير المواد التي درسوها أشارت النتائج إلى أن هذه المواد مفيدة ولكنها تحتاج إلى تطوير في مضمونها ، ويتمثل هذا التطوير في عدم الاكتفاء بالجانب النظري في تدريس بعض المواد وزيادة عدد ساعات الترجمة والاهتمام بتكنولوجيا الإذاعة والتليفزيون في مساقات الإذاعة التليفزيون ، والتركيز على اللغة الإنجليزية في تدريس مادة إعلامية بلغة أجنبية .

٥- أبرزت نتائج الدراسة بشأن آراء الخريجين العاملين في الإعلام الرسمي نحو المواد المؤهلة أن المواد التي درسوها كفيلة بتأهيل إعلامي ناجح . وفيما يتعلق بنظام الامتحانات التي يعتمدها قسم الإعلام ، فقد أكدوا على ضرورة تطوير نظام الامتحانات ، وربما كانت الأسباب وراء ذلك مردها إلى شعور الخريج بضرورة تركيز الامتحانات على قياس القدرات بدلا من الحفظ والتذكر ، خاصة أننا أصبحنا نعيش مرحلة جديدة من تقنيات الاتصال والإعلام .

٦- اتضح من نتائج الدراسة حول توفر المراجع الضرورية في مكتبتي كلية الآداب والمكتبة الرئيسية بالجامعة أن هناك اتفاقا بشأن توفر المراجع الضرورية العربية والأجنبية بهما في مجال الإعلام .

ثانيا :اتجاهات آراء الخريجين العاملين في الإعلام الرسمي بشأن القائمين بالعملية التدريسية

جاءت نتائج عينة الدراسة سلبية تجاه القائمين بالتدريس في قسم الإعلام بجامعة السلطان قابوس ، حيث أشارت عينة الدراسة إلى أن أعضاء هيئة

التدريس لا يستطيعون توصيل المعلومات للطلاب ، ولا يتمتعون بمهارات الاتصال المطلوبة . وفيما يتعلق بأسلوب الأساتذة في التدريس فقد أيد أفراد العينة الطريقة التي يؤدون بها عملهم ، وربما قد يتعارض ذلك مع ما ذكروه بشأن دور أعضاء هيئة التدريس في توصيل المعلومات . إلا إنه ما يجب تأكيده هو ضرورة إعادة النظر في اختيار أعضاء هيئة التدريس وتقييمهم ، حيث يجب تقييم إنتاج أعضاء هيئة التدريس من بحوث ودراسات كما وكيفا من قبل مجلس القسم ، وأن يشكل هذا المعيار أحد المعايير الهامة عند تقييم عضو هيئة التدريس عند الترقية لدرجة أعلى .

ثالثا : اتجاهات الخريجين العاملين في الإعلام الرسمي نحو التدريب العملي

تباينت آراء الخريجين حول مدى كفاية التدريب العملي للخريج أثناء الدراسة ومكانه ومجالاته وجدواه . أما عن اتجاهات الخريجين نحو مكان التدريب العملي الذي تلقوه أثناء الدراسة فقد حصلت وكالة الأنباء العمانية والصحف العمانية على درجة متقدمة مقارنة بإذاعة وتليفزيون سلطنة عمان ، واستديوهات الجامعة .

أما عن اتجاهات الخريجين نحو مجالات التدريب ، فقد غلب مجال التحرير الإخباري في مؤسسات الإعلام الرسمي على مجالات إعداد البرامج وتقديمها والإخراج والترجمة وتصميم الإعلانات .

وأخيرا بالنسبة لآراء الخريجين حول جدوى التدريب الإعلامي ، فقد ذكر معظم أفراد العينة أنه مفيد ، ولكن بدرجة محدودة .

رابعا : آراء القيادات الإعلامية في أداء خريجي قسم الإعلام

تركزت آراء القيادات الإعلامية في أداء خريجي قسم الإعلام العاملين في الإعلام الرسمي في أربعة محاور أساسية تمثلت في الرضا الوظيفي عن أدائهم لمهنتهم ورأيهم في ممارستهم للعمل الإعلامي والتفاعل مع الأجهزة والمعدات

وكذلك رأي المسؤولين في شخصية خريج قسم الإعلام ، وأخيرا رأيهم في علاقة قسم الإعلام بالمؤسسات الإعلامية .

أما بالنسبة لآراء القيادات الإعلامية في أداء خريجي قسم الإعلام في المؤسسات الإعلامية ، فقد عبرت عن عدم رضاها عن مستوى اللغتين العربية والإنجليزية للخريج . وفيما يتعلق بالتدريب العملي للطلاب أثناء الدراسة ، فقد أبدت القيادات الإعلامية اهتمامها بهذا الجانب واعتبرته عاملا مهما لأداء خريج قسم الإعلام عند التحاقه بالوظيفة الإعلامية .

أما عن آراء القيادات الإعلامية في مستوى ممارسة الخريجين للعمل الإعلامي ، فقد عبرت القيادات عن رضاها بشأن تعامل هؤلاء الخريجين مع الأجهزة والمعدات في المؤسسات الإعلامية ، وأشاروا إلى سهولة اكتساب الخريج الخبرة عند التعامل مع هذه الأجهزة ، خاصة بعد التدريب عليها .

وبالنسبة لآراء القيادات الإعلامية في شخصية خريج قسم الإعلام ، فقد أشارت القيادات إلى أنها جيدة جدا في علاقاته برؤسائه وزملائه وكذلك الانضباط في العمل ، وهذا مرده إلى تركيز قسم الإعلام على بناء شخصية الخريج .

وأخيرا بالنسبة لعلاقة قسم الإعلام بالمؤسسات الإعلامية ، فقد ذكرت القيادات الإعلامية أنها تتسم بالضعف ، خاصة في مسألة تدريب الطلاب ، وطالبوا بضرورة التنسيق المشترك بين قسم الإعلام والجهات الإعلامية التي يتلقى الخريج تدريبه فيها .

التوصيات العامة :

خلصت الدراسة إلى مجموعة من التوصيات بشأن آراء الخريجين العاملين في الإعلام الرسمي وكذلك القيادات الإعلامية في تطوير الدراسة بقسم الإعلام وعلاقة القسم بالمؤسسات الإعلامية ، ويمكن إجمالها في النقاط التالية :

١-ضرورة تحديد ميول ورغبات الطلاب في التخصص من خلال التخصصات الرئيسية للإذاعة والتليفزيون ، والصحافة ، والعلاقات العامة والإعلان .

٢-الابتعاد عن أسلوب التلقين وتشجيع الطلاب على النقاش والحوار من خلال استضافة شخصيات إعلامية وسياسية من خارج الجامعة .

٣-ضرورة تكثيف مواد اللغتين العربية والإنجليزية .

٤-إقامة الندوات والورش الإعلامية المتخصصة بالتنسيق مع المؤسسات الإعلامية .

٥-إصدار صحيفة في الجامعة يشرف عليها القسم مباشرة ، إضافة إلى إنشاء إذاعة داخلية بالجامعة .

٦-تغيير نمط الاختبارات بحيث تركز على قياس القدرات بدلا من الحفظ والتذكر .

٧-التنسيق بين الجامعة والأجهزة الإعلامية فيما يتعلق بتوظيف طلبة قسم الإعلام مباشرة بعد تخرجهم .

٨-استمرار تدريب قسم الإعلام في المؤسسات الإعلامية كل حسب التخصص والمجال الذي يجده مناسبا في الإذاعة والتليفزيون ، والصحافة ، والعلاقات العامة والإعلان .

٩-الاهتمام بالثقافة العامة وتعميق المواد الأدبية للتدريب والتمرس على الكتابة .

١٠-الاهتمام بالبحوث الميدانية بحيث يقوم طلبة قسم الإعلام في السنة الرابعة بإجراء استبيانات تتركز حول وسائل الإعلام المحلية لاكتساب خبرة منهجية في طريقة إجراء البحوث والدراسات .

تضمينات ومقترحات :

من خلال ما توصلت إليه الدراسة لخريجي قسم الإعلام في السنوات من ١٩٩١--٢٠٠٠ تظهر تلك الملاحظات التي تبدو لنا في وجهها سلبية ، وهذا أمر

طبيعي فالمرء دوما يطمح للكمال .

ويبدو لنا هذا الأمر جليا إذ أن قسم الإعلام تقدم بمشروع خطة طموحه تفي بأغراض التخصص الدقيق مما يتيح التدريب العملي والميداني ، كما أنه يهتم بزيادة المواد التطبيقية في مجال الكتابة والإنتاج وغيرها ، كما أن الإدارة العليا ساهمت في تدعيم القسم بمختبرات حاسوب خاصة به ، وأجهزة حديثة للاستوديوهات ، وتم تجهيز استوديوهات إذاعية جديدة ، بالإضافة إلى اهتمام أعضاء هيئة التدريس بالجوانب التطبيقية ، والاهتمام بالبحث العلمي والمشاركة في المؤتمرات العلمية ، وهذا كله سوف يعكس التطور الإيجابي في نوعية الخريجين عند تطبيق الخطة .

ويظل الأساس هو نوعية الطالب الذي يتم قبوله والذي يحتاج إلى معايير خاصة لقبوله بحيث يراعى ثقافته العامة ولغته واستعداده ورغبته .

الهوامش

(١) د . محمد سعد أحمد إبراهيم ، «الاتجاهات الحديثة في دراسات القائم بالاتصال» ، **المجلة المصرية لبحوث الرأي العام** ، مركز بحوث الرأي العام ، كلية الإعلام بجامعة القاهرة ، العدد الرابع (أكتوبر-ديسمبر ٢٠٠٠) ، ص ص . ١٨١-١٩٥ .

(٢) د . منى سعيد الحديدي ، «اختراق القائم بالاتصال» ، في : سعد لبيب ، **أعمال ندوة الاختراق الإعلامي للوطن العربي - القاهرة ٢٣-٢٤ نوفمبر ١٩٩٦** ، ط .٢ (القاهرة : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٩٩) ، ص ص . ١٦٣-١٨٨ .

(٣) بركات عبد العزيز محمد ، «التدريب الإذاعي والتليفزيوني بدول العالم الثالث- دراسة في الأبعاد المحلية والدولية» ، **مجلة بحوث الاتصال** ، العدد الخامس (يوليو ١٩٩١) .

(٤) حسين أبو شنب ، «دور القائم بالاتصال في مؤسسات الإعلام الفلسطيني في مواجهة الألفية الثالثة» ، **مجلة البحوث والدراسات العربية** ، معهد البحوث والدراسات العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، العدد ٣٣(يوليو ٢٠٠٠) ، ص ص . ٢٠١-٢٣٣ .

(٥) أنور بن محمد الرواس و طه نجم ، «واقع عمل المرأة العمانية العاملة في وسائل الإعلام -دراسة استطلاعية على القائمات بالاتصال» ، بحث غير منشور مقدم لمؤتمر المرأة والإعلام العربي أبريل ٢٠٠١ ، معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم جامعة الدول العربية .

(٦) محمد معوض ، «رؤية مستقبلية لدور أقسام الإعلام بكليات الآداب في تكوين الكوادر الإعلامية في دول مجلس التعاون الخليجي» ، في : **دراسات في الإعلام الخليجي** ، دار الكتاب الحديث (الكويت ، الصفاة ، ٢٠٠٠) ، ص ص . ٢٦٣-٢٨٢ .

(٧) كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ، **خريجو كلية الإعلام المشتغلون في الإذاعة والتليفزيون- دراسة تقويمية** (القاهرة :كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٦) ، ص ص . ١١٢-١١٥ ، ٦٢٥ .

(٨) تقرير حول إحصائية بأعداد خريجي الكلية لجميع السنوات (جامعة السلطان قابوس ، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية -شؤون الطلاب ، ٢٠٠١) .

(٩) حمد بن محمد الراشدي وكيل وزارة الإعلام (وزير الإعلام حاليا) ، «نتطلع لمساهمة أكبر للمرأة في

وسائل الإعلام العمانية» ، جريدة عمان ، العدد ٥٢٥٤ (١٩٩٥/١٠/١٧) ، ص ٣ .

(١٠) كلية الإعلام ، المرجع المذكور ، ص ص . ٢٧-٤٣ .

(١١) المرجع نفسه .

(١٢) المرجع نفسه .

دراسة ميدانية مقارنة لدوافع التعامل مع البنوك التجارية والإسلامية

د. راشد محمد سلامه
جامعة البترا- كلية العلوم الإدارية والمالية

ملخص

جاءت البنوك الإسلامية لتوفير التعامل المالي الحلال ، ولتكون بديلاً للبنوك التجارية الربوية . لكنها لم تتمكن من أن تكون بديلاً ، أو حتى منافساً قوياً ، للبنوك التجارية ، وأصبح هذان النوعان من البنوك يعملان جنباً إلى جنب ، وترك للأفراد حرية الاختيار في التعامل مع من يشاؤون . تهدف هذه الدراسة الى تحديد العوامل التي تدفع بالأفراد ، في الأردن ، الى تفضيل التعامل مع نوع دون الآخر من البنوك ، او الإبتعاد عنه . لتحقيق ذلك أعدت استبانتان محكمتان ، إحداهما خاصة بالمتعاملين مع البنوك الإسلامية ، والأخرى خاصة بالمتعاملين مع البنوك التجارية ، تتضمن كل منهما مجموعة من الأسباب التي تدفع العميل لاختيار البنك الذي يتعامل معه وسبب ابتعاده عن التعامل مع النوع الآخر .

لقد أظهرت الدراسة أن الأفراد سواء أكانوا عملاء للبنوك التجارية أم الإسلامية لم يعطوا لقيمة الفائدة أو الربح الأهمية التي كنا نتوقعها . فالسبب الرئيسي للتعامل مع البنوك الإسلامية يرجع إلى المعتقدات الدينية للمتعاملين بأن البنوك التجارية هي بنوك ربوية يجب عدم التعامل معها . في حين ترجع الأسباب الرئيسية للتعامل مع البنوك التجارية إلى قيامها بتقديم خدمات متنوعة ومتكاملة بيسر وسهولة . ويرى عملاء البنوك التجارية أن ليس هناك ما يمنعهم من التعامل مع البنوك الإسلامية في حالة فهمهم لأسلوب عملها

وتقديمها لخدمات مماثلة لما تقدمه لهم البنوك التجارية . لذا فإن المجال مفتوحٌ أمام البنوك الإسلامية لاستقطاب عملاء البنوك التجارية في حين سيكون من الصعب على البنوك التجارية استقطاب عملاء البنوك الإسلامية .

بينت الدراسة أن من مزايا التعامل مع البنوك الإسلامية أنها لا تثقل كاهل المدين المعسر مالياً ، فلا تقوم بإضافة أي فوائد تأخيرية عليه ، كما هو الحال في البنوك التجارية . بالمقابل ، فإن للتعامل مع البنوك التجارية ميزة تتمثل في قيامها بتقديم خصم للمدين في حالة قيامه بتسديد دينه ، او جزء منه ، قبل موعد استحقاقه ، في حين لا تقدم البنوك الإسلامية مثل هذا الحسم لعملائها .

توصي الدراسة بأن سماحة الدين الإسلامي في التعامل مع المدين المعسر مالياً ، والسعي الدائم والحثيث لتطوير الخدمات المالية للبنوك الإسلامية وتوفيرها للمتعاملين بيسر وسهولة ، يمكن أن يمثلا الركيزة الأساسية للبنوك الإسلامية لتكون منافساً قوياً للبنوك التجارية .

Empirical Comperative Study of the Factors Influencing Clients Choice : Commercial Banks or Islamic Banks.

Dr. Rhashed Salameh

University of Petra - Faculty of Banking and Financial Sciences

ABSTRACT

Islamic banks (IBs) emerged to substitute the usuary prohibited commercial banks (CBs), but, unfortunately they succeeded in neither substituting nor being a major competitor to the CBs. At present, both types of banks exist and operate side by side, and individuals and traders are having full freedom to choose between them. This study aims to determine the factors affecting the Jordanian's choice whether to deal with CBs or IBs. To achieve this target, two questionnaires have been prepared, one for CBs clients, and the other to IBs clients. Each one includes specific reasons determined by the researcher. However, an open-ended question is provided to enable the respondents to specify any other factors affecting their choice.

The findings of the study found that clients for both types of banks did not consider interest, or income, as the major factor affecting their decisions; IBs clients are mainly affected by their religion; while CBs clients are affected by the type of service provided and its quality. At the sametime, CBs clients show lack of knowledge of the IBs and their investment approaches, and they express their willingness to deal with IBs if they understand and are convinced with their investment methods.

In addition, the study shows that a major advantage in dealing with IBs is that these banks do not put any additional financial burden on the debtor in case of his insolvency; he is not able to meet his financial obligations on time. Simultaneously, the advantage in dealing with the CBs is that they offer their clients a discount of the debt nominal value if they want to settle their debt before maturity date; IBs did not offer such a discount.

The study recommends that IBs should enhance their competitive role by offering more services with high quality, accompanied with an intensive promotional and advertising campaign, the cornerstone of this campaign should be the IB s' attitude toward insolvent clients.

١ . مقدمـة :

تقوم فلسفة عمل البنوك التجارية على التعامل بالفائدة (Interest) أخذاً وعطاءً ، فهي تتقاضى من المقترضين ، وتدفع للمودعين فائدة محددة متفقاً عليها مسبقاً ، تزداد قيمتها بزيادة مدة الإقراض أو الإيداع . لكن معدل الفائدة يتغير بين الحين والآخر ، متأثراً بالعديد من العوامل ، منها على سبيل المثال لا الحصر الظروف الاقتصادية السائدة من رواج أو كساد ، وطبيعة حساب المودع ومدة الإقراض أو الإيداع . من وجهة نظر الشريعة الإسلامية ،لكي يكون المال المقبوض أو المدفوع ربا (usuary) لا بد من توافر مكونات الربا فيه ، وهي ثلاثة أجزاء :(١)

- الزيادة على رأس المال .
- تحديد الزيادة باعتبار المدة .
- الزيادة شرط في المعاملة .

ويلاحظ أنه مهما يكن نوع الفائدة التي تتعامل بها البنوك التجارية سواء المقبوضة من العميل أو المدفوعة له ، فان شروط الربا متوافرة فيها مما يجعلها رباً محرماً شرعاً .

في حالة الإعسار المالي للمدين ، قد يقوم البنك التجاري بمنحه مهلة جديدة للسداد شريطة إضافه فوائد تأخيرية على قيمة المبلغ الذي عجز المدين عن سداده ، أي أن البنك التجاري يقوم بإضافة أعباء مالية جديدة على كاهل المدين المعسر أصلاً . هذه الفوائد التأخيرية يتم تحديدها والاتفاق عليها مسبقاً وتزداد قيمتها بزيادة الزمن ، أو بزيادة المهلة الجديدة للسداد ، مما يجعل من شروط الربا متوافرةً فيها أيضاً .

جاء ديننا الاسلامي الحنيف ، ليحرم علينا التعامل بالربا ويأمرنا بالابتعاد عنه ، فجاء في القرآن الكريم ، المصدر الرئيس للتشريع الإسلامي ، العديد من الآيات التي تحرم الربا وتحذرنا من التعامل به ، منها قوله تعالى :

* ((يمحق الله الربا ويربي الصدقات)) (البقرة ، آية٢٧٦) .

* ((ذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تَظلمون ولا تُظلمون)) (البقرة آية ٢٧٨) .
* ((وما أوتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله)) (الروم أية ٣٩) .
* ((فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ، وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل ، واعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما)) (النساء : الآيتين ١٥٩-١٦٠).

كما دعانا رسولنا الكريم محمد -صلى الله عليه وسلم- إلى ضرورة أن نتبين الطرق الحلال لجمع المال والسعي فيها ونتجنب جمعه بالطرق الحرام ، فالأحاديث الشريفة كثيرة في هذا المجال ، مشهور منها حديث أبي هريرة :(٢) عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال : «لعن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- آكل الربا وموكله « رواه مسلم ، وزاد الترمذي وغيره «وشاهديه وكاتبَه» .

لتوفير التعامل المالي بعيداً عن شبهة الربا ، بُدئَ التفكير في إيجاد بنوك إسلامية تعمل بمفهوم الربح / الخسارة الحلال وفق أحكام الشريعة الإسلامية ولتكون بديلاً عن البنوك التجارية الربوية ، فجاءت الفلسفة الاستثمارية للبنوك الإسلامية مغايرةً تماماً لفلسفة عمل البنوك التجارية في تعاملها مع العملاء . فالعميل المودع في البنك الإسلامي كأنما يقوم بتفويض البنك الإسلامي باستثمار أمواله نيابةً عنه ، فإذا ما كانت نتيجة الاستثمار ربحاً فانه يعود على العميل ، بعد أن يتقاضى البنك الإسلامي أجراً عن إدارة هذه الأموال ، وبالمقابل إذا كانت النتيجة خسارة فعلى العميل وزرها أيضاً . وبالتالي فإن العميل المودع في البنك الإسلامي لا يكون على بينة بما سيؤول اليه ماله في نهاية مدة الاستثمار (أو مدة الإيداع) فأي زيادة أو نقصان في مال العميل هما بمثابة ربح أو خسارة جائزة شرعاً . كذلك الحال بالنسبة للمتعاملين ذوي العجز المالي ، فالبنوك الإسلامية تسعى لتوفير احتياجاتهم دون إقراضهم نقداً سائلاً ،

وقد استطاعت هذه البنوك استحداث وسائل وأساليب استثمارية أخرى لخدمة هؤلاء المتعاملين من أهمها أساليب المرابحة ، المشاركة والمضاربة ، وهذه الأساليب بعيدة عن مفهوم الربا المحرم شرعاً .

جاءت أولى المحاولات للعمل بمفهوم البنوك الإسلامية في الباكستان في أواخر الخمسينات ، حيث تم تأسيس جمعية تعاونية تعمل بمفهوم إسلامي . وفي عام ١٩٦٣ ظهرت جمعية مماثلة في جمهورية مصر العربية ، إلا أنه لم يكتب لكلا المحاولتين النجاح وأعلن إفلاس هاتين الجمعيتين .(٣) ولكن ذلك لم يمنع أبناء الإسلام من الاستمرار في المحاولة ، ففي عام ١٩٧١ تم تأسيس بنك ناصر الاجتماعي في جمهورية مصر العربية . وفي منتصف السبعينات أسس العديد من البنوك الإسلامية ، ففي عام ١٩٧٥ تم تأسيس بنك دبي الإسلامي تلاه البنك الإسلامي للتنمية ثم بنكا فيصل السوداني والمصري عام ١٩٧٧ .(٤) توالى بعدها ظهور العديد من البنوك الإسلامية في دول عربية وإسلامية عدة ، ولكن هذا التطور لم يؤدِ إلى اختفاء ، أو على أقل تقدير ، إلى تخفيض انتشار البنوك التجارية في الدول العربية والإسلامية .

٢ . الدراسة وأهميتها

لم تنجح البنوك الإسلامية ، على ما يبدو ، في أن تكون بديلاً ، أو حتى منافساً قوياً للبنوك التجارية في الدول العربية والإسلامية ، فانتشار البنوك الإسلامية وتعددها ما يزال محدوداً مقارنة بالبنوك التجارية ، وما يزال هذان النوعان من البنوك يعملان جنباً إلى جنب في دولنا العربية والإسلامية . ويستثنى من ذلك عدد محدود من الدول الإسلامية التي اختطّت لنفسها تطبيق النهج الإسلامي في مختلف مناحي حياتها الاجتماعية والاقتصادية وأعلنت تحويل أنظمتها المصرفية بأكملها إلى النظام الإسلامي ، مثل إيران وباكستان وبنغلادش ، فاختفت البنوك التجارية في هذه الدول ويقتصر السماح بالعمل فيها على البنوك الإسلامية دون غيرها .

في الأردن ، على سبيل التحديد ، يتضمن الجهاز المصرفي الأردني بنكين إسلاميين يعملان جنباً إلى جنب مع العديد من البنوك التجارية وغيرها من بنوك الاستثمار والبنوك المتخصصة الأخرى . ويبين جدول ١ البنوك العاملة في الأردن كما هي في نهاية عام ٢٠٠٠ ، ومنه نلاحظ أن إجمالي فروع البنوك التجارية العاملة في الأردن قد وصل إلى ٣٥٤ فرعاً في حين لم يتجاوز عدد فروع البنوك الإسلامية ٦١ فرعاً ، منها ٥٢ فرعاً للبنك الإسلامي الأردني (أسس عام ١٩٧٩) ، والفروع التسع الأخرى للبنك العربي الإسلامي الدولي والذي باشر نشاطه عام ١٩٩٧ . أي أن البنوك الإسلامية في الأردن لم تستطع الحلول مكان البنوك التجارية لا في العدد ولا في الانتشار ، وبقيت منافستها للبنوك التجارية محدودة إلى حد بعيد .

جدول (١)

البنوك العاملة في الأردن كما هو في نهاية عام ٢٠٠٠

الفئة	عدد البنوك	عدد الفروع داخل المملكة بما فيها المركز الرئيسي
١ . البنوك التجارية :		
أ - بنوك أردنية	٩	٣١١
ب- بنوك غير أردنية	٥	٤٣
٢ . بنوك إسلامية	٢	٦١
٣ . بنوك استثمار	٥	٥٤
٤ . مؤسسات إقراض متخصصة :		
أ - ملكية القطاع العام	٣	٣٠
ب- ملكية مشتركة	٢	١٥

المصدر : البنك المركزي الأردني ، دائرة الأبحاث ، التقرير السنوي السابع والثلاثون لعام ٢٠٠٠ (نيسان ٢٠٠١) .

وتهدف هذه الدراسة لاستكشاف الدوافع وتحديد الأسباب التي في ضوئها يفضل المتعاملون في الأردن اختيار التعامل مع البنوك التجارية أم البنوك الإسلامية ، ولا يمتد نطاقها إلى بنوك الاستثمار أو مؤسسات الإقراض المتخصصة لأن طبيعة عمل هذه البنوك والمؤسسات تختلف في جوهرها عن طبيعة وفلسفة عمل أي من البنوك التجارية أو الإسلامية .

أما أهمية الدراسة فتتمثل فيما يلي :

١ . إمكانية إفادة البنوك الإسلامية من النتائج التي نتوصل إليها في تحسين وتطوير خدماتها المصرفية ، أو في توسيع قاعدة خدماتها لتشمل تقديم خدمات توفرها البنوك التجارية لعملائها ، ولكنها غير متوفرة في البنوك الإسلامية .

٢ . إفادة البنوك التجارية في التعرف على حجم الخطر القادم من البنوك الإسلامية والذي قد يهدد وجودها ، أو على أقل تقدير ، قد يخفض من حجم أعمالها .

٣ . التعرف على مدى إلمام المواطنين باختلاف فلسفة عمل البنوك الإسلامية القائم على تحقيق الربح الحلال ، عن فلسفة عمل البنوك التجارية القائمة على الفائده الربوية ، وما قد يترتب عن هذه النتيجة من آثار على أسلوب عمل البنوك وخاصة في مجال الإعلان والترويج .

٤ . إفادة بعض الجهات الحكومية ، في الأردن وغيرها من الدول العربية والإسلامية ، مثل وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، من نتائج الدراسة المتعلقة بنظرة وقناعة المواطنين في مدى حل أو تحريم الفائدة البنكية ، وما قد يتركه ذلك من آثار على البرامج الدينية الموجهة في مجال العقيدة الإسلامية .

٥ . إمكانية إفادة أصحاب الفوائض المالية والمستثمرين في الأردن وغيرها في استكشاف فرص الاستثمار في بنوك وشركات إسلامية جديدة تقوم على

أسس علمية شرعية .

٦ . إن بعض الدارسين للاقتصاد الإسلامي ، ومراكز البحث الإسلامية ، قد يجدون في الدراسة أهمية خاصة بهم .

٣ . فرضيات الدراسة

تهدف الدراسة إلى استطلاع آراء المتعاملين مع البنوك التجارية والإسلامية للتعرف على الأسباب التي تدفعهم إلى تفضيل التعامل مع نوع دون الأخر من هذه البنوك . لتحقيق ذلك ، فإن الدراسة تقدم خمس فرضيات : الفرضيتان الأوليان تهدفان إلى التعرف على أسباب تفضيل التعامل مع البنوك الإسلامية ، في حين تهدف الفرضيات الثلاث الأخر إلى التعرف على الأسباب التي تدفع بالمتعاملين للابتعاد عن التعامل مع البنوك الإسلامية وتفضيل التعامل مع البنوك التجارية .

*** الفرضية الأولى (H1)**

أحد الأسباب الرئيسية للتعامل مع البنوك الإسلامية يرجع إلى المعتقدات الدينية بأن الفوائد البنكية التي تتعامل بها البنوك التجارية هي رباً محرم شرعاً .

*** الفرضية الثانية (H2)**

سماحة الدين الإسلامي في التعامل التجاري ، وبخاصة مع المدينين المعسرين مالياً ، والمتمثل في إعطائهم مهلةً جديدةً للسداد دون إضافة أي أعباء مالية جديده عليهم (فوائد تأخير) يعتبر سبباً رئيسياً لتفضيل التعامل مع البنوك الإسلامية .

*** الفرضية الثالثة (H3)**

يرى المتعاملون مع البنوك التجارية أن الفوائد التي يتسلمونها على إيداعاتهم هي بمثابة عائد على أموالهم ، وبالتالي لا يرون في استلام الفائدة أي حرجٍ

ديني .

*** الفرضية الرابعة (H4)**

عدم الإقبال على التعامل مع البنوك الإسلامية يرجع إلى عدم توفر المعلومات الكافية لدى المتعاملين ، أو على أقل تقديرعدم فهمهم التام ، لاختلاف فلسفة وطبيعة عمل البنوك الإسلامية عن البنوك التجارية ، فيرون في البنوك الإسلامية والتجارية كأنهما وجهان لعملة واحدة .

*** الفرضية الخامسة (H5)**

إن قيام البنوك التجارية بتقديم الجوائز المالية وتوفير الخدمات المالية والمصرفية المتنوعة بيسر وسهولة للعملاء هو من العوامل الأساسية لتفضيل التعامل مع هذه البنوك .

٤ . منهجية الدراسة :

تتمثل المنهجية المتبعة في دراسة ميدانية أجراها الباحث على عينة مؤلفة من تسعين شخصاً ، اختيروا بطريقة عشوائية من عملاء البنوك كما هو مبين في ملحق ١ موزعين كالتالي :

الفئة	عدد أفراد العينة	الوزن النسبي (٪)
بنوك تجارية	٥٦	٦٢
بنوك إسلامية	٣٤	٣٨
	٩٠	١٠٠

لتحقيق أهداف الدراسة أعددنا نموذجين مختلفين من الاستبانات ، أحدُهُما موجه للمتعاملين مع البنوك التجارية (نموذج A) ، في حين أن النموذج الأخر (نموذج B) موجه للمتعاملين مع البنوك الإسلامية ، يبين ملحق

٢ في نهاية البحث هذين النموذجين . كما تم تحكيم النموذجين من أشخاص مختصين ، وتحققنا من وضوحهما بتوزيع عينه عشوائية على بعض من عملاء البنوك لاستكشاف مدى وضوح الأسئلة وعدم قابليتها للتأويل وسوء الفهم .

قُسّم كل نموذج إلى قسمين ، القسم الأول من نموذج A يتضمن ثمانية أسئلة تتمحور حول الأسباب التي تدفع بالعميل للتعامل مع البنوك التجارية ، الأسئلة السبعة الأولى منها محدده في حين ترك السؤال الثامن مفتوحاً لتوفير الحرية المطلقة للعميل لتحديد أية أسباب أخرى يراها ضرورية في اختياره . أما القسم الثاني فيتضمن ثلاثة عشر سؤالاً تدور حول الأسباب التي تقف حائلا أمام المتعاملين مع البنوك التجارية للتعامل مع البنوك الإسلامية . أما القسم الأول من نموذج B فيتضمن عشرة أسئلة حول الأسباب التي تدفع العميل لتفضيل التعامل مع البنوك الإسلامية . الأسئلة التسعة الأولى محددة ، وأبقي على السؤال العاشر مفتوحا . ويتضمن القسم الثاني من النموذج B خمسة أسئلة لتحديد الأسباب التي تدفع المتعاملين مع البنوك الإسلامية للابتعاد عن التعامل مع البنوك التجارية .

لتوفير المرونه للمستقصين في إجابتهم ، تم إعداد نموذجي الاستبانة لتكون الإجابة وفق مقياس نسبي ثلاثي (هام ، قليل الأهمية ، لا أدري) ، بحيث تمثل كل درجة منها مستوى التأييد الذي يوليه عملاء البنك للمتغير موضع التساؤل . وقد اتخذ هذا المقياس الشكل التالي واعتمد في تحليل البيانات المجمعه على استخدام نظام التحليل الإحصائي . SPSS

فئة الإجابة	الوزن النسبي في التحليل الإحصائي
مهم	٣
قليل الأهمية	٢
لا أدري	١

٥ . تحليل نتائج الدراسة :

٥-١ . تحليل متغيرات المتعاملين مع البنوك الأسلامية :

٥-١-١ . متغيرات التعامل مع البنوك الإسلامية :

يظهر تحليل التباين الأحادي (One way ANOVA) للفرضية الأولى (H1) المبين في الجدول ٢ أن قيمة الاختبار الإحصائي ((F جاء مساويا للقيمة ٦،٥٨٩ ، وبمقارنتها مع القيمة الحرجة ذات درجتي حرية (٣١ و ٢) وعند مستوى معنوية (٠,٠٥) والمساوية للقيمة ٣,٢ نلاحظ أن هناك فروقاً ذات دلالة إحصائية معنوية كافية لأن نقبل هذه الفرضية ، ونؤكد بأن التعامل مع البنوك الأسلامية نابع من المعتقدات الدينية لدى المتعاملين بأن الفوائد البنكية هي ربا محرم شرعاً .

جدول ٢

نتائج تحليل التباين الأحادي لتأثير المعتقدات الدينية بأن الفوائد البنكية هي ربا محرم شرعاً على التعامل مع البنوك الإسلامية .

مقدار التباين	درجات	مجموع الحرية	متوسط المربعات	قيمة F المربعات	مستوى المعنوية
بين المجموعات	٢	٠,٩٦٠	٠,٤٨٠	٦,٥٨٩	٠,٠٠٤
داخل المجموعات	٣١	٢,٢٥٨	٧,٢٨٣		

وتؤكد هذه النتيجة نتائج التحليل الإحصائي لمتغيرات تفضيل التعامل مع البنوك الإسلامية ، المبينة في جدول ٣ ، وقد رتبت تنازلياً حسب أهميتها اعتماداً على قيم المتوسطات الحسابية لآراء العينة حول تأثير تلك المتغيرات على سلوكهم . فاعتقاد المتعاملين بأن الفائدة التي تتعامل بها البنوك التجارية هي رباً محرم شرعاً جاء في المرتبة الأولى للعوامل المؤثرة في سلوكهم .

فمتوسط آراء العينة جاء مرتفعاً بشدة ليصل الى ٢,٨٥ نقطة ، مشيراً بذلك أن السبب الرئيس الذي يدفع بهذه الفئة من الناس للتعامل مع البنوك الإسلامية هو سبب ديني . وبالتالي فإن وجود البنوك الإسلامية يلبي إحتياجات هذه الفئة من المجتمع .

جدول (٣)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمتغيرات تفضيل التعامل مع البنوك الإسلامية مرتبة تنازلياً حسب أهميتها

المتغير	المتوسط الحسابي	الإنحراف المعياري
١ . اعتقادي بأن الفائدة التي تتعامل بها البنوك التجارية هي رباً محرم شرعاً .	٢,٨٥٢٩	٠,٤٣٥٧
٢ . هي مؤسسات تتبين الطرق الشرعية الى حد ما ، وهي على كل حال أقل حرمة من البنوك التجارية .	٢,٧٣٥٣	٠,٦١٨٣
٣ . إمكانية توفير المستلزمات الأساسية بطريقة البيع المشروع .	٢,٥٨٨٢	٠,٥٥٦٩
٤ . اطمئناني الى عدم تراكم الفوائد في حالة التأخير في سداد الأقساط لعذر ما .	٢,٥٥٨٨	٠,٦٦٠٢
٥ . تشجيع المؤسسات المالية الإسلامية حتى لو كانت خدماتها دون المستوى المطلوب .	٢,٥٥٨٨	٠,٦٦٠٢
٦ . سهولة ويسر التعامل .	٢,٣٢٣٥	٠,٧٦٧٥
٧ . توفر لي كافة ما أحتاجه من خدمات مالية .	٢,٢٠٥٩	٠,٦٨٦٦
٨ . القرب من مكان العمل (او المنزل) .	٢,٠٨٨٢	٠,٧١٢١
٩ . معدلات توزيع الأرباح السنوية التي تدفعها البنوك الإسلامية للمودعين تعتبر مقبولة .	١,٨٢٣٥	٠,٧١٦٥

يأتي في المرتبة الثانية من الأهمية قناعة المتعاملين مع البنوك الإسلامية

بأن هذه البنوك تسعى دائماً لتتبين الطرق الشرعية في تعاملها ، ومهما يكن من أمر فإنهم يعتبرونها أقل حرمة من البنوك التجارية . يلي ذلك في الأهمية قناعة هذه الفئة من الناس ، بمتوسط ٢,٥٨٨ نقطة ، بأن البنوك الإسلامية قد نجحت في تقديم أساليب للتعامل التجاري الحلال الذي يلبي احتياجاتهم كافة ، ويعتبر ذلك مؤشراً جيداً على نجاح البنوك الإسلامية في هذا المجال .

جاء بالمرتبة الرابعة في الأهمية للتعامل مع البنوك الإسلامية أن المتعاملين مع هذه البنوك يقدمون على التعامل معها وهم مطمئنون إلى أنها لن تقوم بإضافة أية أعباء مالية جديدة عليهم (فوائد تأخير) في حالة مواجهتهم لظروف مالية طارئة خارجة عن إرادتهم وأدت الى عجز العميل عن سداد الأقساط المطلوبة منه . فأظهر متوسط آراء العينة ٢,٥٦ نقطة ليعطي دلالة قوية على فاعلية هذا الأسلوب في استقطاب العملاء . فمن المعروف أن البنوك التجارية ترهق كاهل المدين المعسر مالياً الذي يعجز عن سداد دينه بأعباء مالية إضافية تتزايد بزيادة الزمن . ولكن سياسة ومنهج البنوك الإسلامية يختلف جذرياً في هذا الشأن ، فالبنوك الإسلامية تعتبر ما تتقاضاه من زيادة من العميل في نشاط المرابحة (التقسيط) بأنه بمثابة ربح ، ولا يجوز تقاضي الربح أكثر من مرة واحدة ، وبالتالي إذا عجز المدين عن سداد دينه لا تقوم البنوك الإسلامية بإضافة أية زيادة إلى قيمة الدين الذي عجز المدين عن سداده .

للتحقق من صحة الفرضية الثانية (H2) ، او عدم صحتها ، تبين نتيجة تحليل التباين الأحادي لسماحة الدين الإسلامي في تفضيل التعامل مع البنوك الإسلامية أن قيمة $F = 6.143$ كما في جدول ٤ . بمقارنة هذه القيمة مع القيمة الحرجة والبالغة ٣,٢ عند درجتي حرية (٣١ ، ٢) ومستوى معنوية ٠,٠٥ ، نجد أن هناك فروقاً ذات دلالة إحصائية معنوية كافية تدعونا لقبول هذه الفرضية والتأكيد على أن لسماحة الدين الإسلامي ، وخاصة في حالة الاعسار المالي للمدين ، والمستمدة من قوله تعالى في سورة البقرة ((وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة)) الآية ٢٧٩ ، أثراً مباشراً للإقدام على التعامل مع البنوك الإسلامية .

جدول ٤

نتائج تحليل التباين الأحادي لتأثير سماحة الدين الإسلامي على التعامل مع البنوك الإسلامية

مقدار التباين	درجات الحرية	مجموع المربعات	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى المعنوية
بين المجموعات	٢	٠,٩١٣	٠,٤٥٧	٦,١٤٣	٠,٠٠٦
داخل المجموعات	٣١	٢,٣٠٤	٧,٤٣٣		

كما تشير نتائج الدراسة إلى أن دور المتعاملين واهتمامهم بضرورة دعم وتشجيع المؤسسات المالية الإسلامية ، حتى لو كانت خدماتها دون المستوى المطلوب ، قد جاء بالمرتبة الخامسة . وقد ظهرت قيمة المتوسط الحسابي للآراء عند ٢,٥٦ نقطة مشيراً الى وجود إحساس قوي لدى المتعاملين لتشجيع فكرة البنوك الإسلامية واستعدادهم لمساندتها والتعامل معها حتى وإن واجهتهم بعض المشاكل والمعوقات . وهذا يدل أيضاً على أنهم لا يتوقعون أن يكون مستوى الخدمات التي تقدمها البنوك الإسلامية ، حديثة التأسيس نسبياً ، مماثلاً لمستوى الخدمة في البنوك التجارية التي تطورت على مدى عدة عقود إلى أن وصلت الى ما هي عليه الآن . كما جاءت سهولة ويسر التعامل بالمرتبة السادسة في الأهمية ، بمتوسط آراء ٢,٣ نقطة ، وهذا يعطينا دلالة على أن المتعاملين مع البنوك الإسلامية لا يعطون هذا الجانب إلا أهمية نسبية محدودة .

أظهرت النتائج أن قدرة البنوك الإسلامية على توفير جميع احتياجات المتعاملين من الخدمات المالية جاء بالمرتبة السابعة ، بمتوسط آراء بلغ ٢,٢ نقطة . ويشير ذلك إلى أن المتعاملين مع البنوك الإسلامية يرون أن هذه البنوك بحاجة الى تطوير خدماتها المالية وبما يتناسب مع احتياجات وتعقيدات التعامل التجاري الحالي . وتسعى البنوك الإسلامية بدورها دائماً إلى تقديم ما يحتاجه

عـمـلاؤها شـريطة أن يتناسب ذلك مع أحكام الشـريعـة الإسـلامـيـة ، لذلك حرصت هذه البنوك على وجود لجنة شرعية دائمة في البنك ، أوكل اليها إبداء الرأي النهائي في أية معاملة مالية مستحدثة ، أو مشكوك في صحتها شرعاً ، أو غير مألوفة في التعامل العادي للبنك الإسلامي . إن سعي البنوك الإسلامية لتوفير خدمات مالية ومصرفية متنوعة مماثلة لما تقدمه البنوك التجارية يمثل عاملاً مهماً في تطوير نفسها لتمثل عامل منافسة حقيقيا للبنوك التجارية واستقطاب شريحة واسعة من العملاء .

أمـا مسـألة قـرب مـوقع العـمل أو السكن من البنك في التـأثيـر على قـرار التعـامل فجاءت في المرتبـة الثـامنة ، وأشـار متـوسط الآراء (٢,٠٩ نقطة) إلى وجود اتجاه يميل لمستوى الحياد حول تأثير هذا العامل . فهناك تذبذب واضح في آراء المتعاملين حول ما إذا كانت رغبتهم في التعامل مع البنك الإسلامي ناتجة عن قرب البنك من مكان العمل أو السكن ، واعتبروا هذا عاملاً غير اساسي في اتخـاذ القـرار . وبذلك فإن تعاملهم مع البنوك الإسـلاميـة ناشئ عن قناعة مطلقة بحاجتهم لمؤسسات مالية تطبق أحكام الشريعة الإسلامية وتبعدهم عن التعامل الربوي للبنوك التجارية ، فالمسافة التي تفصل بينهم وبين أماكن وجود البنوك الإسلامية لا يشكل عائقاً أمامهم للتعامل معها .

وبالمرتبـة التـاسعـة جاءت مسألة الأرباح الموزعة من البنوك الإسلامية على المودعين ومدى ملائمتـهـا لهم ، فقـد أشـار متـوسط آرائهم الى وجود تأثيـر يميل لمستوى قليل الأهمية (١,٨٢ نقطة) لمدى تأثير هذا العامل على قرارهم بالتعامل مع البنوك الإسلامية . فالأرباح الموزعة عليهم لن تكون سبباً أساسياً لدفعهم للتعـامل مع البنوك الإسـلامـيـة وبالتـالي فـإن نظرة هؤلاء المتـعـاملين لا تتـسم باتجاهات مادية فقط وإنما هناك جوانب روحانية دينيـة تتمثـل في الابتـعـاد عن الربا المحرم والسعي وراء الربح الحلال .

ومن العوامل الأخرى للتعامل مع البنوك الإسلامية ، كما أشار لها بعض العملاء في سياق إجابتهم للسؤال الثامن :

- إمكانية كشف الحساب الجاري بدون فائدة .
- مراعاة ظروف العميل .
- أقل شراً من البنوك التجارية ولكنها ليست الأفضل .
- من واجبي كمسلم أن أتعامل معها .
- العلاقات الشخصية وحسن التعامل .

٢-١-٥ . متغيرات عدم التعامل مع البنوك التجارية :

يظهر جدول ٥ نتائج التحليل الاحصائي لمتغيرات عدم تفضيل المتعاملين مع البنوك الإسلامية التعامل مع البنوك التجارية ، وقد تم ترتيبها تنازلياً حسب أهميتها بالاعتماد على متوسطات آراء مفردات العينة تجاه تلك المتغيرات . يستدل من تلك النتائج أن المعتقدات الدينية بأن الفوائد التي تتعامل بها البنوك التجارية هي رباً محرم شرعاً تحول وبالدرجة الأولى دون إقدامهم على التعامل مع هذه البنوك ، فجاء متوسط آراء العينة مرتفعاً اتجاه ذلك وبلغ ٢,٧٩ نقطة . وهذا مؤشر واضح إلى أنهم ينظرون للبنوك التجارية كبنوك ربوية لا يجوز التعامل معها . وتمثل هذه القناعة ، بحد ذاتها ، سبباً أساسياً وجوهرياً لضرورة تواجد البنوك الإسلامية لتعمل على توفير الاحتياجات المالية والمصرفية لهذه الفئة من أفراد المجتمع . وفي الوقت ذاته ، يصعب على البنوك التجارية تغيير هذه المعتقدات أو التشكيك فيها .

جدول (٥)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمتغيرات عدم تفضيل التعامل مع البنوك التجارية مرتبة تنازلياً حسب أهميتها

المتغير	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
١- معتقداتي الدينية بأن الفائدة هي ربا محرم شرعاً .	٢,٧٩٤١	٠,٥٩١٨
٢- في حالة عجزي عن السداد لسبب ما تقوم بإضافة فوائد تأخيرية إضافة الى الدين .	٢,٤١١٨	٠,٧٤٣٤
٣- الازدحام وكثرة المتعاملين معها .	١,٩٤١٢	٠,٦٤٨٦
٤- صعوبة التعامل أحياناً .	١,٨٨٢٤	٠,٧٢٨٨

في المرتبة الثانية من الأهمية جاء أسلوب تعامل البنوك التجارية المتمثل بإضافة فوائد تأخير على أية مبالغ يعجز العميل المدين عن دفعها في الوقت المحدد للسداد ، كأسلوب منفر للتعامل معها ، فبلغ متوسط الآراء ٢,٤١ نقطة ، وفي هذا مؤشر ذو دلالة هامة بخصوص امتناع المتعاملين مع البنوك الإسلامية عن التعامل مع البنوك التجارية . فالبنوك التجارية لا تراعي ظروف العميل وما قد يواجهه من صعوبات أو أزمات مالية تحول دون مقدرته على سداد التزاماته المالية في مواعيدها ، فاهتمام البنوك التجارية الأساسي يكون مقتصراً على مصلحة البنك وتعظيم أرباحه . بالمقابل فإن البنوك الإسلامية ، كما بينا سابقاً ، لا تتعامل بهذا الأسلوب ، فلا تقوم بإضافة أية أعباء مالية جديدة على العميل المعسر أو العاجز عن السداد . وفي هذا الأسلوب ميزة رئيسية يمكن للبنوك الإسلامية الإفادة منها في رسم سياساتها الترويجية لاجتذاب العملاء .

أما الازدحام وكثرة المتعاملين مع البنوك التجارية كعامل مؤثر في الابتعاد

عن التعامل معها ، فقد جاء بالمرتبة الثالثة وبتأثير ضعيف ، فقد أشار متوسط الآراء (١,٩٤ نقطة) الى وجود اتجاه قليل الأهمية لدى عملاء البنوك الإسلامية حيال هذا الأمر . ويعني ذلك أن مسألة قضاء العميل وقتاً طويلاً أثناء مراجعته للبنوك التجارية من أجل الحصول على الخدمة التي يريد هو أمر لا يشكل عائقاً أساسياً يمنعه من التعامل معها . استناداً إلى هذه النتيجة يمكننا تأكيد أن عدم إقبال المتعاملين مع البنوك الإسلامية على التعامل مع البنوك التجارية يرجع إلى مسببات عقائدية تتمثل في ابتعادهم عن المحرمات الربوية .

وبالمرتبة الرابعة والأخيرة ، جاء عامل صعوبة التعامل مع البنوك التجارية . فقد أشار متوسط الآراء الى وجود اتجاه لدى العملاء يميل لمستوى قليل الأهمية (١,٨٨ نقطة) بخصوص تأثير الصعوبات التي يواجهها العميل في أثناء زيارته لتلك البنوك كسبب في عدم تعامله معها . وهذا مؤشر يدل على أن المتعاملين مع البنوك الإسلامية لا يرون أن هناك مشاكل أو صعوبات تحول دون تعاملهم مع البنوك التجارية ، إنما رفضهم للتعامل معها مرده إلى عدم ملاءمتها لهم . فهذه الفئة من المجتمع لديها قناعات تختلف جذرياً عن مبادئ وأسس عمل البنوك التجارية ، ولا يمكنها أن تتلاءم معها مهما أجرت إدارات تلك البنوك من تعديلات لتحسين اسلوب عملها وتطوير إجراءات العمل لديها .

خلاصة :

إن الدافع الأساس للتعامل مع البنوك الإسلامية يرجع بالدرجة الأساسية الى معتقدات المتعاملين معها الدينية المتمثلة بكون الفوائد البنكية التي تتعامل بها البنوك التجارية هي رباً محرم شرعاً . فهم يرون أن البنوك الإسلامية دائماً تتوخى البحث عن الطرق الحلال في الاستثمار . فالقناعات الدينية لعملاء البنوك الإسلامية تدفعهم للتعامل مع هذه البنوك حتى لو كان مستوى الخدمة التي تقدمها أقل جودة مما تقدمه البنوك التجارية ، وبالتالي لديهم الاستعداد لبذل أي جهد يتطلبه الوصول الى فروع هذه البنوك في حالة بعدها عنهم . أما

من حيث مستوى العائد الذي يمكن أن يوزعه عليهم البنك الإسلامي ، أو مقدار الخسارة التي يمكن أن تلحق بهم ، فليس ذلك بالأمر الجوهري في نظرهم ، فمحور اهتمامهم هو البعد عن التعامل بالربا المحرم .

إن سماحة الدين الإسلامي في التعامل التجاري يعتبر أحد الأسباب التي تدفع بالكثيرين للتعامل مع البنوك الإسلامية . وتتمثل سماحة الدين الإسلامي في أحد أوجهها في عدم قيام البنك الإسلامي بإضافة أية أعباء مالية جديدة على العميل المعسر مالياً ، أي غير القادر على تسديد التزاماته المالية في مواعيدها ، وذلك تمشياً مع ما جاء بالآية الكريمة ((وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة)) .

القناعة الدينية لدى عملاء البنوك الإسلامية بأن الفوائد البنكية هي ربا محرم شرعاً ، مقرونة بسماحة الدين الإسلامي في التعامل التجاري قد مثلا الأساس لتعاملهم مع هذه البنوك . إن هذه الشريحة من أفراد المجتمع ليس لديهم الاستعداد للتعامل مع البنوك التجارية مهما تقدم لهم من إغراءات مالية (كالجوائز النقدية أو معدلات فائدة مرتفعة) أو مهما توفر لهم من خدمات مصرفية متطورة ومتنوعة .

٥-٢ . تحليل متغيرات المتعاملين مع البنوك التجارية .

٥-٢-١ . متغيرات التعامل مع البنوك التجارية :

يشير الجدول (٦) الى نتائج التحليل الإحصائي لمتغيرات تفضيل التعامل مع البنوك التجارية وهي مرتبة تنازلياً حسب أهميتها استناداً الى متوسط آراء العينة باتجاه تلك المتغيرات ، ومنه يتضح أن توفير البنوك التجارية لجميع الخدمات المالية التي يحتاجها المتعاملين معها قد جاء بالمرتبة الأولى ، في حين احتلت سهولة ويسر التعامل المرتبة الثانية . في هذه النتيجة دلالة واضحة على أن قيام البنوك التجارية بتوفير مجال واسع ومتنوع من الخدمات المصرفية وفق

أفضل الأساليب المتاحة تكنولوجياً وبعيداً عن البيروقراطية الإدارية هما عاملان رئيسيان لاستقطاب العملاء . فعلى وجه العموم ، فإن المتعاملين يعطون اهتماماً خاصاً للاجراءات الإدارية والقانونية التي تتبعها إدارة البنك ، ويفضلون التعامل مع تلك البنوك التي تتسم إجراءاتها بالبساطة والسهولة وتوفر لهم ما يحتاجونه من خدمات مالية بعيداً عن الروتين وإضاعة الوقت . كما أن هذه النتيجة قد تعطينا مؤشراً مفاده أن البنوك التجارية تمتلك قاعدة من الخدمات المالية التي قد لا تتوفر لدى البنوك الإسلامية .

جدول (٦)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمتغيرات تفضيل التعامل مع البنوك التجارية مرتبة تنازلياً حسب أهميتها .

المتغير	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
١- توفير كافة الخدمات المالية .	٢,٨٢١٤	٠,٤٧١٣
٢- سهولة ويسر التعامل .	٢,٥٥٣٦	٠,٦٨٥٤
٣- القرب من مكان العمل أو المنزل .	٢,٥١٧٩	٠,٥٧١٨
٤- تحويل الراتب .	٢,٤٤٦٤	٠,٦٣٠١
٥- الجوائز المالية .	٢,٣٥٧١	٠,٧٤٩٠
٦- الفوائد التي تدفعها .	٢,٢٥٠	٠,٨١٤٦
٧- جرت العادة على ذلك .	٢,١٢٥	٠,٦٦٢٣

العامل الذي جاء بالمرتبة الثالثة لتفضيل التعامل مع بنك دون الآخر هو مدى قرب البنك من مكان العمل أو السكن ، فقد جاء متوسط الآراء ٢,٥٢ نقطة ، مشيراً إلى أن العملاء ينظرون بجدية الى المسافة بين البنوك ومكان عملهم أو سكنهم ، فكلما زادت هذه المسافة ابتعد المتعاملون عن التعامل مع البنك . وتفيد هذه النتيجة في التوصل الى حقيقة هامة مفادها أنه إذا ما رغب

أحد البنوك باستقطاب قاعدة أوسع من العملاء ، فإحدى الوسائل المتاحة لتحقيق ذلك هي قيامه بفتح فروع له في مناطق الكثافات السكانية أو في التجمعات الكبيرة للموظفين كالوزارات الحكومية أو الشركات المساهمة العامة أو الجامعات . وعلى ما يبدو فإن بعض البنوك التجارية كانت قد تنبهت لهذه النقطة ، فقامت بفتح فروع متعددة لها لتوفر خدماتها لأكبر عدد ممكن من العملاء ، فلبنك الإسكان ، على سبيل المثال ، ٩٦ فرعاً(٥) منتشرة في مختلف مناطق الأردن ، ويمثل هذا الرقم ما نسبته ٢٧,١٪ من اجمالي عدد فروع البنوك التجارية العاملة في الأردن .

بالمرتبة الرابعة تأثيراً في المفاضلة هي خدمة تحويل الراتب ، إذ يستطيع أي بنك تجاري أن يجذب نسبة عالية من المتعاملين استناداً إلى ما يتبعه من سهولة في الاجراءات لتمكينهم من الحصول على رواتبهم الشهرية وما يقدمه لهم من تسهيلات مالية أخرى متصلة بالراتب ، مثل الاقتراض بضمان الراتب وغيرها . وبالتالي فإن وجود فروع للبنك منتشرة في أماكن التجمعات الكبيرة للموظفين ، ومدى استعداده لتسهيل اجراءات استلامهم لرواتبهم وتقديم تسهيلات مالية لهم يمثل أيضاً عاملاً رئيسياً في استقطاب المتعاملين .

أشار متوسط آراء العينة (٢,٣٦ نقطة) الى وجود تأثير يميل لمستوى (مهم) بخصوص تاثير سياسات الجوائز المالية التي تنتهجها البنوك التجارية على اتجاهات العملاء للتعامل معها ، ويعني ذلك أن تلك السياسات قد كان لها تأثير إيجابي على سلوك المتعاملين . فمعظمهم يرون أن أحد الأسباب التي دعتهم للتعامل مع البنوك التجارية هو ما تقدمه من جوائز نقدية ، فهذه الجوائز بمثابة عوامل تشويق وترغيب وإثارة تتجه البنوك التجارية لتطبيقها بهدف استقطاب المزيد من ودائع المتعاملين . وعلى الرغم من احتلالها موقعاً متأخراً بالنسبة لدرجة المفاضلة لدى المتعاملين (المرتبة الخامسة) إلا أنه كان لها دورٌ كبيرٌ وأساسيٌ في التأثير على سلوكهم .

ويظهر جدول (٧) نتائج تحليل التباين الأحادي لتأثير الجوائز المالية وتنوع

الخدمات المصرفية على التعامل مع البنوك التجارية ، ومنه نجد أن قيمه F =17.1 ، وعند مقارنتها مع القيمة الحرجة ٣,١٥ ذات درجتي حرية (٥٣ ، ٢) ومستوى معنوية ٠,٠٥ ، يتبين لنا وجود دلالة إحصائية كافية لقبول الفرضية الخامسة (H5) والتأكيد على ان المتعاملين مع البنوك التجارية يفضلون التعامل مع هذا النوع من البنوك لأنهم يرون أنه سيكون أمامهم فرصة مناسبة للفوز باحدى الجوائز المالية التي تقدمها . فإذا ما أضفنا الى ذلك قدرة هذه البنوك على تقديم خدمات متنوعة لتلبية احتياجات عملائها ، فان المتعاملين مع البنوك التجارية يرون أنهم يحصلون على خدمات مالية متنوعة ومتكاملة بسهولة ويسر مع بقاء الاحتمال قائماً لفوزهم بإحدى الجوائز المالية التي تقدمها لهم هذه البنوك .

جدول (٧)

نتائج تحليل التباين الاحادي لتأثير الجوائز المالية وتنوع الخدمات المصرفية على التعامل مع البنوك التجارية

مقدار التباين	درجات	مجموع الحرية	متوسط المربعات	قيمة F المربعات	مستوى المعنوية
بين المجموعات	٢	٢,٨٤٧	١,٤٢٤	١٧,١	٠,٠٠٠
داخل المجموعات	٥٣	٤,٤١٢	٨,٣٢٥		

بالمرتبة السادسة جاء عامل نسبة الفوائد التي تدفعها البنوك التجارية لعملائها ، فقد أشار متوسط الآراء (٢,٢٥ نقطة) الى وجود تأثير يميل لمستوى (مهم) الضعيف نسبياً بخصوص تأثير سياسات دفع الفوائد للمتعاملين كأحد العوامل المؤثرة للتعامل مع البنوك التجارية . ويعني ذلك أن الفوائد التي تدفعها تلك البنوك لعملائها لها تأثير على سلوكهم واجتذابهم نحوها ، ولكنه تأثير محدود لم يظهر بالمستوى العالي الذي كان متوقعاً . ويمكن تفسير هذه النتيجة

بطريقتين ، أولاهما أن تنوع وسهولة إجراء المعاملات قد احتلت مواقع متميزة في درجة المفاضلة وذلك على حساب تأثير عامل الفائدة ، وثانيتهما قد ترجع إلى تردد المتعاملين في الإقرار صراحة بأن استلام الفائدة هو سبب رئيسي في تفضيلهم للتعامل مع البنوك التجارية . ولا يبدو هذا التفسير مستغرباً ؛ لأن البنوك الإسلامية في الأردن تقوم بتوزيع أرباح سنوية تقارب ، وفي بعض الأحيان تفوق معدلات الفائدة التي تدفعها البنوك التجارية لعملائها ، ولكن البنوك الإسلامية لا تزال عاجزة عن استقطاب أعداد واسعة من المتعاملين مع البنوك التجارية . ولعل طبيعة الخدمات التي تقدمها البنوك التجارية وسهولة تقديمها هي السبب في فشل البنوك الإسلامية هذا ، مما يفرض على البنوك الإسلامية تحدياً مستمراً يتمثل في ضرورة مواصلة تطوير خدماتها واجراءاتها الإدارية لترقى الى مثيلاتها في البنوك التجارية .

أما جدول ٨ فيظهر نتائج تحليل التباين الأحادي لنظرة المتعاملين للفائدة باعتبارها عائداً على أموالهم التي يستثمرها البنك نيابة عنهم وليست رباً محرما ، وبالتالي يقبلون على التعامل مع البنوك التجارية دون تردد ، ومنه نجد أن قيمة $F=18.07$ ، وعند مقارنتها مع القيمة الحرجة ٣,١٥ ذات درجتي حرية (٥٣ ، ٢) ومستوى معنوية ٠,٠٥ ، يتبين لنا وجود دلالة إحصائية كافية لقبول الفرضية الثالثة (H3) والتأكيد على أن المتعاملين مع البنوك التجارية لا يرون في الفائدة المستلمة ربا محرماً شرعاً . وهذه النتيجة ، بحد ذاتها ، تمثل تحدياً للبنوك الإسلامية يتمثل في كيفية إيجاد الوسائل الترويجية المناسبة لاستقطاب أولئك المتعاملين . وهنا نرى أنه يجب أن تتمحور الحملات الدعائية للبنوك الإسلامية على أمرين ، أولهما : أن توفر البنوك الإسلامية لعملائها ، بسهولة ويسر ، خدمات مالية ومصرفية متطورة ومنافسة لما تقدمه البنوك التجارية ، مع ما يتضمنه ذلك من ميزة عدم إضافة فوائد تأخير على المدين المعسر مالياً . والأمر الثاني : أن تعمل البنوك الإسلامية على دعم برامج التوجيه الديني في المجتمع وخاصة تلك المتعلقة بالتعاملات التجارية والمال في الإسلام .

جدول ٨

نتائج تحليل التباين الأحادي لتأثير نظرة عملاء البنوك التجارية للفائدة باعتبارها عائداً على استثمار أموالهم وأثر ذلك على التعامل مع البنوك التجارية .

مقدار التباين	درجات الحرية	مجموع المربعات	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى المعنوية
بين المجموعات	٢	٢,٩٤٣	١,٤٧٢	١٨,٠٧١	٠,٠٠٠
داخل المجموعات	٥٣	٤,٣١٦	٨,١٤٤		

أقل العوامل تأثيراً جاء العامل الممثل للاتجاه العام لسلوك المتعاملين (جرت العادة على التعامل مع البنوك التجارية) . فقد جاء متوسط الآراء (٢,١٢٥ نقطة) مشيراً لوجود اتجاه يميل نحو الحياد لدى المتعاملين ، فلم يستطيعوا إعطاء قرار واضح حول تأثير الاتجاه العام في عملية المفاضلة لاختيار البنك الذي يريدون التعامل معه . ويمكن للبنوك الإسلامية الإفادة من هذه النتيجة التي تبين أن مجال المنافسة بينها وبين البنوك التجارية مفتوح على مصراعيه ، فليس هناك ميول مسبقة لدى عملاء البنوك التجارية للتعامل مع بنك دون الآخر .

ومن الأمور غير المتوقعة التي كشفت عنها الدراسة ، أن بعض المتعاملين مع البنوك التجارية لديهم القناعة بأن الفوائد البنكية هي رباً محرم شرعاً ، ولكنهم يتعاملون مع البنوك التجارية دون أن يتقاضوا منها أية فوائد على أموالهم المودعة لديها . ويشير هؤلاء المتعاملون إلى أن تعاملهم مع البنوك التجارية مرجعه إلى الخدمات التي تقدمها هذه البنوك وسرعة تقديمها . وهذا السلوك ، لهذه الفئة من العملاء ، يمثل تحدياً جدياً للبنوك الإسلامية في كيفية تطوير وتنويع خدماتها لاجتذابهم للتعامل معها .

٢-٢-٥ . متغيرات عدم التعامل مع البنوك الإسلامية

يعكس جدول ٩ نتائج التحليل الإحصائي للمتغيرات المعيقة للتعامل مع البنوك الإسلامية ، وهي مرتبة تنازلياً حسب درجة تأثيرها استناداً لمتوسط آراء المتعاملين مع البنوك التجارية . من النتائج غير المتوقعة التي يظهرها الجدول أن يأتي في المرتبة الأولى أهميةً قناعة المتعاملين بأن الأرباح التي تطلبها البنوك الإسلامية ، في بعض الأحيان ، أكبر مما تطلبه البنوك التجارية من فوائد على القروض التي تقدم لهم ، فقد جاء متوسط الآراء (٢,٥٧١ نقطة) مشيراً الى أن المتعاملين ينظرون الى هذا الأمر بأهمية عند المفاضلة في التعامل ما بين البنوك الإسلامية والتجارية .

فإذا ما تجاهلنا الوازع الديني فان العميل عند حاجته للمال (او للاقتراض) فانه يبحث عن البنك الذي يقدم له التمويل اللازم بأدنى تكلفة ممكنة ، وبغض النظر عن تسمية تلك التكلفة (فائدة أو ربحاً) . وتتضمن هذه النتيجة تحدياً حقيقياً للبنوك الإسلامية التي يجب عليها أن تقدم أدلة ملموسة للعملاء بأن ما تتقاضاه من أرباح ، في نشاط المرابحة مثلاً ، هو أقل قيمة ، أو على أقل تقدير ، لا يفوق قيمة ما تتقاضاه البنوك التجارية من فوائد على القروض .

جدول (٩)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمتغيرات عدم التعامل مع البنوك الإسلامية مرتبة تنازلياً حسب أهميتها

المتغير	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
١- ما تطلبه من أرباح على السلع المشتراة بطريقة المرابحة في بعض الأحيان أكبر مما تطلبه البنوك التجارية على القروض .	٢,٥٧١٤	٠,٦٢٨٣
٢- تتعامل مع الفائدة ولكن بمسميات مختلفة .	٢,٥١٧٩	٠,٦٨٧٣

٣- البطء في انجاز التعاملات أحياناً واعتماد أساليب قديمة في مقابل أساليب متطورة لدى البنوك التجارية .	٢,٤٨٢١	٠,٧١٣٣
٤- عدم توفر المعلومات الكافية عن فلسفة عمل البنوك الإسلامية .	٢,٤٤٦٤	٠,٧١١٥
٥- البنوك الإسلامية لا تقدم حسومات من أرباح الأقساط في حالة الرغبة في تعجيل سداد الدين .	٢,٣٧٥٠	٠,٧٥٢٣
٦- لا أرى أن هناك فروقاً جوهرية بين البنوك الإسلامية والبنوك التجارية .	٢,٣٥٧١	٠,٧٩٦١
٧- لا أجد حوافز للتعامل معها .	٢,٢٨٥٧	٠,٨٢٤٩
٨- معدلات توزيع الأرباح على المودعين في البنوك الإسلامية هي في حدود مقاربة لمعدلات الفائدة في البنوك التجارية .	٢,٢٦٧٩	٠,٧٥٠٥
٩- عدم تقيدها بالضوابط والشروط الشرعية لبعض التعاملات .	٢,٢٣٢١	٠,٨٣١٠
١٠- مزاجية التعامل عند بعض الموظفين .	٢,١٠٧١	٠,٨٢٤١
١١- عدم اهتمامي بالبنوك الإسلامية .	٢,٠	٠,٧٨٦٢
١٢- عدم الثقة بالقائمين عليها .	١,٨٣٩٣	٠,٨٢٦٣

بالمرتبة الثانية ، وبأهمية عالية (٢,٥٢ نقطة) ، جاء اعتقاد المتعاملين بأن البنوك الإسلامية تتعامل بالفائدة ، شأنها شأن البنوك التجارية ، ولكنها تلجأ إلى استخدام مسميات وأسلوب عمل مختلف عن تلك التي تتبعها البنوك التجارية ، وبالتالي فهم لا يرون في البنوك الإسلامية إلا وجهاً آخر للبنوك التجارية . فالبنوك الإسلامية والتجارية ، بالنسبة لهم ، ما هما إلا وجهان لعملة

واحدة ، أي أنهما اسمان مختلفان لشيء واحد . وتشير هذه النتيجة إلى ضعف واضح في دور العلاقات العامة لدى البنوك الإسلامية ، او إلى قصور من إدارات تلك البنوك فيما يتعلق بسياسات ترويج خدمات البنوك الإسلامية .

وجاء بطء إجراءات التعاملات المالية واستخدام أساليب قديمة لدى المصارف الإسلامية بالمرتبة الثالثة أهمية في المسببات التي تحول دون التعامل معها . ويمكن أن يرجع السبب في ذلك لصعوبة إتمام الاجراءات القانونية او الفقهية التي قد تتطلبها هذه المعاملات ، أو ربما يكون التأخير ناتجاً عن اتباع البنوك الإسلامية لأساليب قديمة خالية من عناصر الحداثة .

بالمرتبة الرابعة جاء عامل عدم توفر معلومات كافية لدى المتعاملين حول فلسفة عمل البنوك الإسلامية وطبيعة الاجراءات المالية التي تسير عليها . فالدراسة تكشف لنا عن أن هناك نسبة عالية جداً من المتعاملين مع البنوك التجارية لا يمتلكون معلومات كافية عن سياسات البنوك الإسلامية ، ونتيجة لذلك لا يميلون للتعامل معها . وفي هذا تأكيد آخر على وجود ضعف في سياسات العلاقات العامة في البنوك الإسلامية وعدم قدرتها على إقامة جسور ترابط بينها وبين المتعاملين . فقطاع كبير من المتعاملين مع البنوك التجارية ما يزال يجهل أساليب وطرق عمل البنوك الإسلامية ، مما ترتب عنه ابتعادهم عن التعامل معها .

ويظهر جدول ١٠ نتائج تحليل التباين الأحادي لعامل عدم توفر المعلومات وتأثيره على عدم الاقبال على التعامل مع البنوك الإسلامية من بعض المتعاملين مع البنوك التجارية ، ومنه نجد أن $F = 8.934$ وبمقارنتها مع القيمة الحرجة ٣,١٥ ذات درجتي حرية (٥٣ ، ٢) ومستوى معنوية ٠,٠٥ يتضح أن هناك دلالة احصائية معنوية كافية لقبولنا الفرضية الثالثة (H3) التي تؤكد أن عدم توفر معلومات كافية عن طبيعة التعاملات المالية والتجارية للبنوك الإسلامية لدى كثير من المتعاملين يمثل سبباً رئيسياً في عدم تعاملهم معها . فهناك نسبة عالية

من المتعاملين يجهل فلسفة عمل البنوك الإسلامية وأوجه اختلاف طبيعتها عن البنوك التجارية الأمر الذي يجعلهم يظنون أن البنوك الإسلامية والتجارية هما وجهان لعملة واحدة ، وهم بذلك لا يفرقون بين تعاملات كلا النوعين وبالتالي لا يستطيعون التمييز بينهما وإتخاذ قرار حول تفضيل أحدهما على الآخر .

جدول ١٠

نتائج تحليل التباين الأحادي لتأثير عدم توفر المعلومات على عدم الإقبال للتعامل مع البنوك الإسلامية .

مقدار التباين	درجات الحرية	مجموع المربعات	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى المعنوية
بين المجموعات	٢	٢,٠٠٠	١,٠٠٠	٨,٩٣٤	٠,٠٠٠
داخل المجموعات	٥٣	٥,٩٣١	٠,١١٢		

وعند الأخذ بالحسبان اعتقاد المتعاملين بأن البنوك الإسلامية تتعامل بالفائدة ولكن بمسميات مختلفة ، وهو ما أشرنا إليه سابقا ، فإننا نصل إلى نتيجة مفادها أن عدم توفر المعلومات الكافية عن الفلسفة الاستثمارية للبنوك الإسلامية وأساليب عملها قد ساهما في تشكيل هذه القناعات الخاطئة عن البنوك الإسلامية لدى عملاء البنوك التجارية ، وتقع على إدارات البنوك الإسلامية مسؤولية هذا الوضع . فعلى ما يبدو فإن هذه الإدارات ترى أنه طالما أن بنوكها تحمل شعار الإسلام فيجب على المسلمين التعامل معها ، وبالتالي ليس هناك مبرر للقيام بأية أنشطة ترويجية للبنوك الإسلامية . فإذا كان الحال كذلك ، فانني أرى أن تلك الإدارات تسير على منهجية خاطئة يجب تعديلها بحيث تراعي في المنهجية الجديدة أن البنوك الإسلامية ما هي إلا مؤسسات مالية نشاطها الرئيسي يتمثل بقيامها بدور الوساطة المالية بين أصحاب الفوائض

المالية ومن هم بحاجة لهذه الأموال ، وبالتالي فهي عرضة للمنافسة بأشكال وأساليب عدة ويجب عليها اللجوء لأساليب الدعاية والترويج لتسويق خدماتها لاستقطاب المتعاملين .

إن عدم وجود حسومات في حالة رغبة العميل بتعجيل سداد دينه ، له تأثير واضح على عدم التعامل مع البنوك الإسلامية ، إذ جاء بالمرتبة الخامسة وبمتوسط آراء (٢,٣٨ نقطة) مما يعكس وجود تأثير مهم حول عدم تعامل المتعاملين مع البنوك التجارية مع البنوك الإسلامية . بعبارة أخرى ، إن عدم قيام البنوك الإسلامية باعطاء العميل أية خصومات مالية على قيمة الدين المستحق عليه إذا ما رغب بتعجيل السداد يعتبر من العوامل الهامة لعدم التعامل مع هذه البنوك .

ففي نشاط المرابحة ، النشاط الرئيسي للبنوك الإسلامية ، يقوم البنك الإسلامي ، بناء على طلب عميله ، بشراء السلعة التي يحتاجها ذلك العميل ، ثم يعيد بيعها له بسعر أعلى من سعر الشراء ، بحيث يقوم العميل بسداد الثمن على أقساط دورية متفق عليها مسبقاً ، ويمثل الفرق بين سعري الشراء والبيع ربحاً للبنك . وإذا رغب العميل في سداد الأقساط كاملة ، او جزء منها ، قبل موعد استحقاقها (تعجيل الدفع) ، فإن البنك الإسلامي لا يقدم له أي خصم من قيمة الأقساط الاسمية ، ويبقى العميل مطالباً بسداد قيمة الأقساط كاملة . بالمقابل إذا اقترض العميل من بنك تجاري وعلى أساس أن يقوم بسداد الدين وفوائده على أقساط دورية ورغب العميل ، في فترة لاحقة ، بتعجيل دفع الأقساط ، او جزء منها ، فان البنك التجاري يعفيه من ذلك الجزء غير المستحق من الفائدة ، وكأن البنك التجاري يقدم للعميل خصماً من القيمة الاسمية للدين ، وبالتالي يسدد العميل مبلغاً أقل من القيمة الاسمية الاجمالية للأقساط . في ظل هذه الممارسة فإن الكثير من المتعاملين يفضلون التعامل مع البنوك التجارية ، لأنه في حالة تحسن الوضع المالي للعميل ، فانه يستطيع ، إذا رغب في ذلك ، التخلص من دينه والحصول على خصم (او اعفاء من

الفائدة) ، في حين لا يمكنه الحصول على أية حسومات عند التعامل مع البنك الإسلامي . فالعميل المدين للبنك الإسلامي لا يجد أي حوافز تدفعه لتعجيل سداد دينه إذا ما رغب بذلك .

يوفر هذا الأسلوب من التعامل ميزة رئيسية للتعامل مع البنوك التجارية بدلاً من البنوك الإسلامية ، مما يفرض على إدارات البنوك الإسلامية وهيئاتها التشريعية تحدياً حقيقياً لكيفية التعامل مع هذا الوضع . وإذا ما أضفنا الى ذلك حقيقة أخرى وهي أن البنوك الإسلامية تستثمر بكثافة في مجالي المباني والعقارات[٦] ، صعبة التسييل ، لتبين لنا مدى حاجة هذه البنوك للسيولة الدائمة ، لكن عدم توفر الحسومات على الديون (الأقساط) أمر لا يشجع المدينين على السداد المبكر لديونهم ، مما يزيد من عبء السيولة على كاهل البنوك الإسلامية .

بالمرتبة السادسة جاء عامل عدم شعور المتعاملين مع البنوك التجارية بأن هناك اختلافات جوهرية بين البنوك الإسلامية والتجارية ، وبالتالي ليس هناك ما يدفعهم لتغيير البنوك التي يتعاملون معها والتحول الى التعامل مع البنوك الإسلامية ، فقد جاء هذا الاتجاه يميل لمستوى (هام) عند ٢,٣٦ نقطة . فبتصور هذه الفئة من المتعاملين أن البنوك الإسلامية لا تنفرد بخصائص جوهرية تميزها عن البنوك التجارية ، فهي ، من وجهة نظرهم ، تتعامل بالمعاملات المالية والأساليب نفسها السائدة في البنوك التجارية ولكن بمسميات مختلفة . وفي هذه النتيجة دلالة أخرى على ضعف دور العلاقات العامة ودورها الاعلامي والترويجي ، فلابد للبنوك الإسلامية من اتخاذ الاجراءات الكفيلة بمعالجة هذه القناعات .

جاء بالمرتبة السابعة عامل الحوافز كمؤثر على جذب المتعاملين للبنوك التجارية ، فمتوسط الآراء (٢,٢٩ نقطة) يشير لوجود تأثير ، وإن كان ضعيفاً نسبياً ، بأن عدم قيام البنوك الإسلامية بتقديم حوافز للتعامل معها يعتبر أحد الأسباب لابتعاد بعض المتعاملين عن التعامل معها . بالمقابل نجد أن البنوك

التجارية تسعى دائماً لجذب المتعاملين نحوها عن طريق ما تقدمه لهم من حوافز مالية او عينية . فما قام به بنك الإسكان مؤخراً من إصدار شهادات أطلق عليها «شهادة الكنز» تعطي لحملتها جوائز مالية نصف سنوية تبلغ قيمة الجائزة الكبرى ربع مليون دينار ، يفوز بها أحد حملة هذه الشهادات عن طريق السحب العشوائي على أرقام الشهادات . ومن خصائص هذه الشهادات ايضاً أنها لا تعطي لحملتها أية فوائد ، مما يجعلها مناسبة لذوي الميول الإسلامية . إن اصدار هذه الشهادات يمثل نموذجاً واضحاً على مدى الجرأة التي تتحلى بها إدارات البنوك التجارية لاستحداث وسائل وأساليب جديدة لاستقطاب المتعاملين .

وقد بدأت البنوك الإسلامية ، على ما يبدو ، تدرك ما يمثله تقديم الحوافز العينية والمالية من أهمية للمتعاملين ، فبدأت تسير في هذه الاتجاه ، إذ قام البنك الإسلامي الأردني مؤخراً بتقديم عدد محدود من الرحلات المجانية للحج والعمرة لأصحاب حسابات التوفير لديه . ويمكننا اعتبار ذلك توجهاً ايجابياً في مجال تحفيز المتعاملين وجذبهم نحو التعامل مع البنك الإسلامي ، ولكنه يعتبر اجراءً تنافسياً غير كاف لاستقطاب المتعاملين قياساً بما تقدمه لهم البنوك التجارية . إن التنافس مع البنوك التجارية في مجال تقديم الحوافز للمتعاملين يفرض على إدارات البنوك الإسلامية أن تكون أجرأ في مواجهة التحديات المحيطة بها .

جاء بالمرتبة الثامنة كعامل مؤثر في اختيار العميل للبنك الذي يتعامل معه ، نسبة الأرباح الموزعة على المتعاملين ، فقد أشار متوسط الآراء (٢,٢٧ نقطة) الى وجود تأثير ، وإن كان منخفضاً نسبياً ، لهذا العامل في قرار الاختيار . فأغلبية المتعاملين مع البنوك التجارية يرون أن معدلات توزيع الأرباح على المودعين بالبنوك الإسلامية متقاربة مع معدلات الفائدة المدفوعة من البنوك التجارية لعملائها ، لذا فانهم لا يجدون في نسبة الربح الموزع من البنوك الإسلامية على عملائها حافزاً يدفعهم للتعامل معها . وفي هذه النتيجة تحدٍ آخر للإدارات العليا في البنوك الإسلامية يتمثل في ضرورة السعي للاستثمار

في أنشطة استثمارية مأمونة وقادرة على تحقيق معدلات أرباح مرتفعة لتصبح أكثر قدرة وقابلية على جذب المتعاملين .

في المرتبة التاسعة تأثيراً جاء رؤية المتعاملين بأن عدم تعاملهم مع البنوك الإسلامية ناتج عن رؤيتهم بعدم مصداقيتها وعدم التزامها بالضوابط الشرعية ، فأشار متوسط آراء العينة (٢,٢٣ نقطة) الى وجود تأثير يميل لمستوى (مهم) ، المنخفض نسبياً ، بأن البنوك الإسلامية تلجأ في بعض التعاملات الى استخدام أساليب بعيدة عن الضوابط الشرعية . فمن المفيد ، إذن ، للبنوك الإسلامية الابتعاد عن التعاملات التي تختلف حولها آراء فقهاء الشريعة الإسلامية ، لأن القيام ببعض المعاملات المشكوك في صحتها شرعاً سيكون له ، على المدى البعيد ، آثار ضارة على سمعة ومستقبل البنوك الإسلامية .

أما العوامل الأخرى التي بينت الدراسة أنها لا تمثل أي عائق أمام المتعاملين مع البنوك التجارية للتعامل مع البنوك الإسلامية فهي :

١ . مزاجية الموظفين في البنوك الإسلامية (المرتبة العاشرة) .

٢ . عدم اهتمام العميل بالبنوك الإسلامية لن يكون سبباً رئيسياً يمنعه من التعامل معها . وبالتالي فان الباب يبقى مفتوحاً على مصراعيه أمام البنوك الإسلامية لإيجاد الوسائل المناسبة لاستقطاب المتعاملين مع البنوك التجارية وتحفيزهم على التعامل معها .

٣ . المتعاملون مع البنوك التجارية يثقون في نزاهة القائمين على إدارات البنوك الإسلامية . وبالتالي فانه يمكننا استبعاد عدم الثقة في إدارات البنوك الإسلامية كعامل مؤثر في عدم الإقبال على التعامل مع البنوك الإسلامية .

٦ . الاستنتاجات :-

١ . إن السبب الرئيسي للتعامل مع البنوك الإسلامية يرجع للمعتقدات الدينية بأن الفوائد البنكية التي تتعامل بها البنوك التجارية هي ربا محرم شرعاً ، في حين أن السبب الرئيسي للتعامل مع البنوك التجارية يتمثل في توفيرها لجميع الخدمات المالية التي يحتاجها العملاء بسهولة ويسر . أما المسافة الواقعة بين موقع العميل والبنك فلا يرى المتعاملون مع البنوك الإسلامية فيها سبباً جوهرياً مؤثراً عند المفاضلة والاختيار بين البنوك ، في حين يرى فيها المتعاملون مع البنوك التجارية سبباً مهماً حيث يميلون لتفضيل التعامل مع البنك القريب من أماكن سكنهم أو مقرات أعمالهم .

٢ . من النتائج غير المتوقعة للدراسة أن معدلات الفائدة ، او الربح المدفوع للمتعاملين من البنوك التجارية او البنوك الإسلامية على التوالي ، لا يأتي في المراتب الأولى من العوامل المؤثرة في قرار العميل لاختيار البنك الذي سيتعامل معه . كما أن هناك بعض المتعاملين مع البنوك التجارية يرون أن تكلفة الأموال من البنوك الإسلامية أعلى منها في البنوك التجارية ، فمعدل قيمة الربح الذي تتقاضاه البنوك الإسلامية في نشاط المرابحة أعلى من معدل الفائدة الحقيقي الذي تتقاضاه البنوك التجارية ، وبالتالي لا يرون أن هناك أية ميزة مالية للتعامل مع البنوك الإسلامية .

٣ . سماحة الدين الإسلامي في التعامل التجاري ، والمتمثل في أحد جوانبه بعدم إضافة أية أعباء مالية اضافية على المدين المعسر مالياً (مثل فوائد التأخير) تمثل إحدى المزايا الرئيسية لتفضيل التعامل مع البنوك الإسلامية . بالمقابل ، فان قيام البنوك التجارية بتقديم حسم على القيمة الاسمية للدين عند قيام المدين بتعجيل سداد دينه ، فيه ميزة رئيسية للتعامل مع البنوك التجارية مقارنة بالبنوك الإسلامية التي لا تقدم أية حسومات للمدين إذا ما رغب بتعجيل سداد دينه .

٤ . ما تقدمه بعض البنوك التجارية من جوائز مالية ضخمة لعملائها يمثل

حافزاً مهماً للتعامل معها ، في حين نجد أن البنوك الإسلامية لم تكن تقدم أية حوافز لعملائها . إلا أن البنك الإسلامي الأردني بدأ مؤخراً بتقديم جوائز عينية لعملائه (مثل رحلات مجانية للحج والعمرة) ، ولكن قيمة هذه الجوائز العينية لا تكاد تذكر مقارنة مع قيمة الجوائز المالية المقدمة من بعض البنوك التجارية . في الوقت ذاته ، نجد أن بعض البنوك التجارية الأردنية (مثل البنك العربي) لا تقدم أية جوائز مالية أو عينية لعملائها ، وكذلك الحال في البنك العربي الإسلامي الدولي الذي لا يقدم أية جوائز ايضاً . ولعل ما يدفع الأفراد للتعامل مع البنوك التي لا تقدم أية حوافز مالية أو عينية هو سمعة البنك وخدماته المميزة .

٥ . هناك مجموعة من العملاء ، لا يتعاملون مع البنوك الإسلامية نتيجة لعدم توفر معلومات كافية لديهم عن فلسفة عمل هذه البنوك واختلافها عن البنوك التجارية ، فينظرون لكلا النوعين كأنهما وجهان لعملة واحدة . اما مسألة الثقة بنزاهة وقدرات القائمين على إدارات البنوك الإسلامية فلا يشكل عاملاً ذا أهمية لابتعادهم عن التعامل معها .

٧ . التوصيات :-

في ضوء النتائج السابقة فإن الدراسة تقترح التوصيات التالية :

١ . ضرورة أن تعمل البنوك الإسلامية على توعية المواطنين بفلسفة عمل البنوك الإسلامية وأوجه اختلافها عن طبيعة عمل البنوك التجارية ، ويمكن أن يأتي ذلك من خلال برامج الدعاية والإعلان لثقافة البنوك الإسلامية وكيفية معالجتها للعمليات المالية والمصرفية المعاصرة . في هذا السياق ، يمكن للبنوك الإسلامية الأردنية التعاون مع البنوك الإسلامية غير الأردنية خارج الأردن للاشتراك معها في هذه الحملات الترويجية التي يمكن أن تكون على المستويين الإسلامي والدولي .

٢ . تبسيط إجراءات التعامل ودعم البنوك الإسلامية بالكوادر البشرية المؤهلة

علمياً وعملياً بحيث يكون لديها الجرأة لمواجهة مختلف التحديات التي تواجه البنوك الإسلامية ، وخاصة في المجالات التالية :

- تنويع وتوسيع الخدمات المالية بحيث تنافس ، او على أقل تقدير ، تماثل ما تقدمه البنوك التجارية .
- تقديم الجوائز المالية والعينية للمتعاملين .
- الدخول في مجالات استثمارية متوسطة وعالية المخاطر ، أملاً في زيادة ربحية الأموال .

٣ . على البنوك الإسلامية أن تعمل على مواجهة أحد التحديات الرئيسية التي تواجهها والمتمثل في عدم قيامها بتقديم حسومات للمتعاملين في حالة رغبتهم بتعجيل سداد ديونهم . ويمكن للهيئات التشريعية في البنوك الإسلامية الأردنية التعاون مع الهيئات التشريعية في البنوك الإسلامية خارج الأردن والتدارس معها للوصول الى حلول عملية لمثل هذه المعوقات .

٤ . تدعو هذه الدراسة الباحثين الى القيام بالدراسات الملائمة لمقارنة تكلفة الأموال للمتعاملين مع كلٍ من البنوك الإسلامية والتجارية . لتحقيق ذلك لابد أن تتعامل إدارات هذه البنوك بشفافية مع الباحثين وما قد يطلبونه منها من معلومات وبيانات .

الحواشي

(١) محمود محمد بابلي ، المال في الإسلام (بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٩٨٢) ، ص ١٠٥ .

(٢) الإمام أبو زكريا النووي ، رياض الصالحين (عمان : دار الإسراء للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٠) ، ، ص٢٧٦ .

(3) Rodney Wilson, *Banking and Finance in the Arab Middle East* (London: Macmillan Publisher, 1983), p. 75.

(٤) جمال عطية ، البنوك الإسلامية بين الحرية والتنظيم ، التقليد والاجتهاد ، النظرية والتطبيق (الدوحة : مطابع النهضة الحديثة ، ١٩٨٦) ، ص١٨ .

(٥) البنك المركزي الأردني ، التقرير السنوي السابع والثلاثون – لعام ٢٠٠٠ (دائرة الأبحاث ، نيسان ٢٠٠١) ، مقدمة التقرير : الجهاز المصرفي كما هو في نهاية عام ٢٠٠٠ .

(٦) البنك الإسلامي الأردني ، التقارير السنوية للسنوات ٩٤ – ١٩٩٩ ، عمان .

ملحق ١
مصادر الاستبانات وأعدادها

١ . البنوك الإسلامية :	
* البنك الإسلامي الأردني	٢٣
* البنك العربي الإسلامي الدولي .	١١
٢ . البنوك التجارية :	
* البنك العربي .	١٥
* بنك الإسكان .	١٣
* ستاندرد تشارترد كرندليز .	١٠
* بنك الأردن .	٧
* البنك الأردني الكويتي .	٣
* بنك الأردن والخليج .	٨
الاجمالي (١ + ٢)	٩٠

ملحق (٢)

إستبانة بحث ميداني بعنوان

دراسة ميدانية مقارنة لدوافع التعامل مع البنوك التجارية والبنوك الإسلامية

بعد التحية ،

تشكل هذه الاستبانة جزءاً من دراسة يجريها الباحث عن دوافع التعامل مع البنوك التجارية والبنوك الإسلامية . فمن المعروف ان الفلسفة الاستثمارية للبنوك التجارية تقوم على أساس التعامل مع المتعاملين بأسلوب الفائدة أخذاً وعطاءً . ويرى الكثير من علماء الشريعة الإسلامية عدم جواز التعامل بهذا الأسلوب ، فالفائدة التي يتسلمها العميل من البنك او تلك التي يدفعها العميل للبنك ، ما هي إلا ربا محرم شرعاً . أما فلسفة عمل البنوك الإسلامية فتقوم على النقيض من ذلك ، فالبنوك الإسلامية لا تتعامل بالفائدة لا أخذاً ولا عطاءً ، وإنما تتعامل بمفهوم الربح الحلال . ولما كان هذان النوعان من البنوك يعملان جنباً إلى جنب في الاقتصاد المحلي ، فاننا نهدف من وراء هذا البحث الى استكشاف ما اذا كان للمعتقدات الدينية تأثير جوهري في تفضيل التعامل مع نوع دون الآخر من هذه البنوك ، أم أن هناك أسباباً أخرى تقف وراء اختيار العميل للبنك الذي يتعامل معه .

وإذ أشكر لكم سلفاً حسن وصدق تعاونكم معي ، آمل أن تتم الاجابة عن أسئلة الاستبانة بكل دقة وموضوعية ، علماً بأن المعلومات التي ستقدمونها ستعامل بسرية تامة ولن تستخدم إلا لأغراض البحث .

الباحث

نموذج : A
للمتعاملين مع البنوك التجارية

بين مدى تأييدك للعبارات التالية وذلك بوضع إشارة (صح) في الخانة المناسبة .

	مهم	قليل الأهمية	لا أبدي رأياً
تعاملي مع البنوك التجارية يعود إلى :			
١ . الفوائد التي تدفعها والتي لا أرى فيها أي حرج ديني .			
٢ . الجوائز المالية .			
٣ . توفر لي كافة ما أحتاجه من خدمات مالية .			
٤ . القرب من مكان العمل (أو المنزل) .			
٥ . تحويل الراتب .			
٦ . سهولة ويسر التعامل .			
٧ . جرت العادة على ذلك .			
٨ . أخرى (عددها)			
١- ________________			
٢ ________________			
٣ ________________			
عدم تعاملي مع البنوك الإسلامية يعود إلى :			
١ . معدلات توزيع الأرباح على المودعين في البنوك الإسلامية هي في حدود مقاربة لمعدلات الفائدة في البنوك التجارية .			
٢ . تتعامل مع الفائدة ولكن بمسميات مختلفة . سداد الأقساط (أو سداد الدين) .			
٤ . ما تطلبه من أرباح على السلع المشتراة بطريقة			

المرابحة في بعض الأحيان أكبر مما تطلبه البنوك التجارية على القروض .			
٥ . البطء في إنجاز التعاملات أحياناً واعتماد أساليب قديمة في مقابل أساليب متطورة عند البنوك التجارية .			
٦ . مزاجية التعامل عند بعض الموظفين .			
٧ . عدم تقيدها بالضوابط والشروط الشرعية لبعض التعاملات .			
٨ . لا أجد الحوافز للتعامل معها .			
٩ . عدم الثقة بالقائمين عليها .			
١٠ . عدم اهتمامي بالبنوك الإسلامية .			
١١ . عدم توفر المعلومات الكافية عن فلسفة عمل البنوك الإسلامية .			
١٢ . لا أرى أن هناك أية فروق جوهرية بين البنوك الإسلامية والبنوك التجارية .			
١٣ . هناك معوقات (او صعوبات) تحول دون تعاملي مع البنوك الإسلامية .			

نموذج : B
للمتعاملين مع البنوك الإسلامية

بين مدى تأييدك للعبارات التالية وذلك بوضع إشارة (صح) في الخانة المناسبة .

	مهم	قليل الأهمية	لا أبدي رأياً
تعاملي مع البنوك الإسلامية يعود إلى :			
١ . اعتقادي بأن الفائدة التي تتعامل بها البنوك التجارية هي ربا محرم شرعاً .			
٢ . هي مؤسسات تتبين الطرق الشرعية الى حد ما ، وهي على كل حال أقل حرمة من البنوك التجارية .			
٣ . إمكانية توفير مستلزماتي الاساسية بطريق البيع المشروع (بالتقسيط والمرابحة) .			
٤ . اطمئناني الى عدم تراكم الفوائد في حالة تأخري في سداد الأقساط لعذر ما .			
٥ . تشجيع المؤسسات المالية الإسلامية حتى ولو كانت خدماتها دون المستوى المطلوب .			
٦ . معدلات توزيعات الأرباح السنوية التي تدفعها البنوك الإسلامية للمودعين تعتبر مقبولة .			
٧ . توفر لي كافة ما أحتاجه من خدمات مالية .			
٨ . القرب من مكان العمل (او المنزل) .			
٩ . سهولة ويسر العمل .			
١٠ . أخرى (حددها) :			
١- ________________			

٢ ____________ ٣ ____________ عدم تعاملي مع البنوك التجارية يعود إلى : ١ . معتقداتي الدينية بأن الفائدة هي ربا محرم شرعاً . ٢ . في حالة عجزي عن السداد لسبب ما تقوم بإضافة فوائد تأخيرية إضافة الى الدين . ٣ . الازدحام وكثرة المتعاملين معها . ٤ . صعوبة التعامل أحياناً . ٥ . معوقات أخرى - اذكرها : ١- ____________ ٢ ____________ ٣ ____________			